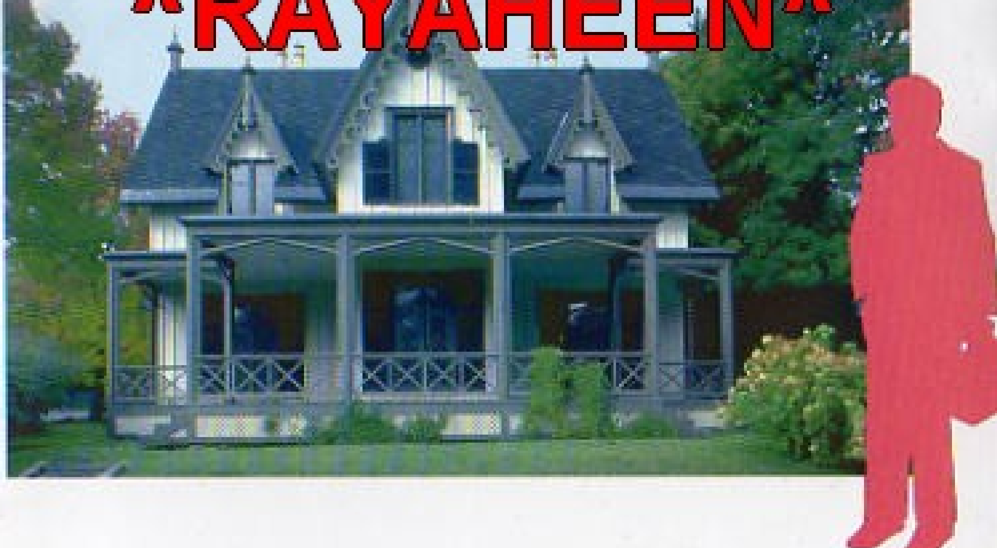
النص الكامل

الطبعة القانونية الأولى باللغة العربية

أغاثا كريستي



مَقْتَل رُوجَرْ أَكْرُويْد







Agatha
Christie



The Murder of Roger Ackroyd



مَقتَل رُوجَرْ أَكْرُويْدْ

لقد عرف روجر أكرويد أكثر مما ينبغي! عرف أن المرأة التي أحبها قد سممت زوجها الراحل، وعرف أن شخصاً ما كان يبتزها. والآن يجيء الخبر الجديد بأن هذه المرأة قد انتحرت.

بريد المساء سيحمل للسيد أكرويد اسم الرجل الذي كان يبتز السيدة المنتحرة، ولكن أكرويد نفسه يُقتل فجأة. بوارو يجد نفسه في وسط الأحداث، فماذا سيصنع؟

رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ. وهي -بلا جدال- أشهر من كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبع منها ألفيْ مليون نسخة!

ISBN9953-30-019-4

سعر البيع ...
في بقية أنحاء ...
AJTAL Publishers

الفصل الأول

الدكتور شبارد على مائدة الإفطار

توفيت السيدة فيرارز في وقت متأخر من مساء السادس عشر من أيلول (سبتمبر)، وكان يومَ خميس. وقد أرسلوا في طلبي في الساعة الثامنة من صباح الجمعة السابع عشر من أيلول، ولم يكن بوسعي عمل شيء؛ فقد توفيت قبل وصولي بساعات.

وكانت الساعة التاسعة وبضع دقائق عندما رجعت إلى بيتي ثانيةً. فتحتُ الباب الخارجي بمفتاحي وتعمدت التريث في الصالة بضع لحظات وأنا أعلّق قبعتي والمعطف الخفيف الذي رأيت من الحكمة ارتداءه تحسباً لبرد صباح خريفي مبكر. والحقيقة أنني كنت منزعجاً قلقاً إلى درجة كبيرة. لن أزعم أنني كنت -في تلك اللحظة- أتنبأ بأحداث الأسابيع القليلة القادمة؛ فهذا لم يحدث قطعاً. لكن إحساسي الداخلي أخبرني بأن أوقاتاً مثيرة قادمة.

سمعتُ من غرفة الطعام على يساري أصوات أكواب الشاي وصوت سعال أختي كارولين الجاف، وقد نادت تقول: أهذا أنت يا جيمس؟

كان ذلك سؤالاً غير ضروري، فمَن يمكن أن يكون سواي؟

والحقيقة أن أختي كارولين هي السبب في تريثي في الصالة لبعض الوقت. إن شعار عائلة النمس- كما يقول السيد كيبلنج- هو: «اذهب وابحث»، ولئن تعيّن على كارولين أن تتخذ لنفسها شعاراً يماثلها فإنني أرى أن يكون صورة نمس متأهب يقف على قدميه ومخالب يديه في الهواء، ويمكن للمرء حذف الكلمة الأولى من الشعار حيث تستطيع كارولين أن تجد الأشياء وهي جالسة في بيتها مطمئنة. لا أعرف كيف تقوم بذلك، لكن هذا ما يحدث. وأشكّ في أن الخدم والباعة يشكّلون طاقم استخباراتها، وهي عندما تخرج من البيت لا تخرج لتجمع المعلومات ولكن لتنشرها، وهي خبيرة مذهلة في هذا المجال أيضاً.

إن صفتها الأخيرة هذه هي التي جعلتني أتردد؛ فمهما كان ما سأقوله لكارولين الآن حول وفاة السيدة فيرارز سينتشر في جميع أنحاء القرية خلال ساعة ونصف. وبصفتي طبيباً محترفاً كان طبيعياً أن أميل إلى التكتم؛ ولذلك فقد تعودت على عدم البوح بالمعلومات أمام أختي قدر الإمكان. وهي تكتشف -عادةً- ما أكتمه عنها من معلومات من مصادر أخرى، ولكنني أبقى قانعاً (من الناحية الخلقية) بأنني غير ملوم على ذلك.

توفي زوج السيدة فيرارز قبل سنة تقريباً، وقد أكدتْ كارولين مراراً بأن زوجته قتلته بالسم دون أن يكون لهذا التأكيد أي أساس.

كانت دائماً تهزأ بردّي الثابت بأن السيد فيرارز مات بسبب التهاب المعدة الحاد الذي زاده تفاقماً إفراطه في شرب المسكرات. صحيح أن أعراض التهاب المعدة تشبه أعراض التسمم بالزرنيخ إلا أن كارولين تبني اتهاماتها على أسباب مختلفة تماماً.

سمعتُها ذات مرة تقول: ما عليك إلاّ أن تنظر إليها.

ورغم أن السيدة فيرارز لم تكن في مقتبل شبابها إلاّ أنها كانت امرأة شديدة الجاذبية، وكانت ملابسها -على بساطتها- تبدو دوماً أنيقة جيدة التفصيل. ومع ذلك، فإن كثيراً من النساء يشترين ملابسهن من باريس دون أن يعني ذلك -بالضرورة- أنهن يسمّمْن أزواجهن.

وفيما أنا واقف في الصالة متردداً وهذه الأفكار تجول في خاطري جاء صوت كارولين مرة أخرى بنبرة حادة: ما الذي تفعله عندك يا جيمس؟ لماذا لا تدخل وتتناول إفطارك؟

قلت مسرعاً: أنا قادم يا عزيزتي؛ كنت أعلّق معطفي.

- كان بوسعك تعليق عشر معاطف خلال هذا الوقت.

كانت على حق في ذلك. ودخلت غرفة الطعام وسلّمت على كارولين كالمعتاد وجلست أتناول البيض واللحم البارد.

قالت كارولين: لقد خرجتَ مبكراً.

- نعم، إلى منزل كِنْغز بادوك... السيدة فيرارز.

- أعرف.

- وكيف عرفتِ؟

- أخبرتني آني.

كانت آني خادمةَ الاستقبال في البيت؛ فتاة لطيفة لكنها ثرثارة

موصَلة. خيّم الصمت على الغرفة قليلاً. واصلت أكل البيض واللحم، وارتعشت أرنبة أنف أختي (ذات الأنف الطويل الرفيع) كما هو دأبها إذا كانت مهتمة أو منفعلة لأمر ما. سألتني: وماذا هناك؟

– أمر مؤسف، لم أستطع عمل شيء. لا بد أنها توفيت في نومها.

ردّت أختي ثانية: أعرف.

لكني هذه المرة تضايقت وقلت منفعلاً: لا يمكن أن تعرفي. أنا نفسي لم أعرف إلاّ بعد أن وصلت إلى هناك ولم أذكر ذلك لأي مخلوق بعد. إن كانت تلك الفتاة، آني، تعرف بالأمر فلا بد أنها عرافة.

– لم تكن آني هي التي أخبرتني، وإنما بائع الحليب، وقد علم بالأمر من الطاهية التي تعمل في بيت فيرارز.

لا تحتاج كارولين –كما أسلفت– للخروج لتحصل على المعلومات؛ إنها تجلس في بيتها فتأتيها الأخبار. وتابعتْ تقول: ما هو سبب وفاتها؟ السكتة القلبية؟

سألتها ساخراً: ألم يخبرك بائع الحليب عن ذلك؟

ولكن السخرية مع كارولين تضيع هباء؛ فهي تأخذ الأمر على محمل الجد وتجيب وفقاً لذلك. أوضحتْ تقول: لم يكن يعرف.

لا بد أن تعرف كارولين بالأمر عاجلاً أو آجلاً، ولذلك فالأفضل أن تسمعه مني. قلت: توفيت نتيجة تناولها جرعة مضاعفة من حبوب

الفيرونال. كانت تتناولها في الآونة الأخيرة لمعالجة الأرق، ولا بد أنها أخذت جرعة كبيرة منها.

ردّت كارولين على الفور: هراء، لقد تناولتها عمداً! اسألني أنا!

غريب كيف ترى المرء –إذا كان لديه اعتقاد خاص لا يريد الإقرار به علناً، ثم سمع أحداً آخر يصرّح به– تراه يبادر غاضباً إلى إنكار اعتقاده. لذلك قلتُ ساخطاً على الفور: إنك تتعجلين الحكم مرة أخرى دون سبب أو منطق. ما الذي يمكن أن يدفع السيدة فيرارز للانتحار؟ أرملة ما زالت شابة وثرية وفي كامل عافيتها وليس في حياتها ما تفعله سوى الاستمتاع بها. إنه كلام سخيف.

– أبداً. لا بد أنك لاحظت مدى التغير الذي طرأ عليها مؤخراً، وقد بدأ التغير بالازدياد في الأشهر الستة الأخيرة. كانت تبدو كأنها فريسة للكوابيس، كما أنك اعترفت –لتوك– بأنها لم تكن قادرة على النوم.

سألتها ببرود: ما هو تشخيصك؟ أظن أنها علاقة حب فاشلة، أليس كذلك؟

هزت كارولين رأسها نافية وقالت بحماسة بالغة: إنه الندم.

– الندم؟

– نعم. لم تصدقني أبداً حينما أخبرتك بأنها قتلت زوجها بالسم، وقد أصبحتُ الآن أكثر قناعة بهذا الرأي من أي وقت مضى.

عارضتها قائلاً: لا أراك منطقية تماماً. من المؤكد أن امرأة

ترتكب جريمةً كالقتل من شأنها أن تكون من البرود وموت الضمير بحيث تستمتع بثمار جريمتها دون أية عواطف ضعيفة رقيقة كالندم.

هزت كارولين رأسها وقالت: ربما توجد نساء من هذا النوع، لكن السيدة فيرارز ليست منهن. كانت كتلة من الأعصاب، وقد سيطر عليها دافع قوي جعلها تتخلص من زوجها... لأنها من النوع الذي لا يستطيع تحمل المعاناة أياً كانت، ولا شك أن زوجة رجل مثل آشلي فيرارز لا بد أن تعاني كثيراً.

أومأت برأسي فتابعت تقول: ومنذ ذلك الوقت أرّقها هاجس ما فعلته بزوجها. لا أستطيع إلاّ الإحساس بالأسف عليها.

لا أظن أن كارولين قد أحست أبداً بالأسف على السيدة فيرارز وهي على قيد الحياة، أما وقد رحلت الآن إلى عالم لم يعد فيه بالإمكان ارتداء الملابس الباريسية، فقد أصبحت كارولين مستعدة لإظهار عواطف أكثر رقة من شفقة وتفهم.

أخبرتها -حازماً- بأن رأيها كله لا معنى له. وقد كنت أكثر حزماً في ذلك لأنني كنت أتفق معها في جزء صغير على الأقل ممّا قالته في قرارة نفسي، ولكن لا يصح أن تصل كارولين إلى الحقيقة عن طريق ضرب من التخمين. وما كنت لأشجع مثل هذا الأمر، إذ أنها ستجوب القرية لتبجح بآرائها، فيظن الجميع بأن هذه الآراء تستند إلى معلومات طبية زودتُها أنا بها. إن الحياة مرهقة!

قالت كارولين رداً على انتقاداتي: هراء! سوف ترى. أراهن على أنها تركت رسالة تعترف فيها بكل شيء.

قلت بحدة دون أن أدرك إلى أين يقودني هذا الاعتراف: لم تترك أية رسالة.

- آه! إذن فقد سألتَ فعلاً عن هذا الأمر، أليس كذلك؟ أعتقد -يا جيمس- أنك ترى ما أراه تماماً في قرارة نفسك. يا لك من مخادع فظيع!

قلت بانفعال: على المرء أخذ احتمال الانتحار بعين الاعتبار.

- هل سيجري أي تحقيق؟

- ربما. هذا يعتمد على الظروف. إذا ما أمكنني، شخصياً، التصريح بأنني مقتنع تماماً بأنها أخذت الجرعة المضاعفة عن طريق الخطأ، فربما يتم الاستغناء عن إجراء التحقيق.

سألتني أختي بمكر: وهل أنت مقتنع تماماً؟

لم أجبها على سؤالها، بل قمت عن المائدة.

* * *

الفصل الثاني

سكان كِنغز أبوت

قبل المضي في سرد ما قلته لكارولين وما قالته كارولين لي، قد يكون من الأَوْلى تقديم فكرة عن المنطقة التي نسكن فيها. فقريتنا تدعى كِنغز أبوت، وأظن أنها تشبه أي قرية أخرى. والمدينة التي نتبعها تُدعى كرانشستر وتبعد عن قريتنا مسافة تسعة أميال، ويوجد عندنا محطة قطارات ومكتب بريد صغير ومخزنان عامان متنافسان، ومن عادة الشبان الذكور ترك القرية في وقت مبكر من حياتهم، كما أن قريتنا مليئة بالنساء العوانس وضباط الجيش المتقاعدين. ويمكن تلخيص هواياتنا ووسائل ترفيهنا بكلمتين اثنتين فقط هما «الثرثرة والشائعات».

وليس في كنغز أبوت إلاّ بيتان يتمتعان بأهمية حقيقية أحدهما هو «كنغز بادوك» الذي تركه السيد فيرارز لزوجته بعد وفاته، أما الآخر فيُدعى «فيرنلي بارك» ويملكه روجر أكرويد. وقد لفت أكرويد اهتمامي دوماً لكونه مثالاً تقليدياً دقيقاً لمالكي الأراضي الريفيين في إنكلترا، ولكنه ليس -بالطبع- من مالكي الأراضي حقاً؛ فهو رجل صناعة ناجح جداً، وأظن أنه يصنع عجلات العربات. وهو في الخمسين من عمره

تقريباً، أحمر الوجه حلو المعشر، وكان يدفع التبرعات السخية للأعمال الخيرية (رغم أن الإشاعات تقول إنه بخيل جداً في نفقاته الشخصية) ويشجع مباريات الكريكِت وأندية الشباب وجمعيات الجنود المعوقين. إنه -في الواقع- روح قريتنا الهادئة.

عندما كان روجر أكرويد شاباً في الحادية والعشرين من عمره وقع في غرام امرأة جميلة تكبره بخمس سنوات أو ست وتزوجها. كان اسمها باتون وكانت أرملة ولها طفل واحد، وقد كان ذلك الزواج قصيراً ومؤلماً، فقد كانت السيدة أكرويد -بصريح العبارة- مدمنة على الكحول، وقد استهلكت نفسها في الشراب حتى ماتت بعد أربع سنوات من زواجها. ولم يُظهر أكرويد -في السنوات التي أعقبت ذلك- أي رغبة في تكرار الزواج. وكان ابن زوجته من زواجها الأول في السابعة من عمره فقط عندما توفيت والدته، وهو الآن في الخامسة والعشرين من عمره. كان أكرويد يعتبره دائماً ابناً له وقام بتربيته على هذا الأساس، لكنه كان صبياً منفلتاً طائشاً شكّل مصدر إزعاج وقلق كبيرين لزوج أمه. ومع ذلك، فنحن جميعاً في قرية كنغز أبوت نحب رالف باتون كثيراً؛ فقد كان شاباً بالغ الوسامة.

وكما قلت من قبل، فإن من عادتنا في القرية القيل والقال. وقد لاحظ الجميع -منذ البداية- بأن العلاقة تتطور بين أكرويد والسيدة فيرارز، وبعد وفاة زوجها ازدادت العلاقة بينهما قوة. كانا يشاهَدان معاً دائماً، وكان من السهل الحدس بأنهما سيتزوجان بعد انتهاء عدتها. والحقيقة أن الجميع قد أحسوا بوجود تناسب معين في هذا الزواج؛ فزوجة روجر أكرويد توفيت نتيجة إفراطها في الشراب، وكان آشلي فيرارز مدمناً على الخمر هو الآخر لسنوات عديدة قبل وفاته. وكان

مناسباً تماماً أن يتزوجَ أكرويد السيدة فيرارز وهما ضحيتان لمدمنَي الخمر وقد صبَرا طويلاً على أذى شريكي حياتهما.

جاءت عائلة فيرارز للعيش هنا قبل سنة واحدة فقط، لكن بعض الإشاعات أحاطت بأكرويد منذ عدة سنوات؛ فقد تعاقبت سلسلة من مدبرات المنزل في بيته وكانت كارولين ورفيقاتها ينظرن إلى كل واحدة منهن بعين الريبة. وليس من المبالغة القول إن القرية كلها قد توقعت -خلال السنوات الخمس عشرة الماضية- أن يعمد أكرويد للزواج بواحدة من مدبرات المنزل العاملات عنده. وكانت آخرهن امرأة شديدة المراس تدعى الآنسة راسل استقرت عنده خمس سنوات دون منازع، وهي ضعف المدة التي عملت بها أي واحدة قبلها، وقد شعر الناس بأنه لولا مجيء السيدة فيرارز لما استطاع أكرويد النجاة منها. إضافةً إلى سبب آخر؛ وهو الوصول غير المتوقَّع لأرملة أخيه مع ابنتها من كندا. فقد أقامت السيدة سيسيل أكرويد (وهي أرملة الأخ الأصغر الفاشل لروجر أكرويد) في فيرنلي بارك، وقد نجحت -كما تقول كارولين- في وضع الآنسة راسل في مكانها الصحيح.

ورغم أنني لا أعرف تماماً المقصود من «المكان الصحيح» إلاّ أنني أعرف أن الآنسة راسل قد أخذت تزمُّ شفتيها وتكتفي بابتسامة لاذعة وتبدي كل شفقة على «السيدة المسكينة أكرويد» التي تعتمد على صدقة زوج أخيها، فخبز الصدقة مر المذاق، أليس كذلك؟

لا أدري كيف كانت السيدة سيسيل ترى مسألة فيرارز عندما تُطرح تلك المسألة على بساط البحث، ومن الواضح أن بقاء السيد أكرويد دون زواج كان من مصلحتها. وقد كانت دوماً لطيفة (إن لم نقل بالغة اللطف) مع السيدة فيرارز عندما تلتقيان، ولكن كارولين

تقول إن ذلك لا يثبت شيئاً البتة.

كانت تلك الأحاديث شغلنا الشاغل في القرية خلال السنوات القليلة الماضية. وقد ناقشنا موضوع أكرويد وشؤونه من كل الجوانب، وقد أخذت السيدة فيرارز مكانها المناسب في ذلك كله. أما الآن فتم إعادة ترتيب للمشهد؛ فقد انتقلنا من النقاشات اللاهية حول هدايا الزفاف المتوقعة إلى خضم مأساة.

وبعدما قلّبت التفكير في هذا الأمر وفي أمور أخرى مختلفة انتقلتُ بصورة آلية إلى عملي. لم تكن عندي أية حالات مَرَضية تتطلب مني اهتماماً خاصاً، وربما كان ذلك أفضل لأن أفكاري كانت تعود إلى لغز وفاة السيدة فيرارز باستمرار. أتراها انتحرت؟ لو كانت فعلت ذلك لتركت -بالتأكيد- رسالة وراءها تخبر عما كانت تفكر فيه، فحسب خبرتي فإن المرأة عندما تعزم على الانتحار فإنها تحب -في العادة- كشف حالتها النفسية التي دفعتها إلى ذاك الفعل الرهيب؛ إذ أنها تتوق إلى جذب الأضواء والاهتمام.

متى رأيتها آخر مرة؟ لم يمضِ على ذلك أكثر من أسبوع. بدت طبيعية إذا ما أخذنا بعين الاعتبار... إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كل الظروف. ثم تذكرتُ -فجأة- أنني رأيتها أمسِ فقط رغم أنني لم أتحدث معها. كانت تسير مع رالف باتون وقد فوجئتُ لأنني لم أكن أعرف أنه موجود في القرية، والحق أنني ظننت أنه قد تشاجر مع زوج والدته شجاراً نهائياً، فلم يره أحد هنا منذ ستة أشهر تقريباً. كانا يمشيان جنباً إلى جنب وهي تتكلم بجدية، وأظن أن باستطاعتي القول باطمئنان إنني شعرت بنذير شؤم يغمرني في تلك اللحظة بالذات. لم يكن في الأمر شيء ملموس بعد، ولكنه كان نذيراً غامضاً من الطريقة

التي كانت تترتب فيها الأحداث، إذ لم تعجبني تلك الأحاديث المتبادلة بين رالف باتون والسيدة فيرارز. وكنت ما أزال أفكر في ذلك الأمر عندما تقابلت مع روجر أكرويد وجهاً لوجه.

صاح قائلاً: شبارد! أنت –تماماً– الرجل الذي أبحث عنه. إنه أمر فظيع.

– إذن فقد سمعت بالخبر!

أوما برأسه، ورأيت أنه تأثر كثيراً لهذا الحادث، فقد بدت وجنتاه الحمراوان متهدلتين، وبدا هو كحطام لذلك الرجل المرح الحيوي الذي كانه دوماً. قال بهدوء: الأمر أسوأ ممّا تعرف. أريد الحديث معك يا شبارد. هل يمكنك العودة معي الآن؟

– لا يمكن. أمامي ثلاثة مرضى أريد رؤيتهم كما يجب أن أعود في الساعة الثانية عشرة لأرى مرضى العيادة.

– إذن عصر اليوم... لا، الأفضل أن نتناول العشاء معاً الليلة. الساعة السابعة والنصف، هل يناسبك هذا الوقت؟

– نعم؛ يمكنني ذلك. ما الأمر؟ أهو رالف؟

لا أكاد أعرف لماذا قلت ذلك.. باستثناء أن المشكلة كانت غالباً مع رالف. وحدّق أكرويد بي وكأنه لم يفهمني، فبدأت أدرك بأنه يوجد شيء غير طبيعي دون ريب؛ فأنا لم أشاهد أكرويد على هذه الدرجة من الانزعاج من قبل.

قال وهو شارد الذهن: رالف؟ آه! لا، ليس رالف. رالف موجود

في لندن... تباً! الآنسة جانيت قادمة. لا أريد الحديث معها بخصوص هذا الأمر المروع. إلى اللقاء هذه الليلة يا شبارد، الساعة السابعة والنصف.

أومأت له فذهب مسرعاً بعد أن تركني حائراً أتساءل. رالف في لندن؟ لكنه كان في القرية بالتأكيد بعد ظهر الأمس. لا بد أنه عاد إلى المدينة الليلة الماضية أو في وقت مبكر من هذا الصباح. ومع ذلك كانت ملامح أكرويد تعطي انطباعا مختلفاً تماماً. لقد تكلم وكأن رالف لم يأتِ إلى القرية منذ أشهر.

لم يكن الوقت كافياً للتفكير في هذا الأمر؛ فقد جاءتني الآنسة جانيت متعطشة للمعلومات. كانت الآنسة جانيت تتحلى بجميع صفات كارولين لكنها تفتقد إلى ذلك الحدس الذي لا يخطئ في القفز إلى النتائج، وهو ما يضفي لمسة من العظمة على مناورات كارولين. كانت الآنسة جانيت تلهث وهي تسأل: أليس مؤسفاً ما حدث للسيدة فيرارز المسكينة؟ كثير من الناس يقولون إنها تتعاطى المخدرات منذ سنوات. يا للطريقة البشعة التي يتعمدها الناس في أقاويلهم! والأنكى هو أن بعض الحقيقة توجد –عادةً– في هذه الأقوال القاسية. لا دخان بلا نار! وكانوا يقولون أيضاً إن السيد أكرويد قد اكتشف هذا الأمر ففسخ خطبته (لأنهما كانا مخطوبين فعلاً).

كانت الآنسة جانيت تمتلك دليلاً على ذلك، وكان يُفترض بي –طبعاً– أن أعرف كل شيء عن الأمر؛ فالأطباء دائماً يعرفون... ولو أنهم لا يبوحون أبداً بما يعرفونه! وقد كانت تتكلم معي وهي تتفرسني بعينين خرزيتين حادتين لترى ردّ فعلي على أفكارها، ولحسن الحظ فإن طول اعتيادي على كارولين جعلني أحافظ على مظهر جامد لا

يُسبّر غوره وأكون مستعداً للرد بعبارات صغيرة لا يُفهم منها شيء. وبهذه المناسبة هنأت الآنسة حانيت على إحجامها عن المشاركة في الأقاويل البغيضة، ورأيت ذلك هجوماً معاكساً متقناً من طرفي. وقد جعلتها في حيرة من أمرها، ثم فررت منها قبل أن تستجمع قواها.

عدت إلى البيت مستغرقاً في التفكير لأحد عدة مرضى في انتظاري في العيادة. وكنت أظن أنني صرفت آخرهم وكنت أسير في الحديقة متأملاً قبل ساعة الغداء عندما أدركت أن مريضة أخرى كانت في انتظاري. نهضتْ من مكانها وجاءت إلي بينما وقفت أنا مدهوشاً بعض الشيء. ولا أدري لماذا كان عليّ أن أندهش، باستثناء الصلابة والقوة اللتين أوحى بهما شكل الآنسة راسل، إذ بدت –نوعاً ما– أقوى من علل الجسد وأمراضه.

كانت مديرة منزل أكرويد امرأة طويلة القامة وسيمة رغم منظرها الفظيع، وكانت ذات عينين قويتين وشفتين مزمومتين، وخطر ببالي أنني كنت سأفرّ للنجاة بحياتي كلما سمعتها تقترب لو أنني كنت خادمة تعمل تحت إمرتها.

قالت الآنسة راسل: صباح الخير يا دكتور شبارد. سأكون ممتنّة لك إذا ما ألقيت نظرة على ركبتي.

ألقيت نظرة على ركبتها، ولكنني –للحقيقة– لم أفهم شيئاً من نظرتي تلك. كان حديثها عن آلام غامضة في ركبتها غيرَ مقنع إلى حد كنت معه سأشك –لولا استقامة شخصيتها– بأن القصة كلها ملفقة. وخطر لي –لوهلة– بأن الآنسة راسل ربما تعمدت اختراع قصة آلام الركبة عندها لكي تنتزع مني معلومات عن موضوع وفاة السيدة فيرارز،

لكنني أدركت بأنني أسأت الحكم عليها في الحال، إذ لم تشر إلى الحادث إلاّ إشارة عابرة ولم تزد على ذلك شيئاً. ومع ذلك بدت ميّالة للتلكؤ والثرثرة، وأخيراً قالت: أشكرك جداً يا دكتور على زجاجة المرهم، رغم أني لا أظن أنها ستفيدني بشيء.

لم أكن أظن ذلك أنا الآخر ولكنني اعترضت بدافع الواجب، إذ ليس من شأن المرهم –في نهاية الأمر– أن يضرها، كما أن المرء ملزم بالدفاع عن عدة عمله.

قالت الآنسة راسل وهي تنظر إلى العدد الكبير من زجاجات الأدوية باستخفاف: أنا لا أؤمن بكل هذه العقاقير. إنها تسبب ضرراً كبيراً. خذ عادة الإدمان على الكوكايين مثلاً...

- بالنسبة لهذا الأمر...

- إنها شائعة جداً في المجتمع الراقي.

أنا على ثقة بأن الآنسة راسل تعرف عن المجتمع الراقي أكثر ممّا أعرفه بكثير، ولذلك لم أحاول محادلتها. قالت: أرجو أن تخبرني يا دكتور، افترض أن المرء أصبح عبداً للإدمان على المخدرات، فهل يوجد علاج لذلك؟

لا يمكن الإجابة على سؤال كهذا بشكل عابر، ولذا أعطيتها محاضرة قصيرة حول هذا الموضوع وأصغت باهتمام شديد (وأنا ما أزال أشك في أنها تسعى للحصول على معلومات عن السيدة فيرارز) ثم تابعتُ أقول: الفيرونال على سبيل المثال...

لكن الغريب في الأمر أنها لم تَبدُ مهتمة بالفيرونال، وبدلاً من

ذلك غيّرت موضوع الحديث وسألتني عن حقيقة وجود أنواع معينة من السموم نادرة إلى الحد الذي يجعل كشفها صعباً محيراً.

قلت: آه، كنت تقرئين روايات بوليسية!

اعترفتْ بأنها كانت تقرأ مثل تلك الروايات، فقلت: إن جوهر الرواية البوليسية هو سم نادر لم يسمع به أحدٌ أبداً... وقد يكون من أميركا الجنوبية؛ شيئاً تستخدمه قبيلة مجهولة من المتوحشين لتسمّم سهامها به؛ سمّاً يؤدي إلى الوفاة على الفور ويقف العلم الغربي عاجزاً عن كشفه. أهذا ما تقصدينه؟

- نعم. هل يوجد شيء كهذا حقاً؟

هززت رأسي آسفاً وقلت: أخشى أنه لا يوجد شيء كذلك، وإن كانت توجد بعض السموم بالطبع...

بدأتُ بإخبارها مطولاً عن السموم، ولكن يبدو أنها فقدت اهتمامها بالأمر مرة أخرى. سألتني إن كنت أحتفظ بشيء منه في خزانة السموم عندي، وعندما أجبتها بالنفي بدا لي أن منزلتي قد ضعفت في نظرها. وأخيراً استأذنتني بالعودة وودعتها عند باب العيادة عندما رن جرس المنزل إيذاناً بحلول وقت الغداء.

ما كنت أحسب -أبداً- أن للآنسة راسل ولعاً بالروايات البوليسية، وقد استمتعت كثيراً في تخيلها وهي تخرج من غرفتها لتوبيخ خادمة مقصرة في عملها ثم تعود لتتابع بارتياح رواية «لغز القتيل السابع» أو شيئاً من هذا القبيل.

* * *

الفصل الثالث

الرجل الذي يزرع الكوسا

أخبرت كارولين على الغداء بأنني سأتعشى الليلة في فيرنلي، لم تُبدِ أية معارضة، بل على العكس، قالت: رائع! سوف تسمع كل شيء عن الأمر. على فكرة، ما مشكلة رالف؟

قلت وقد فاجأني سؤالها: رالف؟ لا توجد أية مشكلة.

- إذن لماذا يقيم في فندق ثري بورز بدلاً من فيرنلي بارك؟

لم أشك أبداً في صحة هذه المعلومات عن إقامة رالف باتون في أحد الفنادق المحلية؛ إذ يكفيني دليلاً أن تقول كارولين ذلك.

قلت: أخبرني أكرويد بأنه كان في لندن.

فبسبب المفاجأة تخليت عن قاعدتي القيّمة التي تقضي بألاّ أبوح بمعلومات، وقد صاحت كارولين: آه!

رأيت أرنبة أنفها ترتجف وهي تُعمل تفكيرها بهذه المعلومة. قالت: وصل إلى فندق ثري بورز صباح الأمس، وما زال هناك، وقد

خرج الليلة الماضية مع فتاة. لم يفاجئني هذا على الإطلاق، إذ أن رالف -كما يبدو لي- يخرج مع فتيات في معظم الأيام، ولكن ما حيرني قليلاً هو اختياره قريتنا مكاناً لمغامراته العاطفية بدلاً من المدينة الصاخبة.

سألتها: هل كانت إحدى العاملات في الحانة؟

- لا. هنا المعضلة؛ فقد خرج لمقابلتها، ولا أعرف من هي.

(صعب على كارولين أن تضطر لمثل هذا الاعتراف). وبعدها أكملت أختي التي لا تعرف التعب تقول: ولكنني أستطيع التخمين.

انتظرتها صابراً حتى قالت: ابنة عمه.

صحت مشدوهاً: فلورا أكرويد؟!

لا توجد -طبعاً- علاقة قرابة حقيقية بين فلورا أكرويد ورالف باتون، ولكن رالف اعتُبر منذ فترة طويلة ابناً لأكرويد، ولذلك يسلّم الجميع بأن الفتاة ابنة عمه.

قالت كارولين: فلورا أكرويد.

- ولكن لماذا لم يذهب إلى فيرنلي أن أراد رؤيتها؟

ردّت كارولين باستمتاع كبير: إنهما مخطوبان سراً، وليس من شأن أكرويد أن يوافق على ذلك، وهما -لذلك- مضطران للّقاء بهذا الشكل.

رأيت كثيراً من الخلل في نظرية كارولين، ولكني أحجمت عن

الإشارة إليها. وكان من شأن ملاحظة بريئة قلتُها عن جارنا الجديد أن تغير الموضوع.

البيت المجاور لنا، ويُدعى «الارشيز»، سكنه -مؤخراً- رجل غريب، ومما أثار في كارولين بالغ الانزعاج أنها لم تستطع معرفة أي شيء عنه باستثناء أنه أجنبي. وقد أثبت جهاز مخابراتها فشله الذريع. ورغم ان المفترّض أن هذا الرجل يشتري الحليب والخضار واللحوم والأسماك كأي شخص آخر في القرية، إلاّ أن أحداً ممّن كانت مهمتهم تجهيزه بهذه الأشياء لم يستطع الحصول على أية معلومات عنه. يبدو ظاهرياً أن اسمه هو السيد بورو، وهو اسم يوحي بإحساس غريب من عدم الواقعية. الشيء الوحيد الذي نعرفه عنه هو اهتمامه بزراعة الكوسا، ولكن هذه المعلومة ليست مما تسعى كارولين لمعرفته بالتأكيد. إنها تريد معرفة جنسيته، وماذا يعمل، وهل هو متزوج أم لا، ومَن هي زوجته أو كيف هي، وهل له أولاد، وما هو اسم زوجته قبل الزواج... وهكذا. لا شك أن شخصاً مثل كارولين هو الذي اخترع الأسئلة التي تكتب في طلب جوازات السفر!

قلت: يا عزيزتي! لا يوجد شك على الإطلاق بخصوص مهنة الرجل. إنه حلاّق متقاعد... انظري إلى شاربه.

عارضتني كارولين. قالت: لو كان الرجل حلاقاً لكان شعره متموجاً وليس مسرّحاً، كل الحلاقين هكذا.

استشهدت بالكثير من الحلاقين الذين أعرفهم ولهم شعر مسرّح، لكن كارولين رفضت أن تقتنع. قالت بصوت حزين: لا أستطيع تقدير ماهيته أبداً. استعرت منه أمس بعض أدوات الحديقة، وكان في غاية

الأدب، ولكني لم أستطع الحصول منه على أي شيء. وفي نهاية الأمر سألته صراحة ودون مواربة إن كان فرنسياً، فأجابني بأنه ليس فرنسياً... ثم لا أعرف لماذا لم أشأ توجيه مزيد من الأسئلة إليه.

بدأت أهتمُّ أكثر بجارنا الغامض. لا بد أن رجلاً يستطيع إسكات كارولين وإعادتها صفر اليدين من حيث أتت... لا بد أن رجلاً كهذا ذو شخصية متميزة.

قالت كارولين: أظن أن لديه واحدة من تلك المكانس الكهربائية الجديدة.

رأيت في عينيها مشروعَ استعارةٍ يتم التخطيط له وفرصةً لمزيد من الأسئلة، ثم جاءتني فرصة للهروب إلى الحديقة؛ فأنا أحب العمل في الحديقة. وكنت مشغولاً في استئصال جذور بعض النباتات عندما سمعت صرخة تحذير من مكان قريب وصوت جسم ثقيل يئز قرب أذني ثم يقع عند قدمي بقوة. كانت حبة من الكوسا!

رفعت بصري غاضباً لأرى وجهاً يطل من أعلى الجدار إلى يساري، ورأيت رأساً بيضوي الشكل مكسواً بشعر أسود يثير الريبة وعلى الوجه شاربان كبيران وعينان يقظتان تحدقان.

كان ذلك هو جارنا الغامض، السيد بورو. وعلى الفور تدفقت كلمات الاعتذار على لسانه: أرجو المعذرة يا سيدي، رغم أنه لا عذر لي. إنني أزرع الكوسا منذ بضعة أشهر، وفجأة غضبت من الكوسا هذا الصباح فقذفتها بعيداً... للأسف؛ أمسكت بأكبر حبة فيها فقذفتها فوق الحائط! إنني خَجِل منك يا سيدي. اعذرني.

كان غضبي قد هدأ قبل إسرافه في الاعتذار، كما أن حبة الكوسا لم تصبني. ولكني كنت أرجو –مخلصاً– ألاّ يكون إلقاء الخضروات الكبيرة من فوق الجدران هواية من هوايات صديقنا الجديد، فتلك عادة لا تكاد تجعله جاراً محبباً.

بدا أن الرجل الغريب الضئيل قد قرأ أفكاري، إذ صاح قائلاً: آه، كلا؛ لا تقلق نفسك. إنها ليست من عادتي، لكنك تستطيع أن تتخيل وضعاً يعمل فيه المرء للوصول إلى هدف معين. قد يعمل ويكدح لكسب نوع من الراحة أو التفرغ لهواية معينة، ثم يكتشف أنه –في نهاية الأمر– يتوق إلى أيام العمل المحموم التي مضت وإلى مشاغله القديمة التي ظن أنه سعيد لتركها.

قلت ببطء: نعم، أظن أن هذه ظاهرة شائعة. أنا نفسي مثال على ذلك؛ فقبل سنة حصلت على ميراث يكفي لتحقيق حلم، وقد أحببت –دوماً– السفر لرؤية العالم. كان ذلك قبل عام كما قلت... ولكني ما زلت هنا!

أومأ جاري برأسه وقال: إنها قيود العادة. نحن نعمل لتحقيق غرض معين، وعندما نحققه نجد أن ما نفتقده هو الكدح اليومي. وأريد أن ألفت انتباهك –يا سيدي– إلى أن عملي كان مثيراً... إنه أكثر الأعمال إثارة في العالم.

قلت مشجعاً: صحيح؟

في تلك اللحظة سَرَتْ في نفسي روح كارولين وحيويتها. أما جاري فقد مضى موضِّحاً: دراسة الطبيعة البشرية يا سيدي!

قلت بلطف: نعم، تماماً.

واضح أنه حلاق متقاعد. مَن يعرف أسرار الطبيعة البشرية أكثر من الحلاق؟

– كما كان لديّ صديق؛ صديق لم يفارقني لسنوات عديدة. كانت تنتابه أحياناً حماقة تخيف المرء، ومع ذلك كان عزيزاً عليّ كثيراً. تصور أنني أفتقد حتى حماقته وغباءه. أفتقد سذاجته ونظرته البريئة النزيهة للأشياء، وأفتقد سروري من إدهاشه وإسعاده بمواهبي الفائقة... كل هذه الأشياء أفتقدها بطريقة لا أستطيع وصفها لك.

سألته متعاطفاً: وهل مات؟

– لا. إنه حي يرزق... ولكنه بعيد؛ إنه الآن في الأرجنتين.

قلت حاسداً: في الأرجنتين.

رغبت دائماً في السفر إلى أميركا الجنوبية. تنهدت حسرة، ثم رفعت بصري لأجد السيد بورو ينظر إليّ بعين العطف. بدا رجلاً متفهماً وسألني: أتحب لو تذهب إلى هناك؟

تنهدت وهززت رأسي أسفاً وقلت: كنت أستطيع ذلك قبل سنة. ولكني كنت أحمق... وأكثر من أحمق... كنت جشعاً. لقد جازفت بالجوهر سعياً وراء السراب.

قال السيد بورو: فهمت. هل شاركت في مضاربات تجارية.

أومأت برأسي حزيناً، ولكني شعرت –رغماً عني وفي قرارة

نفسي– بأنني موضع حفاوة. إن هذا الرجل الضئيل ذا المظهر السخيف جاد إلى درجة تكاد تبلغ الادعاء.

سألني فجأة: أكانت مضارباتك في حقول نفط بوركيوبين؟

حدّقت فيه وقلت: الواقع أنني فكرت في المضاربة فيها لكني عدلت عنها إلى المضاربة في منجم ذهب في غرب أستراليا.

كان جاري يتفحصني بنظرات غريبة لم أفهمها. وأخيراً قال: إنه القدر.

سألته بانفعال: ما هو القدر؟

– قدري أن أعيش بجوار رجل يفكر –جاداً– في الاستثمار في حقول نفط بوركيوبين ومناجم الذهب في غرب أستراليا. قل لي، هل أنت مولع بالشعر الخرنوبي أيضاً؟

حدّقت فيه مشدوهاً فانفجر ضاحكاً وقال: لا، لا، لست مجنوناً. هوّن عليك. كان سؤالاً أحمق هذا الذي سألتك إياه، لأن صديقي الذي حدثتك عنه كان شاباً، أو رجلاً، يرى جميع النساء طيبات ويرى معظمهن جميلات. ولكنك رجل في أواسط عمرك، طبيب، رجل يعرف تفاهة وزيف كثير من الأشياء في حياتنا هذه. حسناً، حسناً، نحن جيران. أرجو أن تتقبل مني أفضل حبة كوسا عندي وتهديها إلى أختك الرائعة.

انحنى أمامي وأخرج بحفاره حبة كوسا ضخمة قبلتها منه بنفس الود الذي قدمها لي به.

قال الرجل الصغير مبتهجاً: الحق أن صباحي هذا لم يضع هباء؛ فلقد تعرفت على رجل يشبه إلى حد ما صديقي البعيد. على فكرة، أريد سؤالك شيئاً. لا شك أنك تعرف كل مَن في هذه القرية الصغيرة. مَن هو ذلك الشاب أسود الشعر والعينين ذو الوجه الوسيم؟ ذلك الذي يمشي مرفوع الرأس وعلى شفتيه ابتسامة عفوية؟

لم أشكّ في صاحب هذا الوصف، قلت ببطء: لا بد أنه الكابتن رالف باتون.

- لم أره هنا من قبل.

- هو لم يأت إلى هنا منذ فترة من الزمن. إنه ابن السيد أكرويد صاحب منزل فيرنلي بارك، أو بالأحرى ابن زوجته.

أشار جاري بيده إشارة استدراك خفيفة وقال: بالطبع، كان عليّ أن أحمن ذلك. لقد تحدث عنه السيد أكرويد كثيراً.

قلت وقد فاجأتني إجابته قليلاً: هل تعرف السيد أكرويد؟

- السيد أكرويد يعرفني من لندن... عندما كنت أعمل هناك. ولكني طلبت منه ألاّ يبوح هنا بشيء عن مهنتي.

رأيت ذلك تبجحاً واضحاً أثار اهتمامي، ولكنني اكتفيت بالقول: فهمت.

لكن الرجل الصغير واصل حديثه بابتسامة شبه متكلّفة: يفضّل المرء أن يبقى مجهولاً. إنني لا ألهف على الشهرة، بل إنني لم أكلف نفسي تصحيح اسمي الذي يلفظه أهل القرية خطأً.

قلت دون أن أعرف تماماً ما يمكن قوله: صحيح.

تمتم السيد بورو قائلاً: الكابتن رالف باتون. إذن فهو خطيب ابنة أخ السيد أكرويد الآنسة فلورا الفاتنة.

سألته وقد فوجئت كثيراً بكلامه: من أخبرك بذلك؟

- السيد أكرويد، قبل أسبوع تقريباً. إنه سعيد جداً بذلك... كان يرغب بهذا منذ وقت طويل كما فهمت منه، حتى أنني أعتقد بأنه ضغط على الشاب حتى يقبل بالأمر. وهو إجراء يفتقر إلى الحكمة؛ إذ على الشاب أن يتزوج لكي يسعد نفسه لا ليسعد زوج أم لمجرد أن لديه أموالاً ستؤول إليه.

اضطربت أفكاري تماماً. لم أفهم كيف يبوح أكرويد لحلاق بأسراره الخاصة ويناقش معه زواج ابنة أخيه وابن زوجته. كان أكرويد لطيف المعشر مع من هم دونه منزلة، ولكنه -بالمقابل- ذو إحساس مرهف بكرامته وقدره. وبدأت أفكر في أن بورو لا يمكن أن يكون حلاقاً. وحتى أخفي ارتباكي قلت أول شيء خطر في بالي: ما الذي جعلك تلحظ رالف باتون؟ وسامته؟

- لا، ليس ذلك وحده... رغم أنه وسيم بشكل غير عادي بالنسبة لشاب إنكليزي. ولكن في ذلك الشاب شيئاً لم أفهمه.

قال الجملة الأخيرة بنبرة تأملية غريبة أثرت علي تأثيراً لم أدرك كنهه. كان كمن يلخص وضع ذلك الشاب معتمداً على معرفة داخلية لم أكن أقاسمه إياها، وقد بقي ذلك الأثر لدي إذ أن كارولين نادتني في تلك اللحظة من داخل البيت.

عدت إلى البيت. وكانت كارولين تضع قبعتها، وبدا أنها قد عادت لتوها من القرية. قالت دون أية مقدمات: التقيت بالسيد أكرويد.

- حقاً؟

- أوقفته بالطبع، لكنه كان في عجلة من أمره، حريصاً على الهروب مني.

لم يكن عندي شك في أنه كان كذلك، فقد كان من شأنه أن يشعر إزاء كارولين ما شعرته تجاه الآنسة جانيت في صباح ذلك اليوم... وربما أكثر، فالتخلص من كارولين أصعب.

- سألته عن رالف على الفور، وقد ذهل تماماً. لم يكن يعرف أن الولد كان في القرية. وقد قال إنه يظن أنني مخطئة. تصور... أنا! مخطئة!

قلت: يا للسخافة! يُفترض فيه أن يعرفك أكثر من ذلك.

- ثم أخبرني بأن رالف وفلورا مخطوبين.

قاطعتها متفاخراً: لقد عرفت ذلك أيضاً.

- مَن أخبرك؟

- جارنا الجديد.

ترددت كارولين أمام هذا الفتح لحظة كما تترد كرة الروليت بين رقمين، ولكنها ما لبثت أن تجاهلت هذا الطعم الجديد وقالت: أخبرت السيد أكرويد بأن رالف كان مقيماً في فندق ثري بورز.

- كارولين، ألم تفكري بأنك قد تسببين أذىً بعادتك هذه في ترديد كل شيء دون تمييز؟

- هراء، يجب أن يعرف الناس الأمور. أرى أن من واجبي إخبارهم. وقد امتنّ السيد أكرويد لي كثيراً.

بدا لي واضحاً أن لدى كارولين المزيد، فقلت: حسناً، وبعد؟

- أظن إنه ذهب إلى الفندق مباشرة، ولكنه لن يجد رالف هناك إن صنع ذلك.

- صحيح؟

- نعم؛ لأنني عندما كنت عائدة عبر الغابة...

قاطعتها: عدتِ عبر الغابة؟

تنازلت كارولين واحمرّت خجلاً ثم هتفت: كان يوماً جميلاً رائعاً ورأيت أن أتجول قليلاً. إن الغابة جميلة في مثل هذا الوقت من السنة بألوانها الخريفية.

لم تكن كارولين تهتم بالغابات في أي وقت من أوقات السنة وعادة ما تعتبرها أمكنة تتوحل فيها الأقدام وتسقط فيها كل الأشياء الكريهة على رأس المرء. كلا، إن ما دفعها إلى غابة القرية هو حاسة النمس التي تمتلكها؛ فالغابة هي المكان الوحيد القريب من قرية كنغز أبوت الذي يمكن فيه للرجل أن يتحدث مع صديقته بعيداً عن أعين سكان القرية، وهي مجاورة لمنزل فيرنلي بارك.

قلت: حسناً، أكملي.

- كما قلت؛ كنت عائدة من خلال الغابة عندما سمعت أصواتاً.

ثم سكتت، فقلت: نعم؟

- كان أحدها صوت رالف باتون... عرفته على الفور، وأما الآخر فكان صوت فتاة. أنا لم أقصد الإصغاء إليهما بالطبع...

قاطعتها بسخرية واضحة لم تكن تنفع مع كارولين على أية حال: بالطبع لم تقصدي.

- لكني لم أملك إلاّ سماع ما تناهى إلى أذني. قالت الفتاة شيئاً... لم أفهم ما قاله بالضبط، وأجابها رالف. بدا غاضباً، وقال لها: "يا عزيزتي، ألا تدركين أن الرجل العجوز يحتمل أن يحرمني من الميراث؟ كان منزعجاً مني في السنوات الماضية. إن أي تصرف آخر سيقضي على آمالي، ونحن بحاجة إلى النقود يا عزيزتي. سأصبح غنياً جداً عندما يموت العجوز. إنه رجل بخيل جداً، ولكنه يتقلب في الثراء ولا أريده أن يغير وصيته. اتركي الأمر لي ولا تقلقي". كانت تلك كلماته بالضبط، أتذكّرها تماماً، ولسوء الحظ دست وقتها على غصن جاف فأحدث صوتاً فخفضا صوتيهما وابتعدا، ولم أستطع -بالطبع- اللحاق بهما حتى أعرف من هي الفتاة.

قلت: لا بد أن ذلك أثار حنقك كثيراً. وأظنك هرعت إلى الفندق وأحسست بالدوار فدخلت إلى المقصف لتناول كأس من الليمون ولتتأكدي من أن النادلتين العاملتين فيه موجودتان؟

قالت كارولين دون تردد: لم تكن الفتاة التي معه نادلة. الحقيقة أنني أكاد أكون واثقة من أنها فلورا أكرويد، إلاّ...

وافقتها قائلاً: إلاّ أن هذه الفرضية لا تبدو ذات معنى.

- ولكن لو لم تكن فلورا، فمن عساها تكون إذن؟

ثم راجعتْ -بسرعة- قائمة بأسماء الفتيات اللاتي يعشن قريباً منّا، مع كثير من الأسباب التي تدعم هذه النظرية أو تفند تلك. وعندما سكتتْ لتلتقط أنفاسها تذرعتُ بوجود مريض أريد زيارته وتسللتُ خارجاً.

اعتزمت الذهاب إلى فندق ثري بورز، فمن المحتمل أن يكون رالف باتون قد عاد الآن إلى الفندق. كنت أعرف رالف جيداً، ربما أكثر من أي واحد آخر في القرية، لأني كنت أعرف والدته قبله ولذلك كنت أفهم فيه أشياء كثيرة تحيّر الآخرين. كان -إلى حد ما- ضحية الوراثة. لم يرث عن والدته الميل القاتل إلى الشراب، ولكنه كان يحمل في داخله -مع ذلك- شيئاً موروثاً من الضعف. كان بالغ الوسامة والحسن كما وصفه صديقي الجديد صباح اليوم، يتجاوز طوله مئة وثمانين سنتمتراً وجسمه متناسب مع طوله، مع سمت رياضي عفوي. أما وجهه الأسمر الذي يشبه وجه أمه والذي لوحته الشمس فقد كان مستعداً دوماً للإشراق بابتسامة.

كان رالف باتون واحداً من الذين يسحرون الناس بوسامتهم بسهولة ودون تكلف، وكان محبوباً وجميع أصدقائه مخلصين له. هل باستطاعتي عمل أي شيء مع الفتى؟ رأيت أنني أستطيع.

عندما سألت عنه في الفندق أخبروني بأنه قد وصل لتوه فصعدت إلى غرفته ودخلت دون استئذان. وحين تذكرت ما سمعته وما رأيته

شككت في حسن استقباله لي ولكن لم تكن هناك حاجة لهذا الشك، فقد استقبلني قائلاً: مَنْ؟ شبارد! تسرني رؤيتك.

تقدم للقائي ماداً يده لمصافحتي وقد أضاءت وجهه ابتسامة جميلة وقال: أنت الوحيد الذي تسعدني رؤيته في هذه القرية المقيتة.

رفعت حاجبي دهشة وسألت: وماذا فعلت القرية؟

ضحك ضحكة منزعج وقال: إنها قصة طويلة. الأمور لا تسير معي على ما يرام يا دكتور. هل تريد شرب شيء؟

– شكراً لك، لا بأس بذلك.

قرع الجرس ثم عاد وألقى بنفسه على كرسي وقال عابساً: لا أريد تزويق الكلام، فأنا في ورطة كبيرة. الواقع أنني لا أعرف ماذا أفعل.

سألته متعاطفاً: ما الأمر؟

– إنه زوج أمي البغيض.

– ما الذي فعله؟

– الأمر ليس ما فعله بعد، بل ما يمكن أن يفعله.

جاء خادم الفندق وطلب رالف المرطبات، وعندما ذهب الخادم جلس على الكرسي محدودباً عابساً. سألته: هل الأمر خطير حقاً؟

أومأ برأسه، ثم قال بحدية: إنني أواجه مشكلات كثيرة هذه المرة.

أنبأتني رنة التجهم غير المعتادة في صوته بأنه يقول الحقيقة؛ إذ ليس تجهم رالف بالأمر الذي يحصل بسهولة. ثم أكمل يقول: الواقع أنني لا أرى طريقاً أمامي... على الإطلاق.

قلت متردداً: إن كنت أستطيع المساعدة...

لكنه هز رأسه بقوة وقال: شكراً لك يا دكتور، لكنني لا أستطيع إقحامك في هذا الأمر. إنني مضطر لقطع الشوط وحيداً.

سكت بعض الوقت، ثم عاد يقول بنبرة تختلف قليلاً: نعم؛ إنني مضطر لقطع الشوط وحدي.

* * *

الفصل الرابع

عشاء في فيرنلي

كانت الساعة قبل السابعة والنصف ببضع دقائق عندما قرعت جرس الباب الخارجي في فيرنلي بارك، وقد فتح الخادم، باركر، الباب بسرعة تثير الإعجاب.

كان الجو جميلاً في تلك الليلة ولذلك آثرت الذهاب ماشياً. دخلت الصالة المربعة الكبيرة وساعدني باركر في خلع معطفي، ثم مرّ من جانبي سكرتير أكرويد (وهو شاب جميل المنظر يدعى ريموند) وكان في طريقه إلى مكتب أكرويد وهو محمل بالأوراق.

- مساء الخير يا دكتور. هل جئت إلى العشاء أم أنها زيارة طبية؟

كان سؤال الأخير إشارة إلى حقيبتي السوداء التي وضعتها على خزانة الأدراج. وشرحت له بأنني أتوقع استدعائي في أية لحظة إلى حالة ولادة ولذلك جئت مستعداً للطوارئ. أومأ ريموند برأسه وذهب في طريقه وهو ينظر إليّ ملتفتاً ويقول: تفضل في غرفة الاستقبال. أنت

تعرف الطريق، والسيدات سينزلن بعد قليل. سآخذ هذه الأوراق إلى السيد أكرويد وأخبره بحضورك.

كان باركر قد عاد إلى عمله عند ظهور ريموند، ولذلك بقيت في الصالة وحيداً. عدّلت ربطة عنقي ونظرت في المرآة الكبيرة التي كانت معلقة هناك وذهبت إلى الباب المواجه لي مباشرة، وكنت أعرف أنه باب غرفة الاستقبال، وانتبهت إلى صوت من الداخل وأنا أدير مقبض الباب. اعتبرته صوت إغلاق نافذة، وربما انتبهت إلى الصوت بطريقة آلية دون أن أعير الأمر أية أهمية في ذلك الوقت. فتحت الباب ودخلت، ولدى دخولي كدت أصطدم بالآنسة راسل التي كانت خارجة لتوها. واعتذر كل منا للآخر.

ولأول مرة رأيت نفسي أتأمل مدبرة المنزل وأفكر إلى أي مدى كانت جميلة فيما مضى. لم يكن الشيب قد خالط شعرها الأسود، وعندما يحمّر وجهها (كما حدث معها في هذه اللحظة) لم تكن آثار الحدة والصرامة في نظراتها تبدو جلية واضحة.

وقد تساءلت بطريقة لاواعية إن كانت خارج البيت لأنها كانت تتنفس بصعوبة وكأنها كانت تركض. قلت: أخشى أن أكون قد جئت مبكراً ببضع دقائق.

قالت: "آه، لا أظن ذلك. لقد تجاوزت الساعة الآن السابعة والنصف يا دكتور". وسكتت قليلاً قبل أن تضيف: إنني.. لم أعرف أنك مدعو للعشاء هذه الليلة. لم يذكر السيد أكرويد ذلك لي.

انتابني إحساس غامض بأن دعوتي إلى العشاء قد أزعجتها بشكل ما، ولكني لم أستطع إدراك السبب. سألتها: كيف حال ركبتك؟

- كما هي، شكراً يا دكتور. يجب أن أذهب الآن؛ فستنزل السيدة أكرويد في الحال. جئت... جئت إلى هنا فقط لكي أرى إن كانت الورود على ما يرام.

خرجتْ من الغرفة بسرعة، وذهبتُ ناحية النافذة متعجباً من رغبتها الواضحة في تبرير وجودها في الغرفة. وهناك رأيت ما كان بوسعي أن أعرفه منذ البداية لو أني تعمدت التفكير فيه، وهو أن نوافذ الغرفة لم تكن نوافذ بالمعنى المعروف بقدر ما كانت أبواباً زجاجية تفتح على المصطبة الخارجية. ولذلك فإن الصوت الذي سمعته لا يمكن أن يكون صوت نافذة تُغلَق.

ثم سليتُ نفسي -متكاسلاً- في محاولة تخمين ما يمكن أن يسبب ذلك الصوت وذلك تزجية للوقت ومحاولة لإبعاد ذهني عن أية أفكار أخرى مزعجة. أهو صوت الفحم في النار؟ لا، لم يكن ذلك الصوت يشبهه على الإطلاق. أهو صوت إغلاق درج المكتب؟ لا، ليس ذلك الصوت.

ثم وقعت عيناي على ما أظن أنه طاولة الفضيات، والتي يمكن رفع غطائها فيمكن رؤية محتوياتها من خلال الزجاج. ذهبت إليها وتفحصت محتوياتها. كان فيها قطعة أو قطعتان من الأطباق الفضية القديمة، وحذاء طفل يعود للملك تشارلز الأول، وبعض التماثيل الصينية، وعدد كبير من التحف الأفريقية. ورفعت الغطاء لأتفحص واحداً من التماثيل الصينية عن قرب لكنه انزلق من يدي ووقع لينطبق من جديد. وعلى الفور أدركت حقيقة الصوت الذي سمعته. كان صوت إغلاق غطاء هذه الطاولة نفسها عندما يغلق بهدوء وحذر.

وكررت الفعل أكثر من مرة لكي أتأكد، ثم رفعت الغطاء لكي أتفحص المحتويات عن قرب أكثر. وكنت منحنياً فوق طاولة الفضيات المفتوحة عندما دخلتْ فلورا أكرويد الغرفة.

كثير من الناس لا يحبّون فلورا أكرويد، لكن أحداً منهم لا يستطيع إلاّ الإعجاب بها. إن بوسعها أن تكون شديدة الفتنة مع أصدقائها؛ فشعرها ذهبي كشعر الإسكندنافيات وعيناها زرقاوان بزرقة مياه الخلجان النرويجية، ولها كتفان عريضان كأكتاف الفتيان. كانت رؤية فتاة بهذه الصحة الوافرة بالنسبة لطبيب مُتعَب مثلي أمراً يجدد النشاط والحيوية.

جاءتني فلورا عند طاولة الفضيات وأعربت عن شكوكها في أن الملك تشارلز الأول قد لبس هذا الحذاء وهو طفل، ثم تابعت تقول: وعلى كل حال فإن عمل ضجة لهذه الأشياء لأن شخصاً قد لبسها أو استعملها يبدو لي مسألة تافهة؛ فهي اليوم لا تُلبس ولا تُستخدَم.

وتوقفت عن الحديث برهة ثم قالت: لم تبارك لي يا دكتور شبارد. ألم تسمع الخبر؟

مدّت لي يدها الشمال لتريني، وكان في الإصبع الوسطى منها خاتم ثمين من اللؤلؤ. ثم أكملتْ تقول: سوف أتزوج رالف. عمي مسرور جداً، وهذا يبقيني ضمن العائلة.

قلت بحرارة: أتمنى لك السعادة يا عزيزتي.

أضافت تقول بصوتها الهادئ: كنّا مخطوبين منذ حوالي شهر لكنّا أعلنّا ذلك بالأمس فقط. سيرمّم لنا عمي منزل كروس ستونز لكي

نعيش فيه، وسوف نتظاهر بأننا نزرع، بينما نقوم فعلياً بالصيد طوال الشتاء، ونذهب إلى المدينة في فترات الأعياد، ثم نذهب لممارسة رياضة البحوث؛ فأنا أحب البحر كثيراً.

ثم دخلت السيدة أكرويد مسرعة وبدأت تعتذر عن تأخرها.

يؤسفني القول إنني أكره السيدة أكرويد؛ فهي مجموعة من الأسنان والعظام والعقود المتدلية... امرأة كريهة جداً ذات عينين زرقاوين صغيرتين شاحبتين، ورغم كل التدفق والعاطفية في كلماتها إلاّ أن عينيها تتأملان ببرود على الدوام.

ذهبت إليها تاركاً فلورا عند النافذة فمدّت لي يداً ليس فيها إلاّ السلاميات والخواتم لأصابعها، ثم بدأت تهذر: هل سمعت عن خطوبة فلورا؟ إنهما يليقان ببعضهما كثيراً. وقع الصغيران في الحب من النظرة الأولى. إنهما زوجان مثاليان، ولا أعرف كيف أصف لك -يا دكتور شبارد- مدى الارتياح الذي شعرت به أمّاً.

تنهدت السيدة أكرويد -وهي تراقبني بدهاء- ثم قالت: كنت أتساءل. إنك صديق قديم لروجر ونحن نعرف إلى أي مدى يثق في حكمك. صعبٌ جداً عليّ في موقفي أرملةً لأخيه المسكين، لكنّ لدينا أموراً كثيرة متعبة... الميراث ومثل هذه الأمور. أنا أؤمن تماماً بأن روجر يعتزم تسوية الأمور المالية للعزيزة فلورا، لكنه غريب بعض الشيء عندما يتعلق الأمر بالمال كما تعلم... يُقال إن هذا أمر عادي جدا بين الرجال العاملين في الصناعة. ترى هل يمكنك جس نبضه حول هذا الموضوع؟ إن فلورا تحبك كثيراً، ونحن نعتبرك صديقاً قديماً رغم أننا لم نعرفك إلاّ منذ سنتين فقط.

قوطع استرسال السيدة أكرويد عندما فُتح باب الغرفة مرة أخرى، وقد ارتحت لهذه المقاطعة؛ إذ أنني أكره التدخل في شؤون الآخرين، ولم أكن أنوي أبداً مناقشة أكرويد حول موضوع تسوية مخصصات فلورا، ولولا المقاطعة لاضطررت لإبلاغ السيدة بموقفي.

- هل تعرف الميجر بلانت يا دكتور؟

- نعم، أعرفه.

كثير من الناس يعرفون هكتور بلانت... على الأقل من خلال السمعة؛ فلقد قَتل من الحيوانات البرية في أماكن غريبة لا يتوقعها أحد أكثرَ مما قتل أيُّ امرئ غيره. وعندما تذكره يقول الناس: "بلانت... هل تعني ذلك الرجل الضخم الصياد؟".

وقد حيرتني -دوماً- صداقته لأكرويد إلى حدٍ ما؛ فالرجلان يختلفان عن بعضهما تماماً، وربما كان هكتور بلانت يصغر أكرويد بخمس سنوات. بدأتْ صداقتهما في وقت مبكر من العمر، ورغم أن سبل الحياة اختلفت بينهما إلاّ أن الصداقة بقيت كما هي، وكان بلانت يأتي لزيارة أكرويد مرة كل سنتين ويقيم في بيته أسبوعين. وهناك رأس حيوان ضخم بعدد لا يصدق من القرون يحدق فيك عند مدخل الباب الخارجي ويذكرك دوماً بالصداقة التي بينهما.

دخل بلانت الغرفة بمشيته الخاصة المتأنية رغم هدوئها وخفتها. وهو رجل متوسط الطول ذو بنية قوية وذو وجه أحمر خالٍ تماماً من أي تعبير، وعيناه رماديتان تعطيان انطباعاً بأنه دائم المراقبة لشيء يحدث بعيداً جداً. إنه يتحدث قليلاً، والعبارات القليلة التي يقولها يطلقها قذفاً، وكأن الكلمات تندفع من فمه رغم إرادته.

قال بطريقته السريعة المعتادة: "كيف حالك يا شيارد؟"، ثم وقف منتصباً أمام المدفأة ينظر إلى ما فوق رؤوسنا وكأنه يرى شيئاً مثيراً جداً يحدث في مكان بعيد.

قالت فلورا: أرجو أن تحدثني –يا ميجر بلانت– عن هذه الأشياء الأفريقية. أنا واثقة أنك تعرف ما هي.

كنت قد سمعت مَن يصف الميجر بلانت بأنه يكره النساء، ولكني لاحظته ينضم إلى فلورا عند طاولة الفضيات بما يمكن وصفه بالحيوية والنشاط، وهناك راحا يتفحصان محتوياتها معاً.

كنت أخشى أن تعود السيدة أكرويد للحديث عن تسويات الإرث مرة أخرى؛ ولذلك أسرعت إلى إلقاء بعض الملاحظات العابرة عن النوع الجديد من البازلاء العطرة. وكنت أعرف وجود بازلاء عطرة جديدة لأن صحيفة الديلي ميل ذكرت شيئاً عن ذلك هذا الصباح. لم تكن السيدة أكرويد تعرف شيئاً عن الزراعة لكنها من النوع الذي يحب أن تظهر بمظهر المطّلع على مواضيع الساعة، كما أنها تقرأ الديلي ميل أيضاً. وقد تحدثنا حديثاً علمياً إلى أن جاء أكرويد وسكرتيره عندنا، وعلى الفور أعلن باركر أن العشاء جاهز.

كان مقعدي على مائدة العشاء يتوسط السيدة أكرويد وفلورا، وكان بلانت يجلس على الجانب الآخر من مقعد السيدة أكرويد وجلس بجانبه جيوفري ريموند. لم يكن العشاء بهيجاً، فقد بدا واضحاً أن أكرويد مشغول البال، وكان يبدو بائساً ولم يأكل شيئاً. وقد أبقينا أنا والسيدة أكرويد وريموند على الحديث دائراً. وبدت فلورا متأثرة لاكتئاب عمها، بينما ركن بلانت إلى صمته المعتاد.

بعد العشاء مباشرة دسّ أكرويد ذراعه تحت ذراعي وأخذني إلى مكتبه. أوضح يقول: بعد أن نشرب القهوة سنأخذ راحتنا؛ فقد قلت لريموند بأن يحرص شخصياً على ألاّ يقاطعنا أحد.

نظرت إليه نظرات متفحصة دون أن أبدي ذلك. كان واضحاً أنه تحت تأثير انفعال قوي ما، وقد راح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً لبعض الوقت، وعندما دخل باركر حاملاً صينية القهوة ألقى بنفسه على كرسي أمام النار.

كان المكتب غرفة مريحة، وقد غطت رفوف الكتب إحدى جدرانه. كانت الكراسي كبيرة ومغطاة بالجلد الأزرق الداكن، وقرب النافذة مكتب ضخم عليه أوراق مرتبة ومنظمة، وعلى طاولة مستديرة وضعت مجلات مختلفة وصحف رياضية.

قال أكرويد بهدوء بعد أن ارتشف من فنجان القهوة: لقد عاد إليّ مؤخراً ذلك الألم الذي يصيبني بعد تناول الطعام. يجب أن تعطيني مزيداً من تلك الحبوب.

خطر لي أنه كان حريصاً على إعطائي انطباعاً بأن اجتماعنا كان لأهداف علاجية، لذلك جاريته في ذلك وقلت: لقد حسبت ذلك، وقد أحضرت معي بعضاً منها.

– جيد، أعطني إياها الآن.

– إنها في حقيبتي في الصالة، سأحضرها.

أمسك أكرويد بذراعي قائلاً: لا تتعب نفسك؛ سيحضرها

باركر. أحضر حقيبة الدكتور يا باركر.

– حسناً يا سيدي.

خرج باركر، وعندما كنت على وشك الحديث رفع أكرويد يده وقال: ليس الآن... انتظر. ألا ترى أنني في حالة عصبية لا أكاد معها أسيطر على نفسي.

كنت أرى ذلك عليه بوضوح، وكنت قلقاً جداً؛ فقد انتابتني أنواع الهواجس. تكلم أكرويد –على الفور– مرة أخرى: تأكد من إغلاق النافذة.

نهضت إليها وقد فاجأني طلبه إلى حد ما. لم تكن النافذة باباً زجاجياً، بل نافذة عادية ذات إطار، وكانت تغطيها الستائر المخملية الزرقاء الثقيلة، ولكن النافذة نفسها كانت مفتوحة من أعلى.

جاء باركر ثانية وهو يحمل الحقيبة وأنا ما زلت عند النافذة. قلت وأنا أعود إلى مكاني: لا بأس بهذا.

– هل أغلقت النافذة بالمزلاج؟

– نعم، نعم. ما الذي جرى لك يا أكرويد؟

كان باركر قد أغلق الباب وراءه لتوه، وإلاّ ما سألته ذلك السؤال. وانتظر أكرويد دقيقة قبل أن يجيبني، ثم قال ببطء: إنني أتعذب. لا، لا تشغل بالك بأمر هذه الحبوب. قلت ذلك فقط أمام باركر؛ إن الخدم فضوليون جداً. تعال واجلس هنا. هل الباب مغلق أيضاً؟

– نعم. لن يسمعنا أحد، لا تقلق.

– شبارد، لا أحد يعلم ما كابدته في الساعات الأخيرة. إن كان بيتٌ تحطم فوق رأس صاحبه فهو بيتي، وجاء أمر رالف هذا ليكمل المصيبة. لكننا لن نتحدث عن هذا الآن، إنما عن الآخر... الآخر! لا أعرف ما الذي أفعله حيال ذلك، ويجب أن أحزم أمري بأقرب وقت.

– ما هي المشكلة؟

ظل أكرويد صامتاً بعض الوقت. بدا وكأنه يكره البدء بالحديث، وعندما تكلم كان السؤال الذي سأله مفاجئاً لي تماماً... كان آخر ما توقعته منه. قال: شبارد، لقد أشرفتَ على علاج آشلي فيرارز في مرضه الأخير، أليس كذلك؟

– بلى، أشرفت على علاجه.

بدا وكأنه يواجه صعوبة أكبر في صياغة سؤاله التالي.

– هل شككت... أو خطر لك أبداً... أنه... أنه ربما مات مسموماً؟

سكتُ قليلاً، ثم أجمعت أمري على ما أريد قوله، فروجر أكرويد لم يكن كارولين. قلت: سأقول لك الحقيقة. في ذلك الوقت لم يكن لديّ أي شك على الإطلاق، ولكن منذ... حسناً، كان مجرد حديث من جانب أختي هو الذي وضع الفكرة في رأسي، ومنذ ذلك الحين لم أستطع إبعادها عن تفكيري. ولكن تذكّرْ أن ليس عندي أساس حقيقي لذلك الاشتباه.

– لقد مات مسموماً بالفعل.

قال ذلك بصوت ثقيل متعب، فقلت بحدة: ومَن سمّه؟

– زوجته.

– وكيف عرفت ذلك؟

– هي أخبرتني بنفسها.

– متى؟

– بالأمس. يا إلهي، بالأمس! يبدو وكأنه منذ عشر سنوات.

انتظرت قليلاً فتابع يقول: أتفهم يا شبارد؟ إنني أصارحك بهذا السر بيني وبينك. يجب ألاّ يخرج إلى أحد غيرك، وأنا أريد نصيحتك. لا أستطيع تحمل هذا العبء كله بنفسي. وكما قلت، لا أعرف ماذا أفعل.

– هل يمكنك إخباري بالقصة كاملة؟ ما زلت لا أعلم شيئاً. كيف اعترفتْ لك السيدة فيرارز بهذا؟

– الأمر كما يلي: قبل ثلاثة أشهر طلبت يد السيدة فيرارز للزواج، فرفضت. وطلبت يدها مرة أخرى فقبلت، لكنها رفضت السماح لي بإعلان خبر الخطوبة إلى أن تنتهي سنة حدادها. وقد زرتها بالأمس وقلت لها إن سنة وثلاثة أسابيع قد مضت على وفاة زوجها ولذلك لا توجد أية عوائق أمام إعلان الخطبة. كنت قد لاحظت أن سلوكها قد غدا غريباً جداً في الأيام القليلة الماضية، لكنها انهارت

أمس –فجأة– دون مقدمات. لقد... لقد أخبرتْني بكل شيء؛ كراهيتها لزوجها القاسي، وحبها المتنامي لي، و... والوسيلة الرهيبة التي اتبعتها. السم! يا إلهي! كانت جريمة قتل بدم بارد.

رأيت الاشمئزاز والرعب في وجه أكرويد، ولا بد أن السيدة فيرارز قد رأت ذلك في وجهه أيضاً؛ فأكرويد ليس ذلك العاشق العظيم الذي يمكن أن يغفر كل شيء من أجل الحب. إنه مواطن صالح في جوهره، ولا شك أن كل ما تحمله نفسه من استقامة وعدالة والتزام بالقانون قد انقلب تماماً ضدها في لحظة المكاشفة تلك.

ثم أكمل حديثه بصوت منخفض رتيب: نعم، اعترفتْ بكل شيء، ويبدو أن شخصاً واحداً كان يعرف بهذا من البداية... وقد كان يبتزها ويأخذ منها مبالغ كبيرة من المال، وذلك ما دفعها إلى حافة الجنون.

– مَن هو ذلك الرجل؟

فجأة ظهرتْ أمام عينيّ صورة رالف باتون والسيدة فيرارز جنباً إلى جنب ورأساهما قريبان من بعضهما، وأحسست –للحظة– بوخز الانفعال. فلنفترض... آه! ذلك مستحيل بالتأكيد. تذكرت ترحيب رالف الحار بي بعد ظهر ذلك اليوم. هراء!

قال أكرويد ببطء: لم تخبرني باسمه، وفي الواقع لم تقل إنه رجل. لكنه بالطبع...

وافقته قائلاً: بالطبع، لا بد أن يكون رجلاً. ألا تشك بأحد على الإطلاق؟

زمجر أكرويد جواباً على سؤالي وألقى برأسه بين يديه وقال: لا يمكن أن يكون. أكون مجنوناً حتى لو فكرت في هذا الشيء. لا، لن أعترف حتى لك أنت بالشك الطائش الذي خطر لي، ومع ذلك فإنني سأقول لك ما يلي: قالت شيئاً جعلني أعتقد بأن هذا الشخص قد يكون واحداً من أهل بيتي! ولكن لا يمكن أن يحدث هذا... لا بد أنني أسأت فهمها.

– وما الذي قلته لها؟

– وماذا يمكنني قوله؟ لاحظتْ تأثير الصدمة عليّ بالطبع. ثم كان عليّ أن أقرر واجبي في هذه المسألة؛ فلقد جعلتني –باعترافها لي– شريكاً في الجريمة بعد وقوعها. وقد لاحظتْ هي كل ذلك بأسرع مما لاحظتُه أنا؛ فلقد أذهلتني الصدمة. وبعد ذلك طلبتْ مني مهلة أربع وعشرين ساعة وجعلتني أعدها بألاّ أفعل شيئاً لحين انتهاء هذه المهلة، وأصرت على رفضها إعطائي اسم ذلك الوغد الذي كان يبتزها. أظن أنها كانت تخشى أن أذهب إليه مباشرة وأنال منه فأصب الزيت على النار وهو ما لم ترغب به. أخبرتني بأنني سأسمع منها قبل انقضاء الوقت المحدد. يا إلهي! أقسم لك –يا شبارد– أنني لم أفكر أبداً فيما كانت تعتزم فعله. انتحار! وأنا الذي دفعتها إليه.

قلت: لا، لا. لا تبالغ في رؤيتك للأشياء. إن المسؤولية عن وفاتها لا تقع عليك.

– السؤال هو: ماذا أفعل الآن؟ السيدة المسكينة ماتت، فلماذا أثير أحداثاً مضت؟

– أتفق معك في هذا.

– ولكن توجد مسألة أخرى. كيف أمسك بذلك الوغد الذي دفعها إلى الموت وكأنه قتلها؟ لقد عرف عن جريمتها فراح يبتزها بجشعه وطمعه. لقد أخذت جزاءها، فهل يفلت هو من العقوبة؟

قلت ببطء: فهمت. هل تريد القبض عليه؟ سيقود هذا إلى فضيحة كبرى.

– نعم؛ فكرت في هذا، قلّبت هذا الأمر في ذهني كثيراً.

– أوافقك على وجوب أن ينال هذا الوغد جزاءه، ولكن يجب أن تحسب حساباً للثمن.

نهض أكرويد عن مقعده وراح يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً، ثم رمى بنفسه على الكرسي مرة أخرى وقال: اسمعني يا شبارد، ماذا لو تركنا الأمر على هذا الحال. إذا لم تأت كلمة منها فسوف نبقي السر مدفوناً.

سألته بفضول: ماذا تقصد بكلمة تأتي منها؟

– لديّ إحساس قوي بأنها تركت وراءها –دون شك– رسالة لي في مكان ما أو بطريقة ما قبل أن تموت. لا أستطيع إثبات ذلك، ولكن هذا ما أحسه وما أنا مقتنع به. وأكثر من ذلك، لديّ إحساس بأنها كانت تريد –بانتحارها هذا– كشف الأمر كله، حتى إن كان هدفها الوحيد هو الانتقام من الرجل الذي دفعها إلى حافة اليأس. أعتقدُ أنه لو قدّر لي أن أراها في تلك اللحظة لأخبرتني عن اسمه ولطلبت

مني ملاحقته ما استطعت.

نظر إليَّ وقال: ألا تؤمن بالأحاسيس والغرائز؟

– آه، نعم أؤمن بها من بعض النواحي. لو أخبرتنا بشيء كما تقول...

لكني سكت. فتح باركر الباب بهدوء ودخل حاملاً طبقاً عليه بعض الرسائل، وقال وهو يقدم الطبق إلى أكرويد: "بريد المساء يا سيدي". ثم جمع فناجين القهوة وخرج.

انتبهت مرة أخرى إلى أكرويد. كان يحدق مثل رجل تحول إلى صخرة بظرف أزرق طويل، أما الرسائل الأخرى فتركها تسقط على الأرض.

قال هامساً: هذا خطها. لا بد أنها خرجت ووضعت الرسالة في البريد الليلة الماضية قبل... قبل...

فتح الظرف بسرعة وأخرج منه ورقة سميكة، ثم رفع بصره بحدة وقال: هل أنت متأكد من أنك أغلقت النافذة؟

قلت وقد فوجئت: بالتأكيد. لماذا؟

– لديَّ إحساس غريب بأن أحداً يراقبني ويتحسس علي منذ بداية هذا المساء. ما هذا؟

التفت بحدة والتفتُّ أنا معه. كلانا أحس سماع مزلاج الباب يفتح قليلاً. وذهبت صوبه وفتحته، ولم يكن هناك أحد.

همس أكرويد قائلاً: "الأعصاب!"، ثم فتح الورقة الثخينة وقرأ بصوت خفيف حتى يُسمعني:

عزيزي، عزيزي الغالي روجر،

العين بالعين. إنني أرى هذا... رأيته في وجهك بعد ظهر هذا اليوم؛ ولذلك فإنني أسلك الطريق الوحيد المفتوح أمامي. أترك لك معاقبة الشخص الذي جعل حياتي جحيماً طوال السنة الماضية. لم أخبرك باسمه بعد ظهر اليوم، لكني أريد كشفه لك الآن. ليس عندي أطفال أو أقارب مقربين أخشى على سمعتهم، ولذلك لا تخشَ من شيوع الخبر. إن كان بوسعك يا عزيزي، يا عزيزي الغالي روجر، أن تغفر لي الظلم الذي قصدت إلحاقه بك، إذ أنني لم أستطع –عندما حان الوقت– أن ألحقه بك في نهاية الأمر...

سكت أكرويد وإصبعه على الورقة يريد قلبها ثم قال متردداً: اعذرني يا شبارد؛ يجب أن أقرأ هذه بمفردي. لقد كُتبت هذه الرسالة لتراها عيناي أنا... عيناي فقط.

وضع الرسالة في الظرف ووضعه على الطاولة وقال: فيما بعد، عندما أكون وحدي.

صحت لاشعورياً: لا، اقرأها الآن.

حدّق أكرويد بي مدهوشاً، فقلت وقد احمرَّ وجهي: أرجو المعذرة. لم أقصد أن تقرأها أمامي بصوت مرتفع، ولكن اقرأها في سرِّك وأنا موجود هنا.

هز أكرويد رأسه وقال: لا، أفضّل الانتظار.

لكني -لسبب لا أعرفه- واصلت الإلحاح عليه، قلت: اقرأ على الأقل اسم الرجل.

إن أكرويد عنيد تماماً، فكلما ألححت عليه لفعل شيء كلما أصر على عدم فعله. وذهبت جميع محاولاتي معه في مهب الريح.

كانت الرسالة قد وصلت الساعة التاسعة إلا ثلثاً، وعندما تركته كانت الساعة التاسعة إلا عشر دقائق وما زالت الرسالة لم تُقرأ. ترددت ويدي ممسكة بمقبض الباب وأنا أنظر إلى الوراء متسائلاً إن كان ثمة شيء لم أفعله، فلم أجد شيئاً. خرجت وأنا أهز رأسي أسفاً وأغلقت الباب ورائي.

جفلت من رؤية باركر قريباً مني. كان يبدو مرتبكاً وخطر لي أنه ربما كان يتنصّت وراء الباب. أي وجه سمين مداهن لهذا الرجل! وقد كان في عينيه -بالتأكيد- شيء من المكر.

قلت ببرود: لا يريد السيد أكرويد أن يزعجه أحد أبداً، وقد طلب مني إخبارك بهذا.

بوابة البيت، واستدرت إلى اليسار باتجاه القرية فكدت أصطدم برجل قادم من الاتجاه المعاكس.

سألني الرجل الغريب بصوت أجش: أهذا هو الطريق إلى فيرنلي بارك يا سيّد؟

نظرت إليه. كان يلبس قبعة تغطّي عينيه ويرفع ياقة معطفه. لم أستطع رؤية شيء من وجهه، ولكنه بدا شاباً. وكان صوته فظاً لا يدل على ثقافة.

قلت: هذه هي بوابة البيت.

-شكراً لك يا سيّد.

سكت قليلاً ثم أضاف دون ضرورة: أنا غريب في هذه القرية.

دخل البوابة وأنا أنظر إليه، والغريب أن صوته ذكرني بصوت كنت أعرفه، لكني لم أستطع تحديد صاحبه.

وبعد عشر دقائق كنت في بيتي مرّة أخرى. كانت كارولين في غاية الفضول لمعرفة سبب عودتي في هذا الوقت المبكّر. كان عليّ أن أخترع قصة خيالية عن الأمسية حتى أرضيها، وقد انتابني إحساس

كانت الساعة العاشرة والربع عندما صعدنا إلى الطابق العلوي للنوم، وعندما وصلت إلى أعلى الدرج دق جرس الهاتف في الصالة أسفل مني. قالت كارولين على الفور: إنها السيدة بيتس.

قلت بامتعاض: أخشى ذلك.

نزلت إلى الصالة مسرعاً ورفعت السماعة. قلت: ماذا؟ ماذا؟ بالتأكيد، سآتي على الفور.

صعدت الدرج مسرعاً وأخذت حقيبتي ووضعت فيها بعض الضمادات الإضافية. وصحت أنادي كارولين: باركر هو الذي اتصل من فيرنلي. **لقد وجدوا روجر أكرويد مقتولاً!**

* * *

الفصل الخامس

جريمة قتل

أخرجت السيارة فوراً وانطلقت بها إلى فيرنلي، وهناك قفزت منها وضربت الجرس دون صبر. تأخروا قليلاً في فتح الباب فضربت مرة أخرى، ثم سمعت صوت المفاتيح وفتح باركر بملامحه الجامدة.

دخلت الصالة مسرعاً وسألته بحدة: أين هو؟

- عفواً يا سيدي، ماذا تقول؟

- سيدك؛ السيد أكرويد. لا تقف هكذا تحدق فيّ أيها الرجل. هل بلغت الشرطة؟

- الشرطة يا سيدي؟ هل قلت الشرطة؟

كان باركر يحدق فيّ وكأنني شبح، فقلت: ماذا دهاك يا باركر؟ لو كان سيدك قد قُتل كما تقول...

شهق باركر وقال: سيدي؟ قتل؟ مستحيل يا سيدي.

جاء دوري للتحديق فيه وقلت مستغرباً: ألم تخابرني قبل أقل من خمس دقائق قائلاً إن السيد أكرويد قد وُجد مقتولاً؟

– أنا يا سيدي؟ آه! كلا بالطبع. ما كنت لأحلم بالقيام بمثل هذا الأمر.

– هل تريد أن تقول إن الأمر كله خدعة وإن شيئاً لم يحدث للسيد أكرويد؟

– عذراً يا سيدي، هل استخدم الشخص الذي اتصل اسمي؟

– سأخبرك بما قاله بالضبط. لقد قال: "الدكتور شبارد؟ باركر يتكلم، الخادم من فيرنلي. هلاّ جئت على الفور يا سيدي؛ لقد قُتل السيد أكرويد".

راح كل واحد منا يحدق في الآخر مشدوهاً، وأخيراً قال بنبرة المصدوم: إنها مزحة قذرة جداً يا سيدي. غريب قول مثل هذا الشيء.

سألته فجأة: أين السيد أكرويد؟

– أظنه ما زال في مكتبه يا سيدي. صعدت السيدتان للنوم والميجر بلانت في غرفة البلياردو مع السيد ريموند.

– أريد أن أطل عليه لرؤيته فقط. أعرف أنه لا يريد لأحدٍ أن يقطع عليه خلوته، ولكن هذا الأمر الغريب أقلقني. أريد –فقط– أن أطمئن أنه بخير.

– حاضر يا سيدي، أنا الآخر بدأت أقلق. أرجو ألاّ تمانع في أن

أرافقك حتى الباب يا سيدي؟

– بالطبع. تعال.

دخلت الباب القائم على اليمين وتبعني باركر، وعبرنا الردهة الصغيرة حيث يوجد درج صغير يؤدي إلى غرفة نوم أكرويد في الطابق العلوي، وضربت على باب غرفة المكتب. ولم يجبني أحد، فأدرت مقبض الباب لكن الباب كان مغلقاً بالمفتاح.

قال باركر: اسمح لي يا سيدي.

جثا على ركبته بخفة غير متوقعة من رجل بمثل بنيته وقرب عينه إلى فتحة المفتاح. قال وهو ينهض: المفتاح في الباب يا سيدي، من الداخل. لا بد أن السيد أكرويد قد أغلق الباب على نفسه وربما أخذه النوم.

أنزلت رأسي لأتحقق من كلام باركر.

– يبدو الأمر على ما يرام. ومع ذلك يا باركر، سأوقظ سيدك من نومه. لن أقتنع بالعودة إلى البيت إلاّ بعد أن أسمع من لسانه بأنه بخير.

قلت ذلك ثم بدأت أحرك مقبض الباب وأنادي: "أكرويد، أكرويد، دقيقة واحدة من فضلك". لكنه لم يجبني. نظرت خلفي وقلت متردداً: لا أريد إزعاج أهل البيت.

ذهب باركر وأغلق باب الصالة الذي دخلنا منه ثم قال: أظن أن هذا يكفي يا سيدي. غرفة البلياردو في الجانب الآخر من البيت وكذلك المطبخ وغرفتا نوم السيدتين.

أومأت برأسي راضياً، ثم ضربت على الباب بقوة مرة أخرى وأنا أنظر من فتحة الباب: أكرويد، أكرويد! أنا شبارد، أدخلني.

ورغم ذلك بقي الصمت سائداً. لا توجد علامة على الحياة من داخل الغرفة المغلقة. تبادلت النظرات مع باركر، ثم قلت: اسمعني يا باركر، سوف أكسر هذا الباب، أو بالأحرى... نكسره معاً. وأنا سأتحمل المسؤولية.

قال باركر بارتياب: حسناً، إن كان هذا ما تراه يا سيدي.

– هذا فعلاً ما أراه. إنني خائف جداً على السيد أكرويد.

نظرت حولي إلى الردهة الصغيرة وحملت كرسياً ثقيلاً من البلوط. أمسكت به أنا وباركر وتقدمنا هاجمين بضربة، ثم اثنتين، ثم ثلاث... وفي الضربة الثالثة فُتح الباب ودخلنا إلى الغرفة.

كان أكرويد جالساً كما تركته على كرسيه أمام النار. كان رأسه يميل جانباً، وبدا بوضوح –تحت ياقة معطفه تماماً– نصل معدني يلمع. تقدمنا أنا وباركر إلى أن وقفنا فوق الجسد المرتخي. وسمعت الخادم يسحب أنفاسه بحسيس حادٍ ويتمتم: طعن من الخلف... رهيب!

مسح العرق عن جبينه بمنديله ثم مدّ يده المرتعشة إلى مقبض الخنجر، فقلت بحدة: يجب ألاّ تلمسه. اذهب إلى الهاتف على الفور واتصل بمركز الشرطة. أبلغهم عن الذي حدث، ثم أخبر السيد ريموند والميجر بلانت.

– حسناً يا سيدي.

خرج باركر مسرعاً وما زال يمسح العرق عن جبينه. وقمت بالقليل مما يتعين عليّ فعله، وكنت حريصاً على ألاّ أحرك الجثة من مكانها ولا أمسك بالخنجر على الإطلاق، ولم أجد داعياً لانتزاع الخنجر، إذ بدا واضحاً أن أكرويد قد مات منذ فترة. ثم سمعت صوت ريموند في الخارج وقد ملأه الرعب وعدم التصديق.

– ماذا تقول؟ آه! مستحيل! أين الطبيب؟

جاء مندفعاً ثم وقف جامداً عند مدخل الباب ووجهه شاحب جداً. وجاء الميجر هكتور بلانت وأزاحه جانباً ثم دخل.

قال ريموند من ورائه: يا إلهي، إذن فالأمر صحيح!

جاء بلانت إلى أن وصل إلى الكرسي. مال على الجثة فظننت أنه سوف يمسك بمقبض الخنجر مثل باركر، فسحبته إلى الوراء بيدي وقلت موضحاً: يجب ألاّ يُحرَّك شيء من مكانه. يجب أن يراه الشرطة على حالته هذه.

أومأ بلانت وقد أدرك الحقيقة على الفور. كان وجهه خالياً من التعبير كعادته، ولكني ظننت أني رأيت علامات الانفعال تحت هذا القناع الصلب. وجاء جيوفري ريموند ووقف عندنا ينظر إلى الجثة من وراء بلانت. قال بصوت منخفض: هذا مخيف.

كان قد استعاد رباطة جأشه، ولكن عندما خلع نظارته التي يلبسها في العادة ومسحها لاحظت أن يده كانت ترتعش. قال: أظنها محاولة سطو. كيف دخل المجرم؟ من النافذة؟ هل سُرق شيء؟

ذهب إلى المكتب، فقلت ببطء: أتظنها عملية سطو؟

– وماذا تكون غير ذلك؟ لا أظن الانتحار وارداً؟

قلت واثقاً: لا أحد يستطيع طعن نفسه بهذه الطريقة. إنها جريمة قتل دون شك، ولكن ما هو الدافع؟

قال بلانت بهدوء: ليس لروجر أي عدو على الإطلاق. لا بد أنهم لصوص، ولكن ما الذي كان يبحث عنه اللص؟ لا يبدو أي عبث بالمكتب؟

نظر إلى الغرفة حوله. كان ريموند يقلب الأوراق الموجودة على الطاولة، وأخيراً قال السكرتير: لم يُفقَد شيء كما يبدو، كما لا توجد أية إشارة على العبث بالأدراج. مسألة غامضة جداً.

حرّك بلانت رأسه قليلاً وقال: توجد بعض الرسائل على الأرض.

نظرت إلى الأرض. ما زالت على الأرض هنا ثلاث رسائل أو أربع هي التي أسقطها أكرويد هذا المساء، لكن الظرف الأزرق الذي يحتوي على رسالة السيدة فيرارز قد اختفى. كدت أفتح فمي لأتكلم لكني سمعت صوت الجرس، ثم سمعت أصوات همهمات وأصواتاً مشوشة في الصالة وظهر باركر برفقة مفتش الشرطة عندنا ومعه شرطي.

قال المفتش: مساء الخير يا سادة. أنا آسف جداً على هذا! رجل لطيف وطيب مثل السيد أكرويد. الخادم يقول إنها جريمة قتل. ألا يوجد أي احتمال على وقوع حادث أو انتحار أيها الطبيب؟

– لا، أبداً.

– آه! جريمة مروعة.

جاء ووقف فوق الجثة ثم سأل بحدة: هل حركتموه من مكانه؟

– فيما عدا التأكد من وفاته (وهي مسألة سهلة) لم أحرك الجثة بأي شكل من الأشكال.

– آه! وكل شيء يشير إلى أن القاتل فرّ بجلده... مؤقتاً على الأقل. والآن أريد أن أسمع كل شيء عن الأمر. مَن اكتشف الجثة؟

شرحت له الملابسات شرحاً دقيقاً.

– تقول مكالمة هاتفية؟ من الخادم؟

قال باركر جاداً: مكالمة لم أجرها على الإطلاق. لم أقترب من الهاتف طوال المساء، ويمكن أن يؤكد ذلك الآخرون.

– هذا غريب. هل بدا الصوت كصوت باركر يا دكتور؟

– لا أستطيع القول إنني لاحظت ذلك. لقد سلّمت بالأمر فقط.

– أمر طبيعي. حسناً، وصلت إلى هنا وكسرت الباب ووجدت السيد أكرويد المسكين على هذه الحال. منذ متى ترى أنه توفي يا دكتور؟

– قبل نصف ساعة على الأقل... وربما أكثر.

– هل قلت إن الباب كان مغلقاً من الداخل؟ وماذا عن النافذة؟

– أنا بنفسي أغلقتها بالمزلاج بناء على طلب أكرويد في وقت سابق من هذا المساء.

ذهب المفتش باتجاهها وسحب الستائر ثم قال: حسناً، إنها مفتوحة الآن.

وبالفعل كانت النافذة مفتوحة، فالجزء السفلي من النافذة كان مرفوعاً إلى آخره. وأخرج المفتش من جيبه مصباح جيب وأضاءه باتجاه عتبة النافذة من الخارج ثم قال: لا شك أنه خرج من هنا، ومن هنا دخل أيضاً. انظروا هنا.

كان يمكن رؤية عدة آثار أقدام واضحة تحت ضوء المصباح. بدت آثار حذاء له نعل من المطاط، وكانت بعضها واضحة وتشير باتجاه الداخل وأخرى تكاد تتقاطع معها وتشير إلى الخارج.

قال المفتش: واضح تماماً. هل فُقد شيء ثمين؟

هز جيوفري ريموند رأسه نافياً: لم تكتشف اختفاء شيء ثمين حتى الآن. إن السيد أكرويد لا يحتفظ بشيء ثمين في هذه الغرفة.

قال المفتش: وجد الرجل النافذة مفتوحة فتسلقها ودخل، ورأى السيد أكرويد جالساً هناك، وربما كان نائماً، فطعنه من الخلف ثم فقد أعصابه وهرب، لكنه أبقى على آثاره واضحة. يجب أن نكتشفه دون كثير عناء. ألا توجد شبهات بخصوص أي شخص غريب كان يحوم قريباً من البيت؟

صحت فجأة: آه!

– ما الأمر يا دكتور؟

– لقد قابلت رجلاً هذا المساء... تماماً عندما كنت خارجاً من

البوابة، وسألني عن الطريق إلى فيرنلي بارك.

– متى كان ذلك؟

– الساعة التاسعة تماماً. سمعتها تدق معلنة التاسعة بينما كنت خارجاً من البوابة.

– هل يمكنك وصفه؟

وصفته له جاهداً، فالتفت المفتش إلى الخادم وقال: هل جاء أحد بهذه الأوصاف إلى بوابة البيت الأمامية؟

– لا يا سيدي؛ لم يأت أحد إلى البيت طوال هذا المساء.

– وماذا عن الباب الخلفي؟

– لا أظن ذلك يا سيدي، لكني سأتحقق من الأمر.

ذهب إلى الباب لكن المفتش رفع يده معترضاً وقال: لا، شكراً لك؛ سأتحقق من ذلك بنفسي. ولكن قبل كل شيء أريد تحديد الأوقات بشيء من الوضوح. متى كانت آخر مرة شوهد فيها السيد أكرويد على قيد الحياة؟

قلت: ربما كنت أنا آخر من رآه، وذلك عند مغادرتي له في الساعة... دعني أتذكر. التاسعة إلاّ عشر دقائق تقريباً. أخبرني بأنه لا يريد أن يقطع عليه أحد خلوته فكررت الأمر على مسامع باركر.

قال باركر باحترام: هذا صحيح يا سيدي.

تدخل ريموند قائلاً: كان السيد أكرويد على قيد الحياة في التاسعة والنصف بالتأكيد لأنني سمعته يتكلم هنا.

- مع من كان يتكلم؟

- لا أعرف. ظننت -في ذلك الوقت- أنه يتكلم مع الدكتور شبارد الذي كان معه. أردت سؤاله عن بعض الأوراق التي كنت مشغولاً بها، ولكني، عندما سمعت الأصوات، تذكرت قوله إنه يريد الحديث مع الدكتور شبارد دون أن يزعجهما أحد فعدت ثانية. ولكن يبدو الآن أن الدكتور كان خارجاً وقتها؟

أومأت برأسي وقلت: كنت في بيتي الساعة التاسعة والربع، ولم أخرج ثانية إلى أن جاءتني المكالمة الهاتفية.

سأل المفتش: من يمكن أن يكون معه في التاسعة والنصف؟ هل كنت أنت يا سيد...

قلت: ميجر بلانت.

سأله المفتش بنبرة فيها احترام: الميجر هكتور بلانت؟

لم يجبه بلانت إلاّ بحركة من رأسه.

قال المفتش: أظن أننا رأيناك هنا من قبل يا سيدي. لم أعرفك على الفور لكنك كنت تقيم مع السيد أكرويد في شهر أيار من العام الماضي.

صحّح له بلانت: بل حزيران.

- نعم، كان في حزيران. إذن، هل أنت الذي كنت مع السيد أكرويد الساعة التاسعة والنصف من هذا المساء؟

هز بلانت رأسه نافياً وقال: لم أره بعد العشاء أبداً.

التفت المفتش إلى ريموند مرة أخرى وقال: ألم تسمع شيئاً من الحديث الذي كان يجري؟

- تناهى إليّ طرف من الحديث، ولأني كنت أظن أن محدثه كان الدكتور شبارد فقد اعتبرت ما سمعته غريباً تماماً. وإذا أسعفتني الذاكرة كانت الكلمات التي سمعتها بالضبط هي كلمات السيد أكرويد وهو يقول: "لقد تكررت طلبات النقود مني في الفترة الأخيرة". هذا ما كان يقوله... "في الفترة الأخيرة، بحيث أخشى أن يكون من المستحيل عليّ الاستجابة لطلبك". وبالطبع عدت على الفور ولذلك لم أسمع شيئاً آخر. لكني تعجبت لأن الدكتور شبارد...

أكملت عنه قائلاً: لا يطلب قروضاً له أو تبرعات للآخرين.

قال المفتش متأملاً: "طلب نقود. ربما كان لدينا الآن مفتاح مهم جداً". ثم التفت إلى الخادم وقال: تقول -يا باركر- إن أحداً لم يدخل من الباب الأمامي هذا المساء؟

- نعم يا سيدي.

- إذن يبدو من المؤكد تقريباً أن السيد أكرويد هو الذي أدخل هذا الغريب بنفسه. لكني لا أفهم تماماً...

مضى المفتش يتأمل ويتفكر لبعض الوقت، ثم قال بعد أن انتبه

من تأملاته: أمر واحد واضح... كان السيد أكرويد على قيد الحياة وبخير الساعة التاسعة والنصف. تلك كانت آخر لحظة نعلم أنه كان فيها على قيد الحياة.

تنحنح باركر وكأنه أراد أن يقول شيئاً، والتفت المفتش إليه على الفور: حسناً؟

– أرجو المعذرة يا سيدي؛ فقد رأته الآنسة فلورا بعد ذلك.

– الآنسة فلورا؟

– نعم يا سيدي، وربما كان ذلك في العاشرة إلاّ ربعاً تقريباً. بعدها أخبرتني بأن السيد أكرويد لا يريد رؤية أحد هذه الليلة.

– هل أرسلها إليك بهذه الرسالة؟

– ليس تماماً يا سيدي. كنت أحمل إليه صينية عليها الشاي عندما أوقفتني الآنسة فلورا وهي خارجة من الغرفة وقالت إن عمها لا يريد لأحد أن يزعجه.

نظر المفتش إلى الخادم باهتمام أكثر من قبل وقال: لقد قيل لك من قبل إن السيد أكرويد لا يريد لأحد أن يقطع عليه خلوته، أليس كذلك؟

بدأ باركر يتلعثم ويداه ترتجفان، ثم قال: بلى يا سيدي، بلى يا سيدي، صحيح يا سيدي.

– ومع ذلك أردت الدخول عليه؟

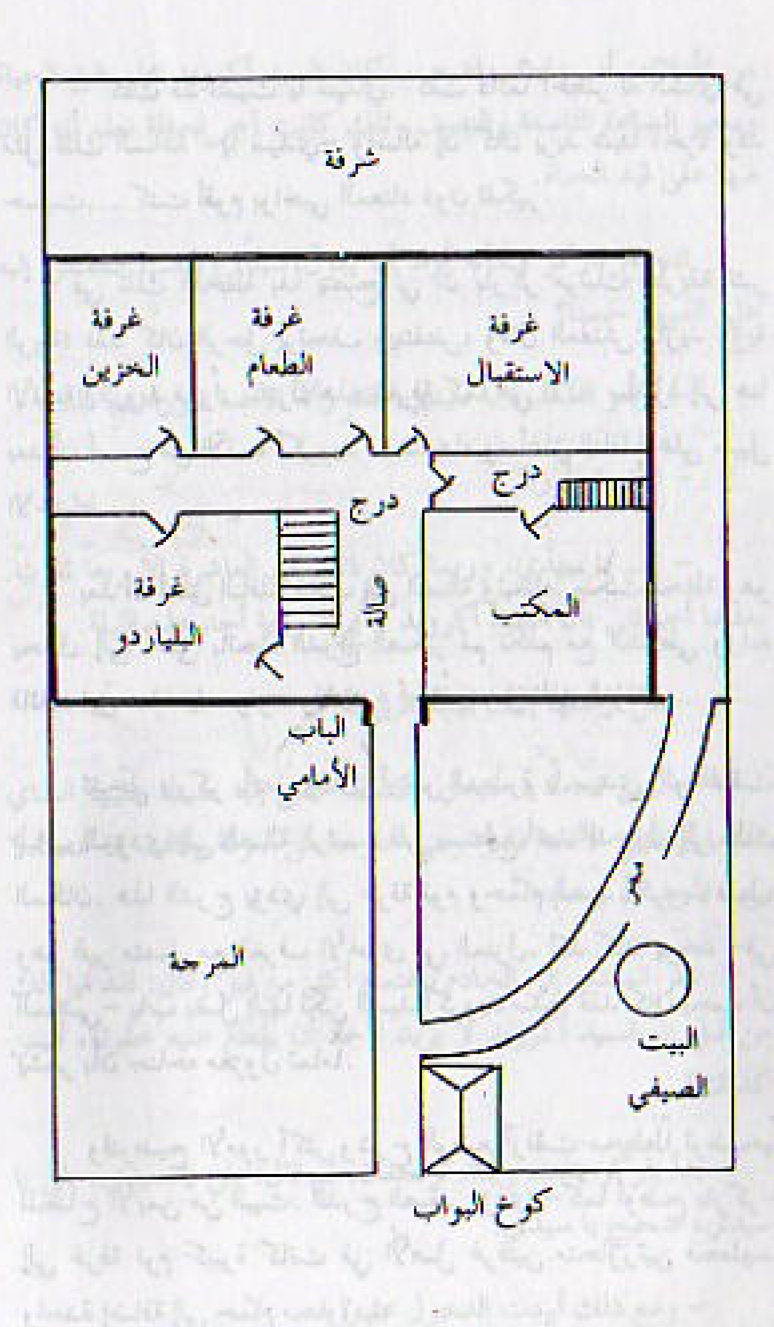
– كنت قد نسيت يا سيدي. كنت دائماً أحضر له الشاي في مثل تلك الساعة –يا سيدي– وأسأله إن كان يريد شيئاً آخر، وقد حسبت... كنت أقوم بواجبي المعتاد دون تفكير.

في تلك اللحظة بدأ يتضح لي أن باركر مرتبك بطريقة تثير الريبة؛ فقد كان الرجل يرتجف وينتفض، وقال المفتش: أريد رؤية الآنسة أكرويد فوراً. سنترك هذه الغرفة كما هي الآن. سأعود إلى هنا بعد أن أسمع من الآنسة أكرويد ما عندها، وسأغلق النافذة على سبيل الاحتياط.

بعد أن أغلق النافذة ذهب إلى الصالة وتبعناه. سكت لحظة وهو يحدق إلى أعلى باتجاه الدرج الصغير ثم تكلم مع الشرطي وراءه قائلاً: ابقَ هنا –يا جونز– ولا تدع أحداً يدخل تلك الغرفة.

تدخّل باركر بأدب وقال: أرجو المعذرة يا سيدي. لو أغلقتَ الباب المؤدي إلى الصالة الرئيسة فلن يستطيع أحد الدخول إلى ذلك المكان. هذا الدرج يؤدي إلى غرفة نوم وحمّام السيد أكرويد فقط، وهو غير متصل مع الغرف الأخرى في المنزل. لقد كان يوجد –في الماضي– باب يصل إليها لكن السيد أكرويد سدّه؛ فقد كان يحب أن يشعر بأن جناحه معزول تماماً.

ولتوضيح الأمور أكثر وشرح الوضع أرفقت مخططاً توضيحياً للجناح الأيمن من البيت. الدرج الصغير يؤدي –كما أوضح باركر– إلى غرفة نوم كبيرة كانت في الأصل غرفتين متجاورتين فجعلهما واحدة إضافة إلى حمّام مجاور.



أدرك المفتش ذلك الوضع من نظرة واحدة. ودخلنا إلى الصالة الكبيرة وأغلق الباب وراءه ثم وضع المفتاح في جيبه، وبعد ذلك أعطى للشرطي تعليماته بصوت منخفض فاستعد الأخير للمغادرة. أوضح المفتش يقول: لا بد أن نعاين آثار الحذاء تلك، ولكن قبل كل شيء أريد التحدث مع الآنسة أكرويد فهي كانت آخر من رأى السيد أكرويد على قيد الحياة. هل عرفت بما جرى؟

هز ريموند رأسه نافياً، فقال المفتش: إذن لا حاجة لإخبارها لفترة خمس دقائق أخرى. يمكنها أن تجيب على أسئلتي بطريقة أفضل إذا لم نزعجها بمعرفة حقيقة ما حدث لعمها. أخبرها بوقوع محاولة سرقة واطلب منها أن تنزل لتجيب على بعض الأسئلة.

كان ريموند هو الذي صعد لهذه المهمة، وعندما عاد قال: ستأتي الآنسة أكرويد حالاً. أخبرتها بما طلبته مني بالضبط.

وفي أقل من خمس دقائق كانت فلورا تنزل الدرج. كانت تلف نفسها بثوب من الحرير القرنفلي اللون، وبدت متلهفة منفعلة.

تقدم المفتش باتجاهها وقال بلطف: مساء الخير يا آنسة أكرويد. نظن أن محاولة سرقة قد وقعت ونريد منك مساعدتنا. ما هذه الغرفة... غرفة البلياردو؟ تعالي هنا واجلسي.

جلست فلورا هادئة على الأريكة العريضة التي كانت تمتد على طول الحائط، ثم رفعت بصرها تنظر إلى المفتش وقالت: لا أفهم. ما الذي سرق؟ ماذا تريد مني أن أخبرك؟

- إنها مسألة بسيطة يا آنسة أكرويد. قال باركر إنك خرجت

من غرفة عمك الساعة العاشرة إلاّ ربعاً تقريباً. هل هذا صحيح؟

– صحيح؛ أردت أن أقدم له تحية المساء.

– وهل الوقت صحيح؟

– لا بد أنه في حدود ذلك. لا أعرف متى بالضبط، ربما كان بعد ذلك.

– هل كان عمك وحيداً أم كان معه شخص آخر؟

– كان وحيداً؛ فقد ذهب الدكتور شبارد.

– هل لاحظت إن كانت النافذة مفتوحة أم مغلقة؟

هزت فلورا رأسها وقالت: لا أعرف، كانت الستائر مسدلة.

– بالضبط، وهل بدا عمك طبيعياً تماماً؟

– أظن ذلك.

– هل يمكن أن تخبرينا بما دار بينكما من حديث بالضبط؟

سكتت فلورا لحظة وكأنها تستذكر. ثم قالت: دخلت وقلت له: "طابت ليلتك يا عماه، أنا ذاهبة للنوم؛ لقد تعبت هذه الليلة". فقال شيئاً يمتدح فيه مظهري والثوب الذي كنت أرتديه ثم طلب مني أن أذهب لأنه مشغول، وهكذا خرجت.

– هل طلب على وجه الخصوص ألاّ يقاطعه أحد؟

– آه! نعم، نسيت ذلك. قال: "أخبري باركر أنني لا أريد أي

شيء آخر هذه الليلة، وألاّ يقطع عليّ خلوتي". وقد قابلت باركر عند الباب تماماً وأخبرته برسالة عمي.

قال المفتش: هذا صحيح.

– ألن تخبرني عما تمت سرقته؟

قال المفتش متردداً: لسنا... متأكدين تماماً.

ظهر الرعب في عيني الفتاة، ثم نهضت عن مقعدها –فجأة– وقالت: ماذا الأمر؟ هل تخفي عني شيئاً؟

جاء هكتور بلانت بمشيته المعتادة ووقف بينها وبين المفتش. مدت يدها قليلاً فأمسك بها بكلتا يديه وربّت عليها وكأنها طفل صغير، فالتفتت إليه وكأن شيئاً في ملامحه الصلبة القاسية يبشر بالراحة والسلامة. قال بهدوء: أخبار سيئة يا فلورا. أخبار سيئة لنا جميعاً. إنه عمك روجر...

– ما به؟

– ستكون صدمة لك، لا بد أن تكون صدمة. روجر المسكين مات.

ابتعدت فلورا عنه والرعب يملأ عينيها وهمست قائلة: متى؟ متى؟

قال بلانت عابساً: بعد أن تركته تماماً.

تحسست فلورا حنجرتها وصرخت صرخة صغيرة فأسرعتُ

لأمسكها قبل أن تسقط على الأرض، ثم حملتها مع بلانت –وقد أغمي عليها– إلى غرفتها ووضعناها على سريرها، وطلبتُ منه أن يوقظ السيدة أكرويد ويخبرها بما جرى. وقد استعادت فلورا وعيها بسرعة، وجاءت أمها فأرشدتُها كيف تتصرف مع الفتاة، ثم نزلتُ مرة أخرى مسرعاً.

* * *

الفصل السادس

الخنجر التونسي

التقيت بالمفتش وهو قادم من الباب الذي يؤدي إلى منطقة المطبخ فسألني: كيف حال الفتاة يا دكتور؟

– إنها تستعيد وعيها بشكل جيد، وأمها معها.

– جيد. كنت أستجوب الخدم، كلهم قالوا إن أحداً لم يدخل من الباب الخلفي هذه الليلة. كان وصفك لذلك الغريب غامضاً. ألا يمكنك إعطاء وصف أكثر تحديداً نعتمد عليه؟

قلت متأسفاً: أخشى أنني لا أستطيع. كانت ليلة معتمة، وكان الرجل يرفع ياقة معطفه إلى رقبته وقبعته تغطي عينيه.

– يبدو وكأنه أراد إخفاء وجهه. هل أنت واثق من أنه شخص لا تعرفه؟

أجبته بالإيجاب ولكن ليس بذلك الجزم الذي كان يمكن إبداؤه. تذكرت ذلك الانطباع بأن صوت الغريب كان مألوفاً لديّ، وشرحت

ذلك للمفتش متردداً.

- أتقول إنه كان صوتاً خشناً لا يوحي بالثقافة والتهذيب؟

وافقته، ولكن خطر لي أن الخشونة كانت من النوع المبالغ به تقريباً. لو كان الرجل -كما رأى المفتش- يريد إخفاء وجهه فربما حاول أيضاً إخفاء صوته.

- هلاّ جئت معي إلى المكتب مرة أخرى يا دكتور؟ هناك بعض الأمور التي أود سؤالك عنها.

استجبت له. وفتح المفتش ديفز باب الردهة ودخلنا ثم أغلق الباب وراءه مرة أخرى. قال عابساً: لا نريد لأحد أن يزعجنا، كما لا نريد أي تصنت. ماذا عن موضوع الابتزاز هذا؟

صحت وقد فوجئت كثيراً: ابتزاز!

- أهذا مجرد وهم من جانب باركر؟ أم أن في الأمر شيئاً؟

قلت ببطء: لو كان باركر سمع أي شيء بخصوص الابتزاز، فلا بد أنه كان يتنصت وراء هذا الباب واضعاً أذنه على فتحة المفتاح.

أومأ ديفز برأسه وقال: وهو أمر لا يُستغرَب منه. لقد كنت أقوم ببعض التحقيق عمّا كان باركر يقوم به هذا المساء، والحقيقة أن سلوكه لم يعجبني. فالرجل يعرف شيئاً، وعندما بدأت أستجوبه ثار وارتاع وذكر قصة مشوشة عن الابتزاز.

أخذت قراراً سريعاً وقلت: أنا سعيد لأنك أثرت هذه المسألة.

كنت أحاول تقرير ما إذا كان يتوجب عليّ مصارحتك ببعض الأمور أم لا. كنت -في الواقع- قد قررت إخبارك بكل شيء لكنني كنت سأنتظر لحين وجود فرصة مناسبة. يمكنني إخبارك الآن.

وبدأت أقص عليه جميع الأحداث التي وقعت ذلك المساء كما سردتها هنا تماماً.

أصغى المفتش باهتمام وكان يتدخل بسؤال من وقت لآخر، وعندما انتهيت من الحديث قال: إنها أغرب قصة سمعتها في حياتي. وتقول إن الرسالة قد اختفت تماماً؟ يبدو الأمر سيئاً... يبدو سيئاً جداً. إنها تعطينا ما كنا نبحث عنه؛ وهو الدافع إلى القتل.

أومأت برأسي وقلت: أدرك هذا.

- وتقول إن السيد أكرويد ألمح إلى اشتباهه بتورط واحد من أهل بيته؟ إن عبارة «أهل البيت» عبارة مطّاطة.

قلت: ألا ترى أن باركر نفسه ربما كان الرجل الذي تبحث عنه؟

- يبدو أن هذا هو المحتمل. كان واضحاً أنه يتنصت عند الباب عندما خرجت، ثم جاءت الآنسة أكرويد بعد ذلك ورأته وهو يهم بدخول المكتب. لنفترض أنه حاول الدخول مرة أخرى بعد ذهابها، وربما طعن أكرويد وأغلق الباب من الداخل وفتح النافذة وخرج منها ثم ذهب إلى باب جانبي كان قد تركه مفتوحاً. ما رأيك؟

قلت ببطء: يوجد شيء واحد فقط ضد هذه الفرضية. لو أن أكرويد أكمل قراءة تلك الرسالة بعد خروجي مباشرة من عنده (وهو ما

كان يحتزمه)، فلا أرى أنه كان سيبقى جالساً في مقعده هذا يقلب الأمور ويفكر مدة ساعة أخرى. كان سيطلب باركر على الفور ويتهمه مباشرة، وكانت ستحدث ضجة وصخب. تذكّر أن أكرويد كان رجلاً سريع الغضب.

قال المفتش: ربما لم يكن عنده الوقت الكافي ليكمل قراءة الرسالة وقتها. إننا نعرف أن شخصاً كان عنده في التاسعة والنصف، ولو أن ذلك الشخص قد ظهر حالما خرجت أنت من عنده ثم دخلت الآنسة أكرويد بعد رحيله لما كان يستطيع مواصلة قراءة الرسالة إلاّ بعد أن اقتربت الساعة من العاشرة.

– وماذا عن المكالمة الهاتفية؟

– باركر هو الذي اتصل دون شك. ربما قبل أن يفكر بالباب المقفل والنافذة المفتوحة، ثم غيّر رأيه... أو خاف؛ فقرر إنكار كل معرفة بأمر المكالمة. هذا ما حدث... ثق أنه صحيح.

قلت متردداً: نـ... نعم.

– على أي حال، يمكننا اكتشاف حقيقة المكالمة الهاتفية من البدالة. لو أنها أجريت من هنا فلا يمكن أن يكون المتكلم غير باركر. ثق أنه هو الرجل الذي نبحث عنه، ولكن تكتمْ على هذا... لا نريد أن نشعره بشيء إلى أن نحصل على كل الأدلة. سأعمل على ألاّ يفلت منا، ومن حيث الظاهر سنركز على رجلك الغريب الغامض.

نهض عن مقعده وراء المكتب وذهب إلى الجثة على الكرسي الآخر، ثم قال وهو يرفع بصره: يجب أن يعطينا السلاح مؤشراً معيناً.

إنه خنجر فريد... أظن أنه خنجر أثري من مظهره.

مال على الجثة يتفحص مقبضه باهتمام شديد وبدت عليه ملامح الرضا، ثم ضغط بيديه أسفل المقبض بحذر شديد وسحب النصل من مكان غرسه. حمله بحذر حتى لا يلمس المقبض ووضعه في إبريق واسع من الفخار الصيني كان على رف الموقد.

قال وهو يومئ برأسه: نعم، تحفة فنية. لا يمكن أن يكون منه الكثير هنا.

كان خنجراً جميلاً حقاً ذا نصل رفيع مستدق الطرف ومقبض معدني عليه نقوش فنية دقيقة غريبة. تحسس الشفرة بإصبعه بحذر ليختبر حدتها وزمّ شفتيه، ثم صاح: يا إلهي، يا لها من شفرة! يمكن لأي طفل أن يغرسه في جسد رجل بأسهل من قطع الزبدة. إنه لعبة أخطر من أن تترك مرمية هكذا.

سألته: هل يمكنني الآن فحص الجثة بشكل صحيح؟

أومأ موافقاً وقال: هيّا.

قمت بفحص دقيق للجثة، وعندما انتهيت سأل المفتش: نعم؟

– سأوفر عليك العبارات الفنية التي سأتركها للتحقيق. الذي قام بالضربة رجل يستخدم يده اليمنى ويقف وراءه ولا بد أن الوفاة كانت فورية. ومن خلال التعبير البادي على وجه القتيل، أظن أن الطعنة كانت غير متوقعة. ربما مات دون أن يعرف مَن الذي هاجمه.

قال المفتش ديفز: الخدم يستطيعون الدخول بهدوء كالقطط. لن

تكون هذه الجريمة لغزاً كبيراً. انظر إلى مقبض ذلك الخنجر.

نظرت إليه فقال: "أعتقد أنها غير واضحة بالنسبة لك، لكني أستطيع رؤيتها بوضوح". ثم خفض صوته وقال: "بصمات..."، ووقف على بعد خطوات ليرى تأثير كلامه عليّ.

لا أفهم لماذا يفترض أن أكون جاهلاً بهذه الأمور؛ فأنا –في النهاية– أقرأ قصصاً بوليسية وصحفاً، كما أنني رجل قدير. ولو كانت على مقبض الخنجر بصمات أصابع لكان رد فعلي مختلفاً تماماً، إذ كنت مستعداً وقتها لإبداء كل ما يتطلبه الأمر من دهشة وخوف.

أظن أن المفتش تضايق مني لأنني لم أعلن دهشة وانفعالاً. حمل إبريق الفخار ودعاني لمرافقته إلى غرفة البلياردو قائلاً: أريد أن أرى إن كان بوسع السيد ريموند إخبارنا أي شيء عن الخنجر.

بعد أن أغلقنا الباب الخارجي وراءنا مرة أخرى ذهبنا إلى غرفة البلياردو حيث وجدنا جيوفري ريموند. رفع المفتش الإبريق الذي فيه الخنجر وقال: هل رأيت هذا من قبل يا سيد ريموند؟

– أظن... بل أنا واثق –تقريباً– من أنه تحفة أهداها الميجر بلانت للسيد أكرويد. إنه من المغرب. لا، بل من تونس. إذن فهذه هي أداة الجريمة، أليس كذلك؟ يا له من أمر غريب! يكاد يبدو مستحيلاً، ومع ذلك لا يمكن أن يوجد خنجران متشابهان. هل أذهب وأستدعي لك الميجر بلانت؟

وأسرع خارجاً دون أن ينتظر إجابة، فقال المفتش: إنه شاب لطيف وتبدو عليه النزاهة والنباهة.

وافقته، ففي السنتين اللتين عمل فيهما ريموند سكرتيراً لدى أكرويد لم أره منزعجاً أو فاقداً لأعصابه، وكان سكرتيراً بالغ الكفاءة.

عاد ريموند بعد قليل وبصحبته بلانت وقال بانفعال: كنت على حق... إنه الخنجر التونسي.

عارضه المفتش قائلاً: ولكن الميجر بلانت لم يره بعد.

قال الرجل الهادئ: لقد رأيته فور دخولي إلى المكتب.

– إذن فقد عرفته؟

أومأ بلانت بالإيجاب، فقال المفتش بارتياب: لكنك لم تقل شيئاً عنه.

– لم يكن الوقت مناسباً. كثير من الضرر يمكن أن يقع إذا ما ألقى المرء الكلام جزافاً في غير وقته.

نظر بهدوء إلى المفتش الذي كان يحدق فيه. وتأفف المفتش أخيراً وجاء بالخنجر إلى بلانت وقال: هل أنت واثق منه يا سيدي؟ هل تميزه تمييزاً أكيداً؟

– قطعاً؛ لا شك في هذا.

– أين كان يحفظ هذا الخنجر في العادة؟

كان السكرتير هو الذي أجابه: في طاولة الفضيات في غرفة الاستقبال.

صحت: ماذا؟!

نظر الآخرون إليّ، وقال المفتش من باب التشجيع: "نعم يا دكتور، ماذا عندك؟"، ثم أردف قائلاً: أفي الأمر شيء؟

قلت بشيء من الاعتذار: ربما كان ذلك أمراً لا قيمة له، إلاّ أنني عندما جئت إلى هنا للعشاء سمعت غطاء طاولة الفضيات يغلق في غرفة الاستقبال.

رأيت على وجه المفتش شكوكاً عميقة وأثراً من اشتباه. قال: كيف عرفت أنه غطاء طاولة الفضيات؟

أجبرني المفتش على توضيح الأمر بالتفصيل. كان شرحاً طويلاً مضجراً كنت أفضل عدم الخوض فيه بالتأكيد. وسمعني المفتش حتى النهاية ثم سألني: هل كان الخنجر في مكانه عندما نظرت إلى محتويات الطاولة؟

– لا أعرف... لا أذكر أنني انتبهت لذلك، ولكن ربما كان موجوداً هناك طوال الوقت.

قال المفتش: "الأفضل أن تستدعي مدبرة المنزل". ثم ضرب الجرس.

بعد دقائق دخلت الآنسة راسل الغرفة بعد أن استدعاها باركر. قالت عندما وجّه المفتش لها السؤال: لا أظن أنني اقتربت من طاولة الفضيات. ذهبت إلى الغرفة لأتأكد من أن الورود لم تذبل. آه! نعم، تذكرت الآن. كانت طاولة الفضيات مفتوحة... الأمر الذي لم يكن معهوداً... وعندما مررت بجانبها أغلقت الغطاء.

نظرتُ إليه نظرات عدوانية، فقال المفتش: نعم، وهل يمكنك إخباري إن كان هذا الخنجر موجوداً مكانه وقتها؟

نظرت الآنسة راسل إلى السلاح بهدوء ثم أجابت: لا أستطيع القول إنني متأكدة. لم أتوقف لأنظر؛ فقد كنت أعرف أن العائلة ستأتي في أية لحظة ولذلك أردت الخروج.

قال المفتش: شكراً لك.

كان في سلوكه أثر من التردد، وكأنه أراد أن يوجه لها مزيداً من الأسئلة، ولكن بدا واضحاً أن الآنسة راسل فهمت كلماته على أنها صرف لها من الغرفة ولذلك خرجت مسرعة.

قال المفتش وهو ينظر إليها وهي خارجة: يخيل لي أنها امرأة شديدة المراس. أليس كذلك؟ حسناً، أظنك قلت –يا دكتور– إن طاولة الفضيات كانت أمام إحدى النوافذ، أليس كذلك؟

أجاب ريموند نيابة عني: بلى، أمام النافذة اليسرى.

– وهل كانت النافذة مفتوحة؟

– كانت النافذتان مفتوحتين قليلاً.

– حسناً، لا حاجة للغوص في هذه المسألة أكثر من ذلك. كان يمكن لشخص ما (سأسميه شخصاً ما فقط) الحصول على ذلك الخنجر في أي وقت شاء، ولا يهم متى أخذه. سآتي صباح الغد مع رئيس الشرطة يا سيد ريموند. إلى ذلك الحين سأحتفظ بمفتاح ذلك الباب؛ إذ أريد أن يرى الكولونيل ميلروز كل شيء كما هو تماماً. لقد عرفت

أنه يتناول عشاءه في منطقة بعيدة من المقاطعة، وأظن أنه سيقضي الليلة هناك.

راقبنا المفتش وهو يرفع الإبريق. قال: سأغلّف هذا بحذر. سيكون دليلاً مهماً في أكثر من مجال.

وبينما كنت خارجاً من غرفة البلياردو بعد بضع دقائق مع ريموند صدرت عن ريموند ضحكة خافتة، وأحسست بضغط يده على ذراعي ونظرت إلى ما كان ينظر إليه. كان المفتش ديفز يسأل باركر عن مفكرة جيب صغيرة.

تمتم رفيقي ريموند: الأمر واضح بعض الشيء. إذن باركر هو المشتبه به، أليس كذلك؟ هل تتفضل على المفتش ديفز ونعطيه بصمات أصابعنا نحن الآخرين؟

أخذ بطاقتين من صينية البطاقات ومسحهما بمنديله وأعطاني واحدة وأخذ الأخرى له، ثم أخذ البطاقتين وسلمهما إلى المفتش وهو يضحك قائلاً: هدايا تذكارية... الأولى للدكتور شبارد والثانية لخادمكم المتواضع. سأعطيك بطاقة عليها بصمات الميجر بلانت صباح الغد.

الشباب مرح جداً. حتى عملية القتل الوحشية لصديقه ورئيسه لم تطفئ في نفس ريموند روح الحياة لفترة طويلة. وربما كان ذلك هو ما ينبغي أن يكون، لا أدري. لقد فقدت -شخصياً- القدرة على استحضار تلك الروح منذ زمن طويل.

كانت الساعة متأخرة جداً عندما عدت، وكنت آمل أن تكون كارولين نائمة، ولكن بدا أنني ما زلت أجهلها. كانت قد أعدت

فنجاناً من الكاكاو الساخن في انتظاري، وبينما كنت أشربه انتزعت مني قصة تلك الليلة كاملة. لم أخبرها عن موضوع الابتزاز، بل اكتفيت بإخبارها بالحقائق المتعلقة بجريمة القتل.

قلت وأنا أنهض استعداداً للصعود إلى النوم: الشرطة تشتبه في باركر، ويبدو أن خيوط القضية تجمعت ضده بشكل كافٍ.

قالت كارولين: باركر؟ هراء! لا بد أن هذا المفتش مغفل تماماً. هَهْ، يقول باركر!

بهذه العبارة الغامضة ذهبنا إلى النوم.

* * *

الفصل السابع

عرفت مهنة جاري

صباح اليوم التالي عمدت للقيام بجولتي المعتادة على مرضاي بسرعة لا تُغتفر. كان عذري عدم وجود حالات مرضية بالغة الخطورة أقوم على رعايتها، وعند عودتي جاءت كارولين إلى الصالة لتحييني.

قالت بصوت هامس منفعل: فلورا أكرويد هنا.

– ماذا؟

أخفيت دهشتي عنها قدر الإمكان.

– إنها تتلهف لرؤيتك، وهي موجودة هنا منذ نصف ساعة.

قادتني كارولين إلى غرفة الجلوس الصغيرة وتبعتها. كانت فلورا جالسة على أريكة قرب النافذة. كانت ترتدي ثوباً أسود وهي جالسة تفرك يديها بعصبية، وقد صُدمت لرؤية وجهها؛ فقد كان شاحباً جداً، لكنها كانت رابطة الجأش هادئة عندما تكلمت. قالت: دكتور شبارد، جئت طلباً لمساعدتك.

قالت كارولين: بالطبع، سيساعدك يا عزيزتي.

لا أظن أن فلورا كانت ترغب بوجود كارولين معنا. أنا واثق من أنها كانت تفضل محادثتي على انفراد، لكنها لم ترد إضاعة أي وقت ولذلك عمدت مباشرة إلى موضوعها: أريدك أن تأتي معي إلى بيت لارشيز.

صحت وقد فوجئت: لارشيز؟!

صاحت كارولين: لرؤية ذلك الرجل الصغير الغريب؟

– نعم. هل تعرفون من هو؟

قلت: ظننا أنه ربما كان حلاقاً متقاعداً.

فتحت فلورا عينيها الزرقاوين على اتساعهما وقالت: إنه هيركيول بوارو! تعرف من أقصد... رجل التحري الخاص. يقولون إنه قد فعل أشياء رائعة جداً... تماماً كما يفعل رجال التحري في الروايات. وقبل سنة تقاعد وجاء للعيش هنا، وكان عمي يعرف من هو لكنه وعد بألاّ يخبر أحداً عنه لأن السيد بوارو أراد العيش بهدوء بعيداً عن مضايقة الناس.

قلت ببطء: إذن ذلك هو الرجل.

– لا شك أنك سمعت عنه، أليس كذلك؟

– أنا قديم الطراز كما تقول كارولين، وقد سمعت به بالطبع.

علّقت كارولين قائلة: أمر غريب!

لا أدري ما الذي كانت تقصده. ربما كانت تقصد فشلها في اكتشاف الحقيقة.

سألت ببطء: هل تريدين رؤيته؟ لماذا؟

قالت كارولين بحدة: لتطلب منه التحقيق في هذه الجريمة بالطبع. لا تكن غبياً يا جيمي!

أنا لم أكن غبياً حقاً، ولكن كارولين لا تفهم دائماً ما أرمي إليه. أكملتُ قائلاً: إذن فأنتِ لا تثقين في المفتش ديفز؟

قالت كارولين: طبعاً لا تثق فيه. أنا أيضاً لا أثق به!

كان من شأن أي امرئ أن يظن أن عم كارولين هو الذي قُتل!

سألتها: وكيف تعرفين أنه سيقبل تولي القضية؟ تذكري أنه تقاعد من عمله.

قالت فلورا ببساطة: هنا تكمن المشكلة، سيتعين عليّ إقناعه.

سألتها بهدوء: هل أنت واثقة من أنك تتصرفين بعقلانية؟

قالت كارولين: بالطبع، سأذهب معها بنفسي أن أحبت.

- أفضّل أن يأتي الطبيب معي إن كنت لا تمانعين يا آنسة شبارد.

إنها تعرف قيمة الصراحة في مناسبات معينة، بالإضافة إلى أن التلميح كان مجرد مضيعة للوقت مع كارولين. أوضحت تقول معقبة صراحتها ببعض اللباقة: أتدرين لماذا؟ الدكتور شبارد طبيب وهو الذي

اكتشف الجثة، ويمكنه إعطاء كل التفاصيل للسيد بوارو.

قالت كارولين متذمرة: نعم، أفهم ذلك.

ذرعتُ الغرفة جيئة وذهاباً ثم قلت بكل حدية: فلورا. استمعي لنصيحتي؛ نصيحتي لك ألاّ تقحمي رجل التحري هذا في القضية.

فقفزت فلورا من مقعدها وقد احمرّ خداها وصاحت: أعرف لِمَ تقول هذا، ولكني -لهذا السبب بالذات- مهتمة جداً بالذهاب إليه. أنت خائف، لكني لست خائفة! إنني أعرف رالف أكثر منك.

قالت كارولين: رالف! وما علاقة رالف بالأمر؟

لم يعرها أحد منّا أي اهتمام. وأكملت فلورا تقول: قد يكون رالف ضعيفاً، وربما فعل أشياء سخيفة في الماضي. بل ربما كانت أشياء قذرة... لكنه لا يمكن أن يقتل أحداً.

صحت: لا، لا؛ لم أفكر بهذا الشيء عنه أبداً.

سألت فلورا: إذن لماذا ذهبت إلى فندق ثري بورز في الليلة الماضية وأنت عائد إلى بيتك بعد أن وجدت جثة عمي؟

سكتُّ بعض الوقت. كنت آمل أن تبقى زيارتي تلك سرية. ثم سألتها: وكيف عرفت هذا؟

قالت فلورا: ذهبت إلى هناك صباح اليوم، وسمعت من الخدم أن رالف كان يقيم هناك.

قاطعتها: أما كنتِ تعرفين أنه موجود في القرية؟

– أبداً! لقد صعقت. لم أفهم ذلك. ذهبت إلى هناك وسألت عنه فأخبروني بما أظن أنهم أخبروك به الليلة الماضية... بأنه خرج في التاسعة تقريباً من مساء الأمس ولم يعد أبداً للفندق.

نظرتْ إليّ نظرات تحدٍ ثم قالت غاضبة وكأنها تجيب على شيء في نظراتي: ولماذا لا يخرج؟ ربما ذهب... إلى أي مكان. ربما عاد حتى إلى لندن.

سألتها بلطف: تاركاً حقائبه وراءه؟

ضربت فلورا الأرض بقدمها وقالت: لا يهمني. لا بد من وجود تفسير بسيط.

– ولذلك تريدين الذهاب إلى هيركيول بوارو؟ أليس من الأفضل ترك الأمور تسير كما هي؟ تذكّري أن الشرطة لا يشكون في رالف أبداً. إنهم يعملون في اتجاه مختلف تماماً

صاحت الفتاة: بل هم يشتبهون فيه. لقد جاء رجل من شرطة كرانشستر هذا الصباح، المفتش راغلان، وهو رجل صغير ومخيف ومراوغ، وعرفت أنه ذهب إلى الفندق هذا الصباح قبلي. أخبروني كل شيء عن زيارته وعن الأسئلة التي سألها. لا بد أنه يرى أن رالف هو القاتل.

قلت ببطء: إن كان كذلك فهذا يمثل تغييراً عما كانوا يرونه الليلة الماضية. إذن فهو لا يرى رأي ديفز في أن الفاعل هو باركر؟

قالت أختي متأففة: يا لباركر وهذا الاتهام!

جاءت فلورا ووضعت يدها على ذراعي وقالت: آه! دعنا نذهب –يا دكتور– إلى السيد بوارو هنا. سوف يكتشف الحقيقة.

قلت بهدوء وأنا أضع يدي على يدها: يا عزيزتي، هل أنت واثقة من أننا نريد الحقيقة؟

نظرت إليّ وهي تومئ بهدوء وقالت: أنت غير واثق، أما أنا فكذلك. إنني أعرف رالف أكثر مما تعرفه أنت.

قالت كارولين التي كانت تبذل جهوداً مضنية للحفاظ على صمتها: إنه لم يفعلها بالطبع. قد يكون رالف متهوراً لكنه محبوب وسلوكه لطيف.

أردت أن أقول لكارولين إن كثيراً من المجرمين ذوو سلوك لطيف، لكن وجود فلورا منعني من ذلك. وبما أن الفتاة كانت عازمة على أمرها فقد أجبرت على الاستسلام لها، فانطلقنا قبل أن تستطيع كارولين قول أي كلام آخر.

فتحت لنا البابَ في «الارشيز» امرأة مسنّة تلبس قبعة كبيرة، وكان السيد بوارو في البيت كما يبدو.

قادتنا المرأة إلى غرفة جلوس صغيرة مرتبة ترتيباً أنيقاً، وبعد أن جلسنا هناك دقيقة أو نحوها جاء إلينا صديق الأمس. وقد قال مبتسماً: عزيزي الدكتور، آنستي.

انحنى لفلورا، وبدأت الكلام: ربما سمعتَ عن المأساة التي وقعت ليلة الأمس.

تجهم وجهه وقال: سمعت بالتأكيد، إنه أمر مرعب. تعازيّ الحارة للآنسة. بأية خدمة يمكن أن أساعدكما؟

قلت: الآنسة أكرويد تريدك أن... أن...

قالت فلورا بصوت واضح: أن تعثر على القاتل.

قال الرجل الصغير: نعم، ولكن الشرطة سيفعلون هذا، أليس كذلك؟

قالت فلورا: قد يخطئون... بل أظن أنهم في طريقهم للوقوع في الخطأ الآن. أرجوك يا سيد بوارو، ألن تساعدنا؟ إذا... إذا كانت المسألة مسألة مال...

رفع بوارو يده معترضاً وقال: ليس هذا، أرجوك يا آنسة. وهذا لا يعني أنني لا أهتم للمال.

طرفت عيناه قليلاً ثم تابع يقول: المال يعني لي الكثير، وقد كان دوماً كذلك. لا، إنما إذا تدخلت في هذا الأمر فيجب أن تفهمي شيئاً واحداً بوضوح، وهو أنني سأكمل الطريق حتى النهاية. تذكّري أن كلب الصيد الجيد لا يترك الأثر أبداً! ربما تمنيتِ -في نهاية الأمر- لو أنك تركت الأمر للشرطة.

قالت فلورا وهو تنظر إليه مباشرة: أريد الحقيقة.

- كل الحقيقة؟

- نعم، كل الحقيقة.

قال الرجل الصغير بهدوء: إذن فقد قبلت، ولكن أرجو ألاّ تندمي على تلك الكلمات. أخبروني الآن عن كل الملابسات.

قالت فلورا: من الأفضل أن يخبرك الدكتور شبارد. إنه يعرف أكثر ممّا أعرفه.

شرعت، وقد طلب مني ذلك، في سرد دقيق لجميع الحقائق التي سجلتها هنا من قبل. أصغى بوارو باهتمام طارحاً -من وقت لآخر- سؤالاً هنا أو هناك، ولكنه ظل يجلس صامتاً وهو ينظر إلى السقف طوال الوقت تقريباً. ثم ختمت قصتي بمغادرتنا أنا والمفتش بيت السيد أكرويد في الليلة الماضية.

بعد أن انتهيت قالت فلورا: والآن، أخبره كل شيء عن رالف.

ترددت، لكن نظراتها الآمرة حثتني على المضي قدماً.

سألني بوارو بعد أن انتهيت من كلامي: لقد ذهبت إلى ذلك الفندق، ثري بورز، الليلة الماضية وأنت عائد إلى بيتك؟ لماذا فعلت هذا بالضبط؟

سكتُّ لحظة لاختيار كلماتي بحذر، ثم قلت: رأيت أنه لا بد لأحدٍ من إبلاغ الشاب بوفاة عمه. وخطر لي، بعد مغادرتي منزل القتيل، أنه لا أحد غيري وغير السيد أكرويد يعرف بأنه يقيم في القرية.

أومأ بوارو وقال: صحيح. أكان هذا السبب الوحيد الذي ذهبت إليه من أجله؟

قلت جازماً: نعم، كان سببي الوحيد.

– ألم يكن ذهابك حتى... حتى تطمئن على الفتى؟

– أطمئن؟

– أنت تعرف جيداً ما أعنيه يا حضرة الدكتور، رغم تظاهرك بعدم المعرفة. أظن أنك كنت ستطمئن إذا ما وجدت أن الكابتن باتون كان موجوداً في الفندق طوال المساء.

قلت بحدة: أبداً.

هز الرجل الصغير رأسه عابساً وقال: أنت لا تثق بي مثل الآنسة فلورا، ولكن لا يهم. إن ما ينبغي أن نركز عليه هو أن الكابتن باتون مفقود، وهو مفقود في ظروف تستدعي تفسيراً لغيابه. لن أخفي عنكما أن المسألة تبدو خطيرة. ومع ذلك، قد يكون لها تفسير بسيط جداً.

صاحت فلورا متلهفة: هذا ما كنت أقوله.

لم يشر بوارو إلى الموضوع بأكثر من ذلك، وبدلاً من ذلك اقترح زيارة الشرطة، وطلب من فلورا العودة إلى بيتها بينما طلب مني مصاحبته إلى هناك وتقديمه إلى الضابط المسؤول عن القضية.

نفذنا هذه الخطة في الحال. وجدنا المفتش ديفز خارج مركز الشرطة مهموماً جداً، وكان معه رئيس الشرطة، الكولونيل ميلروز، ورجل آخر لم أجد صعوبة في التعرف عليه من خلال وصف الآنسة فلورا له بالمراوغ، وهو المفتش راغلان من كرانشستر.

كنت أعرف ميلروز بشكل جيد، فقدمت له بوارو وشرحت الموقف. كان واضحاً أن رئيس الشرطة منزعج من هذا التطور، وبدا

المفتش راغلان عابساً مكفهراً، أما المفتش ديفز فبدا مبتهجاً قليلاً لرؤيته علامات الضيق والانزعاج على رئيسه.

قال راغلان: ستكون القضية واضحة وضوح الشمس. لن تكون بنا حاجة لتدخل الهواة في القضية، فمن شأن أي مغفل أن يرى الطريقة التي حدثت بها الأمور الليلة الماضية، ولذلك ما كان لنا أن نضيع اثنتي عشرة ساعة من التخمين.

كان يوجه نظراته الحاقدة إلى المسكين ديفز الذي قابلها ببرود تام. أما الكولونيل ميلروز فقال: من حق عائلة أكرويد أن تقوم بما تراه مناسباً بالطبع، لكنّا لا نريد إعاقة التحقيق الرسمي بأي حال من الأحوال. إنني أعرف السمعة الطيبة التي يتحلى بها السيد بوارو بالطبع.

قال راغلان: إن الشرطة لا يستطيعون –لسوء الحظ– عمل دعاية لأنفسهم.

كان بوارو هو الذي أنقذ الموقف إذ قال: الحقيقة أنني تقاعدت من عملي وعزمت على ألاّ أتولى أي قضية مرة أخرى، وفوق كل شيء فإنني أخاف من الشهرة، وأرجو ألاّ يُذكر اسمي في حالة استطاعتي المشاركة في حل اللغز.

انفرجت أسارير المفتش راغلان قليلاً، وقال الكولونيل وقد تحلحلت عقدته: سمعت ببعض نجاحاتك الباهرة.

قال بوارو بهدوء: لقد اكتسبت خبرة كبيرة بالفعل، ولكنني حققت معظم نجاحي بمساعدة الشرطة. وأنا معجب كثيراً بجهاز الشرطة الإنكليزي، ولو أذن لي المفتش راغلان بمساعدته فهذا يشرفني

ويشكل إطراء لي.

صارت سحنة المفتش أكثر انفراجاً وتسامحاً، وسحبني الكولونيل ميلروز جانباً وتمتم قائلاً: لقد قام هذا الرجل -كما سمعت- بأشياء ملفتة للنظر حقاً. إننا حريصون على عدم استدعاء سكوتلانديارد بالطبع. يبدو أن راغلان واثق من نفسه كثيراً، لكني لست واثقاً جداً من أنني أتفق معه؛ فأنا أعرف أصحاب العلاقة أكثر منه. يبدو أن هذا الرجل لا يبحث عن الشهرة، أليس كذلك؟ سوف ينسق عمله معنا دون أن يتدخل فيما لا يعنيه، أليس كذلك؟

قلت بحدية: سيعمل لتحقيق مجد أكبر للمفتش راغلان.

قال الكولونيل ميلروز مبتهجاً وبصوت أعلى: حسناً، حسناً، يجب أن نضعك في صورة آخر التطورات يا سيد بوارو.

قال بوارو: أشكرك. أخبرني صديقي الدكتور شيارد شيئاً عن الاشتباه في الخادم؟

قال راغلان على الفور: هذا كله هراء. هؤلاء الخدم العاملون لدى الطبقات الراقية يرتاعون إلى الحد الذي يتصرفون معه بطريقة تبعث الريبة دون أي سبب.

قلت ملمحاً: ماذا عن البصمات؟

- ليست كبصمات باركر.

ابتسم ابتسامة خفيفة ثم قال: كما أن بصماتك -يا دكتور- وبصمات السيد ريموند لا تنطبق هي الأخرى.

سأله بوارو بهدوء: وماذا عن بصمات الكابتن رالف باتون؟

أحسست بإعجاب داخلي بالطريقة التي يتولى بها معالجة موضوعه. رأيت علامات الاحترام بادية في عيني المفتش الذي قال: أرى -يا سيد بوارو- أنك لا تترك الأمور تبيت. سيسعدني العمل معك، سنأخذ بصمات الشاب حالما نعثر عليه.

قال الكولونيل متحمساً: لا أملك إلاّ أن أشعر بأنك مخطئ أيها المفتش. لقد عرفت رالف باتون منذ أن كان صبياً، وهو لا يمكن أن ينحط إلى مستوى ارتكاب جريمة قتل.

قال المفتش ببرود: ربما.

سألته: ماذا لديك ضده؟

- لقد خرج عند التاسعة في الليلة الماضية، وقد شوهد قرب فيرنلي بارك حوالي الساعة التاسعة والنصف، ولم يره أحد بعدها. يُعتقد أنه يعاني من صعوبات مالية كبيرة. وقد حصلت على حذائه، وهو حذاء بنعل من مطاط. لديه زوجان من الأحذية متشابهان تماماً، وأنا ذاهب الآن لمقارنتها مع آثار الحذاء في غرفة القتيل. الشرطي موجود هناك لمنع أي شخص من العبث بها.

قال الكولونيل: سنذهب على الفور. هل ستأتي معنا أنت والسيد بوارو؟

وافقنا، فانطلقنا جميعاً في سيارة الكولونيل.

كان المفتش حريصاً على الذهاب فوراً إلى غرفة القتيل لمعاينة

آثار الأقدام وطلب أن ننزله عند كوخ الحارس، وفي منتصف الطريق تقريباً وعلى اليمين كان هناك ممر يتفرع عن الطريق ويؤدي إلى المصطبة وإلى نافذة مكتب السيد أكرويد.

سأل رئيس الشرطة: أتريد الذهاب مع المفتش يا سيد بوارو أم تفضل معاينة المكتب؟

اختار بوارو البديل الأخير. فتح باركر لنا الباب، وكان سلوكه يتسم بالرضا عن الذات وبالاحترام وبدا أنه قد تعافى من نوبة الذعر التي صاحبته الليلة الماضية.

أخرج الكولونيل ميلروز مفتاحاً من جيبه وفتح الباب المؤدي إلى الردهة، ثم أشار إلينا بدخول المكتب وقال: باستثناء رفع الجثة من مكانها فإن الغرفة بقيت على ما كانت عليه تماماً الليلة الماضية يا سيد بوارو.

-وأين وجدت الجثة؟

شرحت له وضع وجلسة أكرويد بالضبط، وكان كرسي القتيل ما يزال مكانه أمام المدفأة.

ذهب بوارو وجلس عليه قائلاً: أين كانت الرسالة الزرقاء التي حدثتني عنها عندما غادرت الغرفة؟

- كان السيد أكرويد قد وضعها على هذه الطاولة الصغيرة على يمينه.

أومأ بوارو وقال: باستثناء هذه، كل شيء كان في مكانه؟

- نعم، أظن ذلك.

- كولونيل ميلروز، هل تتفضل وتجلس على هذا الكرسي قليلاً. شكراً لك. والآن يا حضرة الدكتور، هل تتلطف وتوضح لي وضع الخنجر بالضبط؟

فعلت ما طلبه مني السيد بوارو بينما ظل واقفاً عند مدخل الباب. ثم قال: إذن كان يمكن رؤية مقبض الخنجر من عند الباب بوضوح. كنت تستطيع أنت وباركر أن ترياه فوراً، أليس كذلك؟

- نعم.

ذهب بوارو إلى النافذة وسأل وهو يدير رأسه: كان المصباح الكهربائي مضاء بالطبع عندما اكتشفت الجثة؟

وافقته، ثم جئت إلى حيث كان يتفحص الآثار على عتبة النافذة. قال بهدوء: "العلامات المطابقة من نفس النوع الموجود في حذاء الكابتن باتون". ثم عاد إلى وسط الغرفة مرة أخرى. كانت عيناه تقلبان النظر حول الغرفة وتتفحصان كل شيء فيها بنظرات سريعة مدربة، وأخيراً سأل: هل أنت شديد الملاحظة يا دكتور؟

قلت وقد فاجأني بسؤاله: أظن ذلك.

- أرى أن النار موقدة في المدفأة. كيف كانت النار عندما خلعت الباب ووجدت السيد أكرويد مقتولاً؟ أكانت قد خبَتْ؟

ضحكت ضحكة غيظ وقلت: إنني... أنني لا أستطيع الجزم حقاً، فلم ألحظها. ربما السيد ريموند أو الميجر بلانت...

هز بوارو رأسه بابتسامة باهتة وقال: يجب على المرء أن يعمل وفق منهج معين. لقد أخطأتُ الحكم عندما سألتك ذلك السؤال، فلكل رجل معرفته الخاصة به. إن بوسعك أن تسرد لي تفاصيل مظهر المريض؛ فلن يفوتك أي شيء في هذا المجال، وإذا أردت معلومات عن الأوراق الموجودة على المكتب فقد كان من شأن السيد ريموند أن يلاحظ أي شيء هناك، وإذا أردنا تفاصيل عن النار فلا بد أن نسأل الرجل المختص المعني بملاحظة هذه الأشياء. اسمحوا لي...

ذهب عند المدفأة بخفة وقرع الجرس، فجاء باركر بعد وقت قصير وقال متردداً: لقد قرع الجرس يا سيدي.

قال الكولونيل ميلروز: تعال يا باركر. هذا السيد يريد سؤالك شيئاً.

التفت باركر إلى بوارو باحترام، فقال الرجل الصغير: باركر، عندما خلعت الباب مع الدكتور شبارد الليلة الماضية ووجدت سيدك قتيلاً، كيف كانت حالة النار؟

ردّ باركر على الفور: كانت قد خبت كثيراً يا سيدي، حتى لقد كادت تنطفئ.

قال بوارو: آه.

كانت الصيحة تكاد توحي بالانتصار، ثم ما لبث أن أكمل: انظر حولك يا عزيزي باركر. هل تبدو الغرفة كما كانت عليه ساعتها تماماً؟

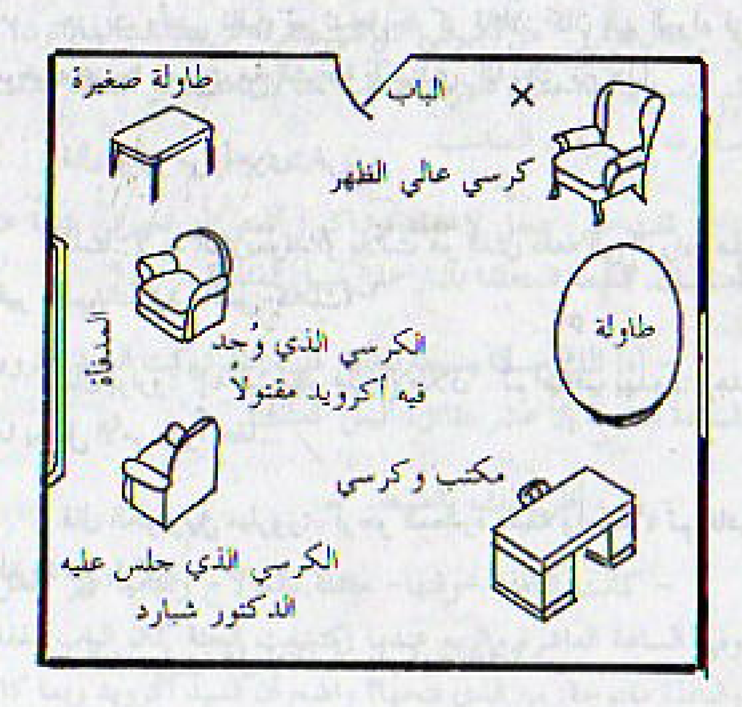
نظر الخادم حوله ووقعت عيناه على النافذة. قال: كانت الستائر

مسدلة يا سيدي وكان المصباح الكهربائي مضاء.

أومأ بوارو موافقاً وسأل: أيوجد أي شيء آخر؟

– نعم يا سيدي، كان هذا الكرسي مسحوباً إلى الوراء قليلاً.

أشار إلى كرسي كبير عالي الظهر إلى يسار الباب بين باب الغرفة والنافذة. وقد أرفقت رسماً للغرفة مع الكرسي موضوع الحديث مشاراً إليه بعلامة ×.



قال بوارو: أرِني كيف كان.

سحب الخادم الكرسي المعني مسافة قدمين عن الحائط وأداره حتى أصبح مواجهاً للباب.

همس بوارو: هذا غريب؛ ليس من شأن أحد أن يرغب بالجلوس على كرسي بهذا الوضع. ترى من الذي دفعه إلى الوراء إلى مكانه مرة أخرى؟ أأنت أرجعته يا صديقي؟

قال باركر: لا يا سيدي. كنت بالغ الانزعاج لرؤية سيدي في الوضع الذي وجدناه عليه.

نظر بوارو إليّ: هل أرجعته أنت يا دكتور؟

هززت رأسي نافياً، ثم تدخل باركر قائلاً: كان إلى الوراء في موضعه عندما وصلت مع الشرطة يا سيدي. أنا واثق من هذا.

قال بوارو مرة أخرى: غريب.

قلت: لا بد أن ريموند أو بلانت هو الذي دفعه إلى الوراء. هذا غير مهم بالتأكيد، أليس كذلك؟

قال بوارو: "إنه غير مهم على الإطلاق". ثم أضاف بهدوء: وهذا ما يجعل الأمر مثيراً حقاً.

قال الكولونيل ميلروز: "أرجو المعذرة دقيقة واحدة"، ثم غادر الغرفة مع باركر.

سألت بوارو: هل تعتقد أن باركر صادق؟

- بخصوص الكرسي؟ نعم. أما فيما عدا ذلك فلا أدري. ستجد -يا دكتور- إذا عايشت قضايا من هذا النوع أن بعضها يشبه بعضاً في شيء واحد.

سألته بفضول: وما هو ذاك؟

- إن كل شخص معني بها لديه ما يخفيه.

سألته مبتسماً: وهل لديّ شيء؟

نظر بوارو إليّ بإمعان وقال بهدوء: أظن ذلك.

- ولكن...

قال بوارو: "هل أخبرتني كل شيء تعرفه عن هذا الشاب باتون؟". ثم ابتسم بينما احمرّ وجهي وأضاف: آه، لا تخف؛ لن أضغط عليك! سأعرفه في الوقت المناسب.

قلت على عجل لإخفاء ارتباكي: أتمنى لو تخبرني شيئاً عن أساليبك. النقطة المتعلقة بالنار على سبيل المثال؟

- آه! تلك مسألة بسيطة للغاية. قلت إنك تركت السيد أكرويد الساعة التاسعة إلا عشر دقائق، أليس كذلك؟

- بلى، أظن ذلك، بالضبط.

- كانت النافذة -وقتها- مقفلة بالمزلاج والباب غير مقفل. وفي الساعة العاشرة والربع عندما اكتشفت الجثة كان الباب مقفلاً والنافذة مفتوحة. من الذي فتحها؟ واضح أن السيد أكرويد ربما كان هو الذي فتحها بنفسه، وذلك لواحد من سببين. إمّا لأن الغرفة أصبحت لا تطاق من شدة الحر (ولكن ذلك لا يمكن أن يكون هو السبب لأن النار كانت على وشك أن تخمد وكانت درجة الحرارة متدنية للغاية

الليلة الماضية) وإمّا أن يكون قد أدخل شخصاً من ذلك المكان. وإذا أدخل شخصاً من ذلك الطريق فلا بد أن يكون شخصاً يعرفه جيداً، لأنه أظهر خوفه قبل ذلك من موضوع فتح تلك النافذة.

قلت: يبدو ذلك بسيطاً للغاية.

- كل شيء بسيط إذا ما قمت بترتيب الحقائق ترتيباً منهجياً. إننا مهتمون -الآن- بمعرفة شخصية الرجل الذي كان معه الساعة التاسعة والنصف ليلة البارحة. كل شيء يدل على أنه هو الشخص الذي دخل من النافذة. ورغم أن السيد أكرويد شوهد على قيد الحياة بعد ذلك بواسطة الآنسة فلورا، فإننا لا نستطيع الوصول إلى حل لهذا اللغز إلاّ إذا عرفنا من يكون ذلك الزائر. ربما بقيت النافذة مفتوحة بعد مغادرته وبالتالي سمحت للقاتل بالدخول منها أو أن الشخص ذاته عاد ودخل منها مرة أخرى. آه! ها قد عاد الكولونيل.

دخل الكولونيل ميلروز بنشاط. قال: لقد تتبعنا تلك المكالمة الهاتفية أخيراً. لم تأتِ من هنا؛ فقد تمت مع الدكتور شبارد الساعة العاشرة والربع الليلة الماضية من هاتف عام في محطة كنغز أبوت. كما أن قطار بريد الليل يغادر إلى ليفربول الساعة ١٠,٢٣ ليلاً.

* * *

الفصل الثامن

المفتش راغلان واثق

نظر كل منا إلى الآخر. قلت: ستقوم بالاستعلام عن ذلك في المحطة بالطبع؟

- أمر طبيعي، لكني لست متفائلاً من النتيجة؛ فأنت تعرف كيف هي المحطة.

كنت أعرف ذلك بالفعل. كنغز أبوت مجرد قرية صغيرة لكن محطتها نقطة تلاقٍ مهمة للقطارات، فمعظم القطارات السريعة تقف فيها كما أنها نقطة تحويل وتنظيم للقطارات، ويوجد في المحطة هاتفان أو ثلاثة هواتف عمومية. وفي ذلك الوقت من الليل تصل ثلاثة قطارات محلية إلى المحطة في أوقات متقاربة ليتمكن ركابها من اللحاق بالقطار السريع المتجه إلى الشمال والذي يصل الساعة ١٠,١٩ ويغادر الساعة ١٠,٢٣ ليلاً، والمحطة كلها تعج بالركاب في تلك الساعة، ولذلك فالفرصة صغيرة جداً في ملاحظة شخص معين استخدم الهاتف أو ركب في القطار السريع.

سأل ميلروز: ولكن لماذا يتصل أصلاً؟ هذا ما أجده غريباً للغاية. لا يبدو لهذا الأمر معنى أو هدف.

قام بوارو بتعديل حلية من الفخار الصيني على أحد أرفف الكتب وقال دون أن يلتفت: تأكد أن لذلك سبباً.

- ولكن ماذا يمكن أن يكون؟

- عندما نعرف هذا سنعرف كل شيء. هذه القضية غريبة جداً ومثيرة جداً.

كان في طريقة نطقه لعبارته الأخيرة شيء لا يكاد يوصف. أحسست أنه كان ينظر إلى القضية من زاوية غريبة خاصة به ولم أستطع معرفة ما رآه.

ذهب إلى النافذة ووقف هناك ينظر إلى الخارج وقال: هل قلت -يا دكتور- شبارد إن الساعة كانت التاسعة عندما التقيت بهذا الغريب خارج البوابة؟

سألني السؤال دون أن يلتفت إليّ. وأجبته: نعم، سمعت ساعة الكنيسة تدق معلنة الساعة التاسعة.

- كم سيأخذ من الوقت للوصول إلى البيت... للوصول إلى هذه النافذة على سبيل المثال؟

- خمس دقائق حتى يصل من الطريق الخارجي، وربما دقيقتين أو ثلاثاً فقط إذا جاء من الممر الذي يتفرع عن يمين الطريق وتوجه إلى هنا مباشرة.

- ولكن حتى يأتي من هذا الطريق لا بد أن يكون ملماً به... كيف أوضح لك؟ هذا يعني أنه كان هنا من قبل... أي أنه يعرف المنطقة المحيطة بالبيت.

ردّ الكولونيل ميلروز: هذا صحيح.

- نستطيع -دون شك- معرفة إن كان السيد أكرويد قد استقبل أي غرباء خلال الأسبوع الماضي، أليس كذلك؟

قلت: بإمكان الشاب ريموند إخبارنا بذلك.

اقترح الكولونيل ميلروز قائلاً: أو باركر.

قال بوارو مبتسماً: أو كلاهما معاً.

ذهب الكولونيل ميلروز يبحث عن ريموند وقرعت الجرس طلباً لباركر مرة أخرى، وسرعان ما عاد الكولونيل ميلروز وبصحبته السكرتير الشاب حيث قدمه لبوارو. كان جيوفري رايموند نشيطاً ومبتهجاً كعادته، ويبدو أنه فوجئ وفرح لتعرفه على بوارو.

قال: لم أكن أعرف أنك تعيش بيننا مستتراً يا سيد بوارو. سيكون شرفاً عظيماً أن أراقبك وأنت تعمل... آه، ما هذا؟

كان بوارو يقف على يسار الباب تماماً. أمّا الآن فقد تحرك جانباً فجأة وعرفت أنه لا بد قد سحب الكرسي بسرعة إلى أن أصبح في المكان الذي أشار إليه باركر بينما كنت أدير ظهري له.

سأله ريموند ساخراً: هل تريد مني الجلوس على الكرسي لتأخذ

عينة من الدم؟ ما الأمر؟

- يا سيد ريموند، لقد كان هذا الكرسي مسحوباً هكذا الليلةَ الماضية عندما وجد السيد أكرويد مقتولاً، وأحدهم أعاده إلى مكانه مرة أخرى. هل أنت الذي فعلت ذلك؟

جاء ردّ السكرتير دون لحظة واحدة من التردد: كلا، لم أفعل ذلك، كما أنني لا أتذكر أنه كان في ذلك الوضع، ولكن لا بد أنه كان كذلك ما دمت تؤكد هذا. على أية حال لا بد أن شخصاً غيري قد أعاده إلى مكانه الصحيح. هل أفسد عليكم ذلك دليلاً معيناً؟ أمر سيئ للغاية!

قال رجل التحري: لا أهمية لذلك أبداً. إن ما أريد -حقاً- أن أسألك عنه -يا سيد ريموند- هو: هل جاء أي شخص غريب لرؤية السيد أكرويد خلال الأسبوع الماضي؟

فكر السكرتير بعض الوقت مقطباً حاجبيه وأثناء ذلك جاء باركر ليرد على الجرس. وأخيراً قال ريموند: لا؛ لا أتذكر أحداً. هل تتذكر يا باركر؟

- معذرة يا سيدي، ماذا تقول؟

- هل جاء أي غريب لرؤية السيد أكرويد هذا الأسبوع؟

فكر الخادم بعض الوقت ثم قال: ذلك الشاب الذي جاء يوم الأربعاء يا سيدي. علمت أنه كان من شركة كيرتس آند تراوت.

نحّى ريموند تلك الفرضية بإشارة من يده وقال: "آه، نعم؛ أذكره،

لكنه ليس الغريب الذي يعنيه هذا السيد". ثم التفت إلى بوارو وقال: كان السيد أكرويد يفكر بشراء جهاز الدكتافون. كان سيساعدنا في إنجاز عمل كبير في وقت محدود. وقد أرسلت هذه الشركة مندوبها، ولكن لم يحدث شيء، فالسيد أكرويد لم يقرر شراءه.

التفت بوارو إلى الخادم وسأله: هل يمكنك أن تصف لي ذلك الشاب يا باركر؟

- كان أشقر الشعر قصير القامة، وكان يلبس بدلة زرقاء أنيقة. إنه شاب حسن الهندام -يا سيدي- بالنسبة لمكانته الاجتماعية.

التفت بوارو إليّ وسأل: كان الرجل الذي التقيته خارج البوابة طويل القامة، أليس كذلك يا دكتور؟

قلت: نعم؛ كان طوله بحدود ستة أقدام تقريباً حسب ظني.

قال البلجيكي: إذن ليس في الأمر شيء. شكراً لك يا باركر.

خاطب الخادم ريموند قائلاً: لقد وصل السيد هاموند لتوه يا سيدي. إنه مهتم بمعرفة إن كان يستطيع تقديم أية خدمة كما أنه يود الحديث معك.

قال الشاب: سآتي على الفور.

خرج مسرعاً، ونظر بوارو إلى رئيس الشرطة متسائلاً، فقال الكولونيل: إنه محامي العائلة يا سيد بوارو.

همس السيد بوارو: إنه وقت مليء بالمشاغل بالنسبة لهذا الشاب

ريموند. يبدو شاباً قديراً.

– أظن أن السيد أكرويد كان يعتبره سكرتيراً قديراً جداً.

– منذ متى وهو يعمل هنا؟

– من سنتين فقط كما أظن.

– إنه يقوم بواجباته على وجه الدقة؛ أنا واثق من هذا. كيف يسلي نفسه؟ هل يلعب نوعاً من الرياضة؟

قال الكولونيل ميلروز مبتسماً: السكرتير الخاص لا يملك الوقت الكثير لهذا الشيء. أظن أن ريموند يلعب الغولف، والتنس في الصيف.

– ألا يحضر سباقات الخيل؟

– سباقات الخيل؟ لا، لا أظن أنه يهتم بالسباقات.

أومأ بوارو وبدا وكأنه فقد اهتمامه، ثم نظر إلى المكتب حوله ببطء وقال: أظن أنني رأيت كل ما يمكن رؤيته هنا.

أنا الآخر نظرت حولي وقلت هامساً: لو كان لهذه الجدران أن تتكلم!

هز بوارو رأسه وقال: اللسان وحده غير كافٍ. لا بد أن تكون لها أيضاً عيون وآذان. ولكن لا تحسبنّ هذه الأشياء الميتة...

لمس بيده خزانة الكتب من أعلى وأكمل يقول:... بكماء دائماً. بالنسبة لي فهي أحياناً تتكلم. الكراسي، والطاولات... إن لها ما تقوله!

ثم ذهب إلى الباب فقلت: وماذا قالت؟ ماذا قالت لك اليوم؟

أدار رأسه ناحيتي ورفع حاجبيه ساخراً يقول: نافذة مفتوحة، وباب مقفل، وكرسي يبدو أنه تحرك بنفسه. لهذه الأشياء الثلاثة أقول: "لماذا" ولا أجد إجابة.

هز رأسه أسفاً ونفخ ما في صدره ووقف يطرف بعينيه لنا. بدا طافحاً بالإحساس بأهميته إلى درجة سخيفة. وخطر ببالي أن أتساءل إن كان -فعلاً- رجل تحرٍ ترجى منه فائدة. ترى ألم تكن شهرته الواسعة قد بُنيتْ على سلسلة من الصدف السعيدة؟

أظن أن الكولونيل ميلروز فكّر نفس التفكير حيث كان عابساً. سأله بسرعة: هل من شيء آخر تريد رؤيته يا سيد بوارو؟

– أرجو أن تتكرم عليّ وتريني طاولة الفضيات التي أُخذ السلاح منها؟ بعد ذلك لا أريد شغل وقتك أكثر.

ذهبنا إلى غرفة الاستقبال، لكن الشرطي أخذ الكولونيل جانباً ونحن في الطريق، وبعد حديث هامس بينهما اعتذر الكولونيل وتركنا. أريتُ السيد بوارو طاولة الفضيات، وبعد أن رفع غطاءها وتركه يسقط أكثر من مرة فتح الباب الزجاجي وخرج إلى المصطبة. تبعته إلى هناك، وكان المفتش راغلان قد ظهر لتوه من عند زاوية البيت وكان قادماً نحونا. بدا وجهه متجهماً تعلوه القناعة وقال: أنت هنا يا سيد بوارو؟ حسناً، لن تكون هذه قضية كبيرة. أنا أيضاً آسف لذلك... مجرد شاب لطيف انحرف.

تجهم وجه بوارو وقال بهدوء: إذن أخشى أنني لن أفيدك كثيراً؟

قال المفتش مهدئاً: ربما في المرة القادمة... رغم أنه لا تقع عندنا جرائم قتل كل يوم في هذه الزاوية الصغيرة الهادئة من العالم.

بدت الدهشة على بوارو، ثم تكلم بكل هدوء قائلاً: لقد كنتَ ذا حزم وسرعة رائعين. هل لي أن أسألك عن الأسلوب الذي تتبعه في عملك؟

قال المفتش: بالتأكيد. أولاً... المنهجية. هذا ما أقوله دائماً. المنهجية!

صاح الآخر: آه! هذا شعاري أيضاً؛ المنهجية والنظام والخلايا الرمادية الصغيرة.

قال المفتش وهو يحدق فيه: الخلايا؟

أوضح البلجيكي قائلاً: خلايا المخ الرمادية الصغيرة.

– آه، بالطبع. أظن أننا جميعاً نستخدمها.

همس بوارو: على درجات متفاوتة، وتوجد أيضاً فروقات في النوعية. ثم هناك سيكولوجية الجريمة؛ لا بد أن يدرس المرء ذلك.

– آه! هل خُدعت بهذا اللغو عن التحليل النفسي؟ أما أنا فرجل بسيط ساذج. سأقول لك كيف أشرع في العمل: أول شيء، المنهجية. آخر مرة شوهد فيها السيد أكرويد على قيد الحياة كانت الساعة العاشرة إلاّ ربعاً بواسطة ابنة أخيه الآنسة فلورا أكرويد. هذه هي الحقيقة رقم ١، أليس كذلك؟

– كما تقول.

– نعم؛ هي كذلك. ويقول هذا الطبيب إن السيد أكرويد قد مات قبل نصف ساعة على الأقل من اكتشاف الجثة التي اكتشفت في الساعة العاشرة والنصف. أما زلت تقول هذا يا دكتور؟

قلت: بالتأكيد، نصف ساعة أو أكثر.

– جيد. هذا يعطينا بالضبط ربع ساعة لا بد أن تكون الجريمة قد وقعت خلالها. لقد عملت قائمة بأسماء كل من كان في البيت ودرستها ووضعت مقابل أسمائهم مكان وجود كل واحد منهم وماذا كان يعمل بين الساعة ٩,٤٥ والساعة العاشرة مساء.

أعطى بوارو ورقة قرأتها من وراءه. كانت الورقة مكتوبة بخط أنيق وتقول:

الميجر بلانت... في غرفة البلياردو مع السيد ريموند (يؤكد الأخير على ذلك).
السيد رايموند... في غرفة البلياردو (انظرْ أعلاه).
السيدة أكرويد... الساعة ٩,٤٥ كانت تراقب مباراة البلياردو. ذهبتْ للنوم الساعة ٩,٥٥ (رآها ريموند وبلانت وهي تصعد إلى غرفتها).
الآنسة أكرويد... ذهبت مباشرة من غرفة عمها إلى غرفتها (يؤكد على ذلك باركر وأيضاً الخادمة إيلسي ديل).

الخدم:
باركر... ذهب إلى غرفة الخزين (أكدت على ذلك مديرة المنزل الآنسة راسل التي نزلت لتتكلم معه الساعة

٩,٤٧، وظلت معه عشر دقائق على الأقل.

الآنسة راسل... كما هو أعلاه. تكلمت مع الخادمة إيلسي ديل الساعة ٩,٤٥ في الطابق العلوي.

أورسولا بورن (خادمة الاستقبال)... في غرفتها حتى الساعة ٩,٥٥ ثم في صالة الخدم.

السيدة كوبر (طاهية)... في صالة الخدم.

غلاديس جونز (خادمة ثانية)... في صالة الخدم.

إيلسي ديل... في غرفتها في الطابق العلوي. رأتها هناك الآنسة راسل والآنسة فلورا أكرويد.

ماري ثريب (خادمة المطبخ)... في صالة الخدم.

الطاهية تعمل هنا منذ سبع سنوات، وخادمة الاستقبال منذ سنة ونصف، وباركر منذ أكثر من سنة، أما الآخرون فجدد. كلهم لا غبار عليهم سوى بعض الاشتباه في أمر باركر.

قال بوارو وهو يعيد إليه الورقة: "قائمة متكاملة جداً"، ثم أضاف بجدية: أنا واثق أن باركر لم يرتكب الجريمة.

تدخلت في الحديث: وكذلك أختي؛ وهي في العادة مصيبة.

لم يلتفت أحد لكلامي، وواصل المفتش كلامه: هذا يجعلنا نستبعد أهل البيت جميعهم عملياً. نأتي الآن إلى نقطة خطيرة جداً؛ المرأة التي تعيش في غرفة البواب عند المدخل، ماري بلاك، كانت تغلق الستارة الليلة الماضية عندما شاهدت رالف باتون يدخل البوابة ويتجه إلى البيت.

سألته بحدة: أهي واثقة من هذا؟

- واثقة جداً، فهي تعرف شكله جيّداً. عبر مسرعاً وانعطف في الممر إلى اليمين، وهو الطريق المختصر إلى المصطبة.

سأله بوارو وكان جالساً ووجهه ساكن لا يتحرك: ومتى كان ذلك؟

- في الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة بالضبط.

سكت الجميع، ثم تكلم المفتّش مرة أخرى: كل شيء واضح تماماً... القضية كلها متناسقة دون أي خلل؛ في الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة شوهد الكابتن باتون يعبر من أمام الكوخ، في الساعة التاسعة والنصف أو نحواً من ذلك سمع السيّد جيوفري ريموند شخصاً هنا يطلب مالاً والسيد أكرويد يرفض. ماذا حدث بعد ذلك؟ خرج الكابتن باتون من نفس الطريق، من النافذة. أخذ يذرع المصطبة جيئةً وذهاباً غاضباً ثائراً، ثم جاء إلى نافذة غرفة الاستقبال المفتوحة. لنقل إن الساعة كانت العاشرة إلاّ ربعاً آنئذ. الآنسة فلورا أكرويد ودّعت عمّها، وكان الميجر بلانت والسيد أكرويد في غرفة البلياردو. غرفة الاستقبال خالية. تسلّل إليها وأخذ الخنجر من طاولة الفضيات وعاد إلى نافذة المكتب، فخلع حذاءه وتسلّق النافذة، ثم... لا حاجة لأن أذكر التفاصيل. ثم انسلّ خارجاً مرة أخرى وهرب. ولم يجرؤ على العودة إلى الفندق، فذهب إلى المحطة واتصل من هناك...

قال بوارو بهدوء: لماذا؟

جفلت من مقاطعته. كان الرجل الصغير يميل بجسده إلى الأمام وعيناه تومضان ببريق أخضر غريب.

وفوجئ المفتش راغلان بذلك السؤال أيضاً، فجمد قليلاً، ثم قال: من الصعب معرفة سبب فعله هذا، لكن المجرمين يعملون أشياء غريبة. ستعرف هذا لو كنت في سلك الشرطة. إنّ أذكاهم يرتكب أخطاء غبية أحياناً... ولكن تعال معي لأريك آثار القدم.

تبعناه عبر زاوية المصطبة ثم إلى نافذة المكتب، وبأمر من راغلان أحضر الشرطي الحذاء الذي أخذه المفتش من الفندق.

وضع المفتش الحذاء فوق الآثار وقال واثقاً: إنها نفسها. لا أقصد أنه نفس الحذاء الذي أحدث هذه الآثار؛ فلقد رحل بحذائه الذي أحدث هذه العلامات. هذا زوج من الأحذية يشبهه لكنه أقدم منه. انظر كيف اهترأت نقوشه المطاطية؟

سأله بوارو: ألا تظن أن عدداً كبيراً من الناس يلبسون أحذية لها نقوش مطاطية كهذه؟

قال المفتش: هذا صحيح بالطبع. ما كنت لأركز كثيراً على آثار الأقدام لولا الشّواهد الأخرى.

قال بوارو متأملاً: لا بد أن يكون الكابتن رالف باتون هذا شاباً أحمق تماماً حتى يترك كل هذه الدلائل على وجوده.

- آه، حسناً، كانت ليلة صافية غير ممطرة كما تعرف. لم يترك آثاراً على المصطبة أو على الممر المغطّى بالحصى، ولكن -لسوء حظّه- فإن شيئاً من المياه الجوفية قد طفا مؤخراً عند نهاية الممشى. انظر.

كان هناك ممر صغير مغطّى بالحصى يصل إلى المصطبة على

بعد بضع أقدام، وعلى بعد بضعة أمتار من نهاية الممشى كانت الأرض مبتلّة وموحلة، وفوق تلك البقعة المبتلة ظهرت آثار الأقدام أيضاً وبينها آثار الحذاء ذي النقوش المطاطية.

تتبع بوارو الممشى قليلاً والمفتش بجانبه، وفجأة قال: هل لاحظت آثار أقدام نساء؟

ضحك المفتش وقال: أمر طبيعي. إن كثيراً من النساء يمشين على هذا الطريق... والرجال أيضاً. إنه طريق مختصر إلى البيت. من المستحيل فرز كل هذه الآثار ومعرفة أصحابها، ومع ذلك فإن آثار القدم الموجودة على عتبة النافذة هي المهمة حقاً.

أومأ بوارو برأسه موافقاً. وعندما اقتربنا من الطريق الخارجي قال المفتش: لا حاجة لأن نذهب أبعد من ذلك؛ الطريق كله حصى هنا وهو صلب جداً.

أومأ بوارو مرة أخرى، لكن عينيه كانتا مركّزتين على بيت صغير في الحديقة مما يطلق عليه اسم «البيت الصيفي». كان البيت على يسار الممر أمامنا وهناك ممشى مغطى بالحصى يؤدي إليه.

تريّث بوارو قليلاً ريثما عاد المفتش باتجاه البيت، ثم نظر إليّ وقال وعيناه تطرفان: لا بد أن الله قد ساقك إليّ لتحل محل صديقي هيستنغز؛ فأنت بجانبي دوماً. ما رأيك بتفتيش ذلك البيت الصغير؟ إنه يثير اهتمامي.

ذهبنا إليه وفتحناه. كان المكان مظلماً من الداخل، وكان فيه بعض الكراسي الصدئة وطقم للعبة الكروكي الخشبية. وفاجأني صديقي

الحديد بتصرفه؛ فقد نزل على الأرض وجعل يحبو على يديه وقدميه، ومن وقت لآخر كان يهز رأسه وكأنه غير راض، وأخيراً جلس على قدميه وتمتم قائلاً: لا يوجد شيء. حسناً، ربما كان ينبغي توقّع ذلك. ولكنه كان سيعني الكثير...

سكت فجأة وقد تصلّب جسده، ثم مدّ يده إلى أحد الكراسي الصدئة ونزع شيئاً من أحد حواتيه.

صحت قائلاً: ما هذا؟ ما الذي وجدته؟

ابتسم وهو يفتح يده حتى أرى ما بداخلها؛ قطعة صغيرة من قماش يابس أبيض اللون. أخذتها منه ونظرت إليها باستغراب ثم أعدتها إليه. وسألني وهو ينظر إليّ بإمعان: ماذا تفهم منها يا صديقي؟

قلت وأنا أضم كتفيّ حيرة: مجرّد مزقة من منديل.

قام بمحاولة أخرى والتقط ريشة صغيرة... ريشة وزّة كما تبدو. وصاح فرحاً: وهذه؟ ماذا تفهم منها؟

حدقت فيها دون أن أتكلم.

وضع الريشة في جيبه، ثم نظر ثانية إلى قطعة القماش الأبيض وقال: مزقة من منديل؟ ربما كنت على حق، ولكن تذكّر هذا... إن أي مصبغة جيدة لا تضع النشا على منديل.

أومأ إليّ مبتهجاً. ثم وضع قطعة القماش في محفظته بحذر.

* * *

الفصل التاسع

بركة السمك

عدنا إلى البيت معاً ولم نشاهد للمفتش أي أثر. توقف بوارو على المصطبة وظهره إلى البيت وهو يلتفت برأسه من جانب لآخر ببطء، وأخيراً قال بإعجاب: بيت جميل. من سيرثه؟

صدمتني كلماته. كان غريباً أن مسألة الإرث لم تخطر ببالي حتى تلك اللحظة. راقبني بوارو بإمعان ثم قال: أظنها فكرة جديدة عليك؟ ألم تفكر بها من قبل؟

قلت صادقاً: الحقيقة أنني لم أفعل! ليتني فكرت بالأمر.

نظر إليّ مرة أخرى بفضول ثم قال متأملاً: ترى ماذا قصدت بهذا؟

ذكّرته بكلامه وأنا أبتسم: كل إنسان لديه ما يخفيه.

- بالضبط.

- أما زلت تعتقد ذلك؟

- أكثر من أي وقت مضى يا صديقي، ولكن ليس من السهل إخفاء الأشياء عن هيركيول بوارو؛ فلديه موهبة في الاكتشاف.

كان يتكلم وهو ينزل عتبات الحديقة، ثم قال وهو يدير رأسه للوراء: لنمشِ قليلاً؛ الهواء جميل اليوم.

تبعته، فقادني إلى ممر إلى اليسار محاط بأشجار الطقسوس. كان هناك ممشى محاط من جانبيه بأحواض الزهور الجميلة وفي نهاية الممشى توجد فسحة دائرية معبّدة بها مقعد وبركة أسماك. وبدلاً من متابعة السير في الممر إلى نهايته سار بوارو في ممر آخر يلتف على جانب مُنحدَر مكسوٍ بالأشجار، وفي بقعة معينة هناك كانت الأشجار قد أُزيلت ووضع مكانها أحد المقاعد. الجلوس هناك يُعطي منظراً رائعاً للريف ويطل على الفسحة المعبدة وبركة الأسماك.

قال بوارو وهو ينظر إلى المشهد أمامه: "إنكلترا جميلة جداً"، ثم ابتسم وقال بصوت ضعيف: وكذلك الفتيات الإنكليزيات. أنصتْ -يا صديقي- وانظر إلى الصورة الجميلة أسفل منّا.

عندها رأيت فلورا. كانت تسير على الممر الذي كنّا نسير عليه قبل قليل وهي تدندن بأغنية قصيرة، وكانت خطواتها أقرب إلى الرقص منها إلى المشي. ورغم ثوبها الأسود الذي كانت ترتديه فإن هيئتها ما كانت لتدل إلا على البهجة. دارت فجأة على رؤوس أصابعها والتفّ ثوبها الأسود طائراً مع دورتها، وفي نفس الوقت ألقت برأسها إلى الوراء وضحكت ضحكة عالية. وبينما كانت على هذا الحال خرج رجل من بين الأشجار. كان ذلك هكتور بلانت. وجفلت الفتاة وتغيّرت ملامحها قليلاً وهي تقول: لقد أخفتني... لم أرَكَ.

لم يقل بلانت شيئاً لكنه وقف ينظر إليها صامتاً بعض الوقت، وقالت فلورا بشيء من الخبث: إن ما يعجبني فيك هو أحاديثك المتدفقة البهيجة.

أظن أن ذلك قد جعل وجه بلانت يحمر تحت سحنته التي لوحتها الشمس، وعندما تكلم كان صوته مختلفاً؛ كانت فيه نبرة غريبة من التواضع. قال: لم أكن أبداً رجلاً يجيد الكلام، حتى عندما كنت شاباً.

قالت فلورا بحدية: أظن أن ذلك كان منذ زمن طويل جداً.

أدركتُ السخرية المبطّنة في لهجتها، ولكن لا أظن أن بلانت أدرك ذلك. قال ببساطة: نعم؛ منذ زمن طويل.

سألته فلورا: كيف يشعر المرء وهو عجوز كبير؟

كانت السخرية هذه المرة أكثر وضوحاً، لكن بلانت كان مستغرقاً في تفكيره، ثم سألها: هل تذكرين ذلك الرجل الذي باع روحه للشيطان مقابل أن يعود شاباً؟ توجد أوبرا حول هذه القصة.

- تقصد «فاوست»، أليس كذلك؟

- بلى، فاوست. قصة غريبة. من شأن بعضنا أن يفعل ذلك إن استطاع.

صاحت فلورا بشيء من الغيظ والاستمتاع في آن معاً: من شأن مَن يسمعك أن يظن أنّ عظامك بالية تماماً.

لم يقل بلانت شيئاً، ثم التفت بعيداً عن فلورا إلى مكان آخر

وقال وكأنه يخاطب جذع شجرة كانت بجانبه إن الوقت قد حان ليعود إلى أفريقيا.

- أأنت ذاهب في حملة أخرى لصيد الحيوانات؟

- أظن ذلك. ذلك ما أفعله في العادة... أقصد الصيد.

- أأنت صدت الحيوان الذي عُلّق رأسه في الصالة؟

أومأ بلانت، ثم قال بسرعة كعادته وقد احمرّ وجهه: هل أنت مهتمة بجلد أي من الحيوانات؟ إن كنت كذلك فبوسعي أن أحضره لك.

صاحت فلورا: آه! أرجوك أن تحضر لي جلوداً. هل تعني حقاً ما تقول؟ ألن تنسى؟

قال: "لن أنسى"، ثم أضاف باندفاعة مفاجئة من الطلاقة: حان الوقت لرحيلي، فأنا لا أصلح لمثل هذا النوع من الحياة. إنني رجل فظ لا أصلح للحياة الاجتماعية، ولا أعرف آدابها وسلوكياتها، ولا أتذكّر -أبداً- الأشياء التي ينبغي على المرء قولها في مناسبات معيّنة. نعم، حان وقت الرحيل.

صاحت فلورا: ولكنك لن تذهب الآن. لا... ونحن في هذه المشكلة. آه، أرجوك! لو ذهبت...

التفتت بعيداً، فسألها بلانت: هل تريدين منّي البقاء؟

كان يتكلم متأنياً وببساطة شديدة، فقالت: نحن جميعاً...

- إنني أقصدك أنت شخصياً.

التفتت فلورا إليه مرة أخرى ونظرت في عينيه وقالت: أريدك أن تبقى، إن... إن كان ذلك يشكّل أي فارق.

قال بلانت: إنه يشكل كل الفوارق.

سكت الاثنان قليلاً. جلسا على مقعد صخري قرب بركة الأسماك وبدا أن أحداً منهما لم يكن يدري ماذا يقول بعد ذلك.

أخيراً قالت فلورا: إنه... إنه صباح جميل. لا أملك إلاّ أن أشعر بالسعادة رغم... رغم كل شيء. أحسب ذلك إحساساً فظيعاً من قبلي؟

قال بلانت: بل هو طبيعي جداً. أنت لم تقابلي عمك إلاّ من سنتين فقط، أليس كذلك؟ ولذلك من غير المتوقع أن تحزني كثيراً. من الأفضل أن لا ينافق المرء في ذلك.

قالت فلورا: فيك شيء يعزي النفس؛ فأنت تجعل الأمور تبدو بسيطة للغاية.

قال الصياد الكبير: عادةً ما تكون بسيطة عموماً.

- ليس دائماً.

كان صوتها قد انخفض، ورأيت بلانت يلتفت وينظر إليها كمن عاد بعينيه من ساحل أفريقيا. بدا واضحاً أنه استغل تغير نبرتها حيث قال بعد دقيقة أو اثنتين وبطريقة مفاجئة: أعتقد أن عليك ألاّ تقلقي-

أقصد بخصوص ذلك الشاب. إن المفتش أحمق. الكل يعرف أن من السخافة التفكير بأنه فعلها. لابد أن الفاعل رجل من الخارج... لص ما. هذا هو الحل الوحيد الممكن.

نظرت فلورا إليه وقالت: هل ترى ذلك حقاً؟

قال بلانت بسرعة: ألا تظنين ذلك أيضاً؟

– أنا؟ آه، نعم بالطبع.

سكتا مرة أخرى ثم قالت فلورا: إنني... سوف أخبرك لماذا شعرت بالسعادة هذا الصباح. مع أنك ستعتقد أنني بلا قلب، لكني سأخبرك. كنت سعيدة لأن المحامي، السيد هاموند، أخبرنا عن الوصية. لقد ترك لي العم روجر عشرين ألف جنيه. تصوّر... عشرين ألف جنيه جميلة.

بدا بلانت مدهوشاً وقال: هل يعني لك ذلك الكثير؟

– يعني لي الكثير؟ بل يعني كل شيء. الحرية... الحياة... لا مزيد من التخطيط والتقتير والكذب...

قاطعها بلانت بحدة: الكذب؟!

بدت فلورا وقد فوجئت قليلاً ثم قالت بإبهام: تعرف ما أقصده... التظاهر بأنك شاكر لأقاربك الأغنياء على كل الأشياء المستعملة التي يعطونك إياها... معطفاً من السنة الماضية وتنانير وقبعات قديمة.

– لا أعرف الكثير عن ملابس السيدات، ولكني أظن أنك تبدين حسنة المظهر دائماً.

قالت فلورا بصوت منخفض: ذلك أنها تكلفني مالاً كثيراً. لا نريد الحديث عن الأمور الفظيعة؛ أنا سعيدة للغاية. إنني حرة، حرة في أن أفعل ما أشاء. حرة في أن لا...

سكتت فجأة، فسألها بلانت بسرعة: أن لا تفعلي ماذا؟

– نسيت الآن... ليس أمراً مهماً.

كان بلانت يمسك بعصا في يده، وادخلها في البركة وبدأ يحاول تحريك شيء بها، فسألته: ماذا تفعل يا ميجر بلانت؟

– يوجد شيء لامع هنا. ترى ماذا يكون؟ إنه يشبه دبوساً من ذهب، ولكني أثرت الطين الراكد فاختفى.

ثم ألقى حجراً صغيراً في بركة الأسماك والتفت إلى فلورا وقال بنبرة مختلفة: آنسة أكرويد، هل يمكنني عمل شيء؛ أقصد بخصوص باتون؟ أعرف مدى قلقك.

قالت فلورا بصوت فاتر: أشكرك، لا يوجد شيء يمكن عمله. سيكون رالف بخير؛ فلقد جئت بأفضل واحد من رجال التحري في العالم وسيقوم بكشف كل شيء.

كنت قد أحسست –لبعض الوقت– بالتململ بسبب مكاننا القريب منهما. لم نكن نتنصت عليهما بمعنى الكلمة إذ كان يكفي الاثنين اللذين جلسا أسفل منا أن يرفعا رأسيهما قليلاً حتى يريانا، ومع ذلك كان عليّ أن ألفت نظرهما لوجودنا منذ البداية لولا أن رفيقي كان يضغط على ذراعي محذراً. كان واضحاً أنه يريدني أن أبقى

صامتاً، ولكنه تصرف بسرعة في تلك اللحظة؛ فقد نهض واقفاً وتنحنح وقال بصوت عال: أرجو المعذرة، لا يمكن أن أدع الآنسة تمتدحني بهذا السخاء دون أن ألفت انتباهها إلى وجودي. يقولون إن السامع لا يسمع عن نفسه الكلام الحسن، ولكن الحال مختلف هذه المرة، وحتى لا تحرجاني سآتي إليكما وأعتذر.

ثم أسرع نازلاً إلى الممر وأنا وراءه حتى وصلنا إليهما عند البركة. قالت فلورا: إنه السيد هيركيول بوارو، أظنك سمعت به.

انحنى بوارو احتراماً ثم قال بأدب: أعرف الميجر بلانت من شهرته. إنني سعيد للقائك يا سيدي، وأنا بحاجة لبعض المعلومات التي يمكنك تزويدي بها.

نظر إليه بلانت متسائلاً، فسأله بوارو: متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيد أكرويد على قيد الحياة؟

– على العشاء.

– ألم تره أو تسمعه بعد ذلك؟

– لم أره، لكني سمعت صوته.

– وكيف ذلك؟

– خرجت إلى المصطبة...

– أرجو المعذرة، متى كان ذلك؟

الساعة التاسعة والنصف تقريباً. خرجت أتمشى على المصطبة

أمام نافذة غرفة الاستقبال، فسمعت أكرويد يتحدث في مكتبه.

وقف بوارو وأزاح عشبة صغيرة، ثم تمتم قائلاً: لا يمكن أن تسمع أصواتاً في المكتب وأنت في ذلك المكان من المصطبة.

لم يكن ينظر إلى بلانت، ولكني كنت أنظر إليه، ولشدة دهشتي رأيت بلانت وقد احمرّ وجهه وأوضح كارهاً: ذهبت إلى زاوية المصطبة.

– آه! حقاً؟

أوحت نبرته بأنه يريد المزيد من المعلومات، فقال بلانت: ظننت أنني رأيت... امرأة تختفي بين الشجيرات. كانت مجرد خيال بملابس بيضاء. لابد أنني أخطأت. وعندما كنت أقف عند زاوية المصطبة سمعت صوت أكرويد يتحدث مع سكرتيره.

– هل كان يتحدث مع السيد جيوفري ريموند؟

– نعم؛ هذا ما ظننته في ذلك الوقت. يبدو أنني كنت مخطئاً.

– ألم يخاطبه السيد أكرويد بالاسم؟

– لا.

– إذن هل لي بسؤالك عن سبب اعتقادك...

أوضح بلانت جاهداً: سلّمت بأنه ريموند لأنه قال لي قبل أن أخرج إلى المصطبة إنه سيأخذ بعض الأوراق لأكرويد. لم أفكر أنه ربما كان شخصاً آخر.

- هل تتذكر الكلمات التي سمعتها؟

- لا أستطيع. كانت كلمات عادية غير مهمة وسمعت طرفاً منها فقط؛ فقد كنت أفكر في شيء آخر وقتها.

تمتم بوارو: لا أهمية لذلك. هل حرّكتَ كرسياً إلى الوراء باتجاه الجدار عندما دخلت المكتب بعد اكتشاف الجثة؟

- تحريك كرسي؟ لا، ولماذا أفعل ذلك؟

رفع بوارو كتفيه حيرة لكنه لم يجبه، والتفت إلى فلورا وقال: ثمة شيء أود معرفته منك يا آنسة. عندما كنت تتفحّصين الأغراض في طاولة الفضيات مع الدكتور شبارد، هل كان الخنجر في مكانه؟

دهشت فلورا من السؤال وقالت بامتعاض: سألني المفتش راغلان عن ذلك وأجبته، وسوف أجيبك أيضاً. إنني متأكدة تماماً من أن الخنجر لم يكن هناك. راغلان يرى أن الخنجر كان هناك وأن رالف سرقه بعد ذلك، وهو لا يصدّقني، بل هو يعتقد أنني أقول هذا لكي... لكي أتستّر على رالف.

سألتها بهدوء: ألا تتستّرين عليه فعلاً؟

ضربت فلورا الأرض بقدمها وقالت: أنت الآخر يا دكتور شبارد؟ آه، أمر سيء!

غيّر بوارو مجرى الحديث بلباقة: صحيح ما سمعتك تقوله يا ميجر بلانت؛ في هذه البركة شيء يلمع. سأرى إن كنت أستطيع الوصول إليه.

جثا على ركبتيه قرب البركة ورفع كمّه وأدخل يده في الماء ببطء حتى لا يعكّر ماء البركة، ولكن رغم كل احتياطاته تحرك الوحل وعكر الماء واضطر لسحب يده خالية. وحين نظر غاضباً إلى الوحل على ذراعه أعطيته منديلي فأخذه وهو يكيل لي آيات الشكر والعرفان.

نظر بلانت إلى ساعته وقال: اقترب وقت الغداء؛ يستحسن أن نعود إلى البيت.

سألت فلورا: هل ستتناول الغداء معنا يا سيد بوارو؟ أريدك أن تلتقي والدتي. إنها تحب رالف كثيراً.

انحنى بوارو احتراماً وقال: يسرني ذلك يا آنسة.

- وهل ستبقى أنت أيضاً يا دكتور شبارد؟

تردّدت، لكنها قالت: آه، أرجوك!

ولما كنت راغباً بالبقاء فقد قبلت الدعوة دون مزيد من الشكليات، وانطلقنا إلى البيت وفلورا وبلانت في المقدمة.

قال بوارو يخاطبني بصوت منخفض وهو يشير برأسه صوب فلورا: يا له من شعر؛ ذهب حقيقي! سيكونان زوجين رائعين، هي والكابتن باتون الأسمر الوسيم، أليس كذلك؟

نظرت إليه متسائلاً لكنه بدأ يتذمّر من بعض قطرات الماء على كُم معطفه. ذكّرني الرجل -نوعاً ما- بالقطط... عيناه الخضراوان وحرصه الشديد على تفاصيل أناقته. قلت متعاطفاً معه: كل هذا دون الحصول على شيء. ترى ماذا كان داخل البركة؟

سألني بوارو: هل تحب أن ترى؟

حدقت به، فأومأ برأسه وقال بلطف وبلهجة مؤنّبة: يا صديقي العزيز، إن هيركيول بوارو لا يمكن أن يغامر في إفساد زينته دون أن يكون واثقاً من حصوله على غرضه. إن هذا سيكون غريباً وسخيفاً، وأنا لست بالسخيف أبداً.

عارضته قائلاً: لكنك أخرجت يدك خالية.

– أحياناً يضطر المرء لبعض التكتّم. هل تخبر مرضاك بكل شيء، كل شيء يا دكتور؟ لا أظن ذلك. كما أنك لا تخبر أختك بكل شيء، أليس كذلك؟ قبل أن أظهر يدي فارغة نقلت ما كان فيها إلى يدي الأخرى. سترى ما هو هذا الشيء.

فتح يده اليسرى، وكانت فيها قطعة صغيرة دائرية من الذهب. كان خاتم زواج نسائي، وأخذته منه.

قال بوارو: انظر داخله.

نظرت. كان مكتوباً بداخله بخط دقيق: من ر، ١٣ آذار.

نظرت إلى بوارو، لكنه كان مشغولاً في تفحّص مظهره في مرآة جيب صغيرة كانت معه. اهتم بترتيب شاربه ولم يلتفت إليّ أبداً، وعرفت أنه لا يريد الكلام.

• • •

الفصل العاشر

خادمة الاستقبال

وجدنا السيدة أكرويد في الصالة. كان معها رجل ضئيل الحجم لا يتكلم، ذو ذقن يوحي بالعدوانية وعينين رماديتين حادّتين، وقد كُتبت كلمة «محامي» على كل مظهر من مظاهره.

قالت السيدة أكرويد: السيد هاموند سيتناول الغداء معنا. هل تعرف الميجر بلانت يا سيد هاموند؟ والدكتور شبارد؟ هو أيضاً صديق مقرّب لروجر المسكين. ودعني أقدم لك...

سكتت وهي تنظر إلى هيركيول بوارو متحيّرة، فقالت فلورا: إنه السيد بوارو يا أماه؛ لقد أخبرتك عنه صباح اليوم.

قالت السيدة أكرويد بارتباك: آه! نعم، بالطبع! بالطبع. إنه الذي سيعثر على رالف، أليس كذلك؟

قالت فلورا: سيعثر على قاتل عمي.

صاحت الأم: آه، يا إلهي! أرجوك؛ أعصابي لا تتحمل. إنني

منهكة هذا الصباح... منهكة تماماً. إنه حادث فظيع دون شك. كان روجر مولعاً بحمل التحف الغريبة والعبث بها، ولا بد أن يده قد انزلقت أو نحو ذلك.

قوبلت هذه النظرية بصمت مؤدب، ورأيت بوارو يأخذ المحامي جانباً ويتكلم معه على انفراد وبصوت منخفض. ابتعدا ناحية النافذة فذهبت إليهما، ثم ترددت قائلاً: ربما كنت أتطفل.

صاح بوارو بحرارة: أبداً. أنا وأنت -يا دكتور- نحقق بهذه القضية جنباً إلى جنب، وبدونك كنت سأضيع. أريد معلومة صغيرة من السيد هاموند.

قال المحامي بحذر: فهمت أنك تعمل بالنيابة عن الكابتن رالف باتون.

هزّ بوارو رأسه نافياً وقال: ليس صحيحاً، إنني أعمل لمصلحة العدالة، ولقد طلبتْ الآنسة أكرويد مني التحقيق في وفاة عمها.

بدا أن السيد هاموند قد فوجئ قليلاً، ثم قال: لا يمكن أن أصدق بأن الكابتن باتون متورّط في هذه الجريمة، كائنة ما كانت قوة الأدلة ضده. إن مجرد حقيقة حاجته الماسة إلى المال...

قاطعه بوارو بسرعة: هل كانت حاجته ماسة إلى المال؟

رفع المحامي كتفيه تعجباً وقال بنبرة جافة: كانت الحاجة حالة مزمنة عند رالف باتون. كانت النقود لا تستقر في يده، فيلجأ إلى زوج أمه.

– هل طلب منه نقوداً في الفترة الأخيرة؟ خلال السنة الماضية على سبيل المثال؟

– لا أدري؛ فلم يذكر السيد أكرويد شيئاً من هذا أمامي.

– فهمت. أظن أنك مطّلع على وصية السيد أكرويد يا سيد هاموند؟

– بالتأكيد؛ هذا هو عملي الأساسي هنا اليوم.

– إذن هل تمانع في إخباري ببنود الوصية بصفتي أعمل نيابة عن الآنسة أكرويد؟

– إنها بسيطة. بعيداً عن العبارات القانونية وبعد دفع مبالغ نقدية معيّنة وهبات...

قاطعه بوارو: مثل ماذا؟

فوجئ السيد هاموند قليلاً، ثم قال: ألف جنيه لمديرة المنزل الآنسة راسل، ومئة جنيه للطاهية إيما كوبر، وخمسمئة جنيه للسيد جيوفري ريموند، السكرتير. ثم هناك مستشفيات مختلفة...

رفع بوارو يده معترضاً وقال: آه! التبرعات الخيرية لا تهمني.

– تماماً. وريع مبلغ عشرة آلاف جنيه من الأسهم سيتم دفعه إلى السيدة أكرويد ما دامت على قيد الحياة. الآنسة فلورا أكرويد ترث عشرين ألف جنيه نقداً. والباقي (ويشمل هذا البيت وأسهم شركة أكرويد) تذهب إلى ابنه بالتبنّي، رالف باتون.

– هل كانت ثروة السيد أكرويد كبيرة؟

– ثروة كبيرة جداً؛ سيصبح الكابتن باتون شاباً ثرياً جداً.

ساد الصمت قليلاً، وتبادل بوارو والمحامي النظرات، ثم جاء صوت السيدة أكرويد شاكياً من قرب المدفأة: سيد هاموند.

لبّى المحامي نداءها، فيما سحبني بوارو من ذراعي وأخذني إلى النافذة. قال بصوت مرتفع: "انظر إلى هذه الأزهار. إنها رائعة، أليس كذلك؟ تبعث في النفس السرور والارتياح". وفي نفس الوقت أحسست بضغط يده على ذراعي وأضاف بصوت منخفض: هل ترغب حقاً في مساعدتي؟ في المشاركة بهذا التحقيق؟

قلت متحمساً: نعم؛ بالتأكيد. ذلك أحب شيء إليّ. إنك لا تعرف أية حياة مملة رتيبة أعيش. لم يصادفني شيء خارج المعتاد والمألوف أبداً.

– جيد، إذن سنكون زميلين. أظن أن الميجر بلانت سينضم إلينا بعد لحظات فهو غير مرتاح مع الأم الرؤوم. توجد بعض الأمور التي أريد معرفتها، ولكني لا أريد أن أبدو بمظهر المتلهّف لمعرفتها. هل فهمت؟ ولذلك سيكون عليك أن توجّه الأسئلة إليه.

سألته ببعض الخشية: ما هي الأسئلة التي تريدني أن أسألها؟

– أريدك أن تذكر اسم السيدة فيرارز.

– نعم؟

– تتكلم عنها بطريقة طبيعية. اسأله إن كان موجوداً هنا عندما

توفي زوجها... أنت تفهم ما أقصده. وبينما يجيب على أسئلتك راقب وجهه دون أن يبدو عليك أنك تراقبه. مفهوم؟

لم يتوفر وقت للمزيد من التوضيح؛ ففي هذه اللحظة التي نطق بها بوارو بتلك الكلمة الأخيرة كان بلانت قد ترك الآخرين بطريقته المفاجئة والمعتادة وجاء إلينا كما توقع بوارو.

اقترحت عليه أن نخرج إلى الشرفة فوافق، فيما تخلّف بوارو في الصالة، ثم وقفت لأتفحّص إحدى الورود وقلت: كيف تتغيّر الأمور بين ليلة وضحاها! أذكر أنني كنت هنا يوم الأربعاء الماضي أمشي على هذه المصطبة نفسها. كان أكرويد معي مفعماً بالنشاط، والآن بعد ثلاثة أيام... يصبح أكرويد المسكين ميتاً. والسيدة فيرارز ماتت... كنت تعرفها، أليس كذلك؟ كنت تعرفها بالطبع.

أومأ بلانت موافقاً، فسألته: هل رأيتها في زيارتك الأخيرة هذه؟

– ذهبت مع أكرويد لزيارتها، أظن أن ذلك كان يوم الثلاثاء. كانت امرأة جميلة، لكنها غامضة غريبة الأطوار، ولا يعرف المرء ما الذي تنويه.

نظرت إلى عينيه الرماديتين الثابتتين، لا شيء فيهما بالتأكيد. وأكملت قائلاً: أظن أنك قابلتها من قبل؟

– في آخر مرة كنت فيها هنا... كانت قد جاءت لتوّها مع زوجها للعيش هنا.

سكت قليلاً ثم أضاف: أمر غريب، لقد تغيرتْ كثيراً منذ ذلك الوقت.

- كيف تغيرت؟

- بدت وكأنها قد كبرت عشر سنين.

سألته محاولاً أن يبدو سؤالي عرضياً قدر الإمكان: هل كنت هنا عندما توفي زوجها؟

- لا. ولكن يبدو -من كل ما سمعته- أن وفاته كانت غير مأسوف عليها. ربما كان هذا الحكم قاسياً، ولكنه الحقيقة.

وافقته وقلت بحذر: لم يكن آشلي فيرارز زوجاً مثالياً على الإطلاق.

قال بلانت: أظنه كان وغداً سيء الخلق.

قلت: لا، ولكنه كان رجلاً يملك من المال ما كان مفسدة له.

- آه، المال! مشكلات العالم كلها يمكن أن تكون بسبب المال... أو بسبب قلة المال.

سألته: وهل كان هذا الأمر مشكلتك أنت تحديداً؟

- عندي ما يسد حاجتي؛ إنني من المحظوظين.

- بالفعل.

- الواقع أنني لست غنياً كثيراً الآن. لقد حصلت على ميراث في السنة الماضية وأقنعت نفسي -كالأحمق- في توظيف الأموال في مشروع متهوّر.

تعاطفت معه وسردت عليه مشكلتي التي تشبه مشكلته، ثم قُرِعَ الجرس ودخلنا جميعاً لتناول الغداء.

سحبني بوارو إلى الوراء قليلاً وقال: كيف سارت الأمور؟

قلت: لا غبار عليه؛ أنا واثق من هذا.

- أليس لديه ما... ما يثير القلق؟

قلت: حصل على إرث قبل سنة. ولكن ماذا في ذلك؟ لماذا لا يحصل على إرث؟ أقسم أن الرجل مستقيم تماماً وفوق الشبهات.

قال بوارو مهدّئاً: دون شك، دون شك. لا تزعج نفسك.

قالها وكأنه يتكلم مع طفل مشاكس. ثم دخلنا جميعاً غرفة الطعام، ولم أصدّق أنني كنت جالساً على تلك الطاولة قبل أقل من أربع وعشرين ساعة فقط.

بعد الغداء أخذتني السيدة أكرويد جانباً وجلست معي على أريكة في الغرفة. تمتمت وهي تُخرج منديلاً كان واضحاً أنه ليس من النوع الذي تمسح به الدموع: لا أملك إلا إن أحس بأن مشاعري قد جُرِحَت... جُرِحَت بسبب عدم ثقة روجر بي. كان يجب أن يترك العشرين ألف جنيه لي أنا... وليس لفلورا. إن الأم تؤتمن على حماية مصالح ابنتها. إنني أعتبر ذلك عدم ثقة.

قلت: لقد نسيتِ -يا سيدة أكرويد- أن فلورا هي ابنة أخيه، وهي قرابة دم.

قالت وهي تمرر المنديل على رموشها: كان الواجب يقضي -كما أرى- بأن تراعى مشاعري باعتباري أرملة أخيه المسكين، لكن روجر كان غريب الأطوار دائماً فيما يخص الأمور المالية، إن لم نقل إنه كان بخيلاً. كان موقفاً صعباً جداً بالنسبة لفلورا ولي، حتى أنه لم يمنح الطفلة المسكينة راتباً. نعم، كان يدفع فواتيرها، ولكن حتى هذا كان يفعله بكثير من التردد متسائلاً لماذا كل هذه الملابس! وقد غضبت فلورا من ذلك... نعم، غضبت من ذلك كثيراً، رغم أنها كانت تحب عمها بالطبع، ولكن من شأن أية فتاة أن تغضب لذلك. نعم، كانت لروجر أفكار غريبة جداً بخصوص المال.

ثم أضافت وقد قفزت بحديثها فجأة كما هو دأبها: ثم يترك كل ذلك المبلغ... ألف جنيه، تصور، ألف جنيه، لتلك المرأة!

- أي امرأة؟

- تلك المرأة راسل. إن بها شيئاً غريباً جداً، وهو ما كنت أقوله دائماً، لكن روجر لم يكن ليسمع أي كلمة عنها. قال إنها امرأة قوية الشخصية وإنه معجب بها ويحترمها، وكان دائم الحديث عن استقامتها واعتمادها على نفسها وصلابتها الخلقية. أظن أن فيها شيئاً مريباً. كانت -بالتأكيد- تبذل جهدها للزواج بروجر، لكنني سرعان ما وضعت حداً لذلك. وقد كرهتني. أمر طبيعي، فقد كنت أفهمها تماماً.

بدأت أتساءل إن كانت أمامي أية فرصة لوقف سيل الكلمات المتدفق من السيدة أكرويد، وساعدني السيد هاموند في هذه المهمة عندما جاء مودعاً، فقد انتهزت الفرصة ونهضت عن مقعدي وهو يقول: بخصوص التحقيق، أين تفضلون عقده؟ هنا أم في فندق ثري بورز.

حدقت السيدة أكرويد فيه ذاهلة وسألت: التحقيق؟ ولكن لن تكون حاجة للتحقيق، أليس كذلك؟

سعل السيد هاموند سعلة صغيرة جافة وتمتم قائلاً: إنه أمر حتمي في ظل هذه الظروف.

- لكن الدكتور شبارد يمكنه بالتأكيد ترتيب...

قلت بجفاف: لصلاحياتي حدود.

- ولكن إن كانت الوفاة حادثاً...

قلت بقسوة: لقد قُتِلَ قتلاً يا سيدة أكرويد.

صرختْ صرخة ضعيفة، فأضفت قائلاً: إن نظرية الحادث لن تصمد دقيقة واحدة أمام الوقائع.

نظرت السيدة أكرويد إليّ بيأس، ولم أُطِقْ ما رأيته لديها من خوف سخيف من خوض تجربة التحقيق الكريهة. قالت: إن كان التحقيق سيجري فإنني... فإنني غير ملزمة بالإجابة على الأسئلة وكل هذه الأشياء، أليس كذلك؟

أجبتها: لا أعرف ما سيكون ضرورياً. أظن أن السيد ريموند سيريحك من هذا العناء؛ إنه يعرف جميع الظروف والملابسات ويستطيع تقديم شهادة رسمية على وقائع الحادث.

وافقني المحامي بإيماءة خفيفة وقال: "لا أرى حقاً ما يمكن أن يثير مخاوفك يا سيدة أكرويد. يوجد مَن يحمل عنك عناء هذه التجربة،

وبالنسبة لموضوع المال: هل لديك ما تحتاجين إليه في الوقت الحالي؟"، ثم أضاف عندما نظرتُ إليه متسائلة: أعني أموالاً نقدية. إذا لم يكن عندك فيمكنني ترتيب حصولك على ما تريدين.

قال ريموند الذي كان يقف جانباً: هذه مسألة محلولة؛ فالسيد أكرويد صرف بالأمس شيكاً بمبلغ مئة جنيه.

- مئة جنيه؟

- نعم؛ للأجور والمصاريف الخاصة بهذا اليوم. وحتى هذه اللحظة ما زال المبلغ كما هو.

- اين هذه النقود؟ في مكتبه؟

- لا؛ لقد كان يحتفظ بالنقود في غرفة نومه دائماً، وكان يضعها -تحديداً- في علبة جلدية قديمة. فكرة غريبة، أليس كذلك؟

قال المحامي: أظن أن علينا التأكد من وجود النقود هناك قبل مغادرتي.

وافقه السكرتير: بالتأكيد، سآخذك إلى هناك الآن... آه! لقد نسيت. الباب مقفل.

بسؤال باركر أوضح أن المفتش راغلان موجود في غرفة مدبرة المنزل يسألها بعض الأسئلة المتعلقة بالقضية، وبعد دقائق معدودة انضم المفتش إلى المجموعة في الصالة ومعه المفتاح. فتح الباب ودخلنا الردهة ثم صعدنا على الدرج الصغير، وفي أعلاه كان باب غرفة الطعام مفتوحاً. كانت الغرفة في الداخل مظلمة والستائر مسدلة،

وكان السرير على حاله التي كان عليها في الليلة الماضية. سحب المفتش الستائر فدخل ضوء الشمس، فيما ذهب ريموند إلى الدّرج العلوي للمكتب.

علّق المفتش قائلاً: كان يحتفظ بالنقود على هذه الحال، في درج غير مقفل، تصوروا!

احمرّ وجه السكرتير قليلاً وقال بشيء من الحمية: كان السيد أكرويد يثق تماماً بأمانة جميع الخدم.

أسرع المفتش يقول: آه! صحيح تماماً.

فتح ريموند الدرج وأخرج منه علبة دائرية من الجلد، وفتحها وأخرج منها محفظة سميكة، ثم قال وهو يخرج من المحفظة رزمة كبيرة من الأوراق النقدية: ها هي النقود. سوف تجد الجنيهات المئة على حالها لم تُمَس؛ أعرف ذلك لأن السيد أكرويد وضعها في هذه العلبة الليلة الماضية بحضوري وذلك عندما كان يلبس لتناول العشاء، وبالطبع لم يمسها أحد منذ ذلك الوقت.

أخذ السيد هاموند منه رزمة النقود وعدّها، ثم رفع بصره بحدة وقال: تقول إنها مئة جنيه، ولكن هذه ستون جنيهاً فقط.

حدق به ريموند، ثم صاح وهو يقفز إليه: مستحيل!

أخذ النقود من يد المحامي وبدأ يعدّها بصوت مرتفع. كان السيد هاموند على حق؛ فقد كان المبلغ ستين جنيهاً. صاح السكرتير متحيّراً: ولكن... لا أفهم هذا.

سأل بوارو قائلاً: هل رأيت السيد أكرويد يضع هذه النقود عندما كان يلبس استعداداً للعشاء الليلة الماضية؟ هل أنت واثق أنه لم يصرف من هذا المبلغ شيئاً من قبل؟

– أنا واثق أنه لم يفعل، حتى أنه قال: "لا أريد أخذ مئة جنيه معي إلى غرفة الطعام؛ فهي تنفخ الجيب".

قال بوارو: إذن المسألة بسيطة جداً. إما أنه دفع مبلغ الأربعين جنيهاً في وقت ما الليلة الماضية أو أنها قد سُرِقت.

وافقه المفتش قائلاً: "هذه هي المسألة باختصار"، ثم التفت إلى السيدة أكرويد وقال: أيٌّ من الخدم كان من شأنه الدخول إلى الغرفة ليلة الأمس؟

– أظن أن خادمة المنزل جاءت لترتّب السرير.

– من هي؟ ماذا تعرفين عنها؟

– إنها لا تعمل هنا منذ وقت طويل، لكنها فتاة ريفية لطيفة وعادية.

قال المفتش: أظن أن علينا أن نحل هذه المسألة. لو أن السيد أكرويد هو الذي دفع ذلك المبلغ بنفسه، فيمكن أن يكون لذلك علاقة بلغز الجريمة. بالنسبة للخدم الآخرين لا شيء عليهم، أليس كذلك؟

– آه، أظن ذلك.

– هل فقدتم أي شيء من قبل؟

– لا.

– هل سيغادر أحد منهم؟

– خادمة الاستقبال ستتركنا.

– متى؟

– أعطت إشعاراً بذلك البارحة.

– أعطت إشعاراً لكِ أنت؟

– لا. ليس لي شأن بالخدم؛ فالآنسة راسل هي التي تتولّى أمور البيت.

بقي المفتش مستغرقاً في التفكير لبعض الوقت، ثم أومأ وقال: أظن أن من الأفضل أن أتكلم مع الآنسة راسل، كما سأرى هذه الفتاة، ديل، أيضاً.

رافقته وبوارو إلى غرفة مديرة المنزل، واستقبلتنا الآنسة راسل برباطة جأشها المعتادة وقالت إن إيلسي ديل تعمل في البيت منذ خمسة أشهر وإنها فتاة لطيفة وسريعة في القيام بواجباتها وجديرة بالاحترام، وقالت إنها أحضرت رسائل توصية من عائلات مرموقة، وهي آخر فتاة في الدنيا يمكن أن تأخذ شيئاً ليس ملكاً لها.

سألها المفتش: وماذا عن خادمة الاستقبال؟

– هي أيضاً فتاة متفوقة في عملها؛ هادئة جداً ومهذّبة وممتازة في عملها.

- إذن لماذا تريد المغادرة؟

زمّت الآنسة راسل شفتيها وقالت: لم يكن ذلك بسببي. علمت أن السيد أكرويد انتقدها بعد ظهر الأمس. كان من واجبها تنظيف وترتيب المكتب وأظن أنها أفسدت ترتيب بعض الأوراق على مكتبه، وقد تضايق كثيراً من هذا العمل فقدّمت إشعاراً بالرحيل. هذا ما فهمته منها على الأقل، ولكن ربما كنتم تريدون رؤيتها بأنفسكم؟

وافق المفتش. كنت قد رأيت الفتاة عندما كانت تخدمنا على مائدة الغداء. كانت فتاة طويلة القامة ذات شعر بني محدول وعينين رماديتان ثابتتين، واستدعتها مدبرة المنزل فجاءت ووقفت منتصبة وقد ثبتت عينيها الرماديتين علينا.

سألها المفتش: هل أنت أورسولا بورن؟

- نعم يا سيدي.

- علمت أنك مغادرة؟

- نعم يا سيدي.

- لماذا؟

- أفسدتُ ترتيب بعض الأوراق على مكتب السيد أكرويد. وغضب كثيراً من هذا الأمر فقلت إن من الأفضل أن أغادر، فطلب مني الرحيل في أسرع وقت ممكن.

- هل ذهبت إلى غرفة نوم السيد أكرويد الليلة الماضية، لترتيبها أو لأي شيء آخر؟

- لا يا سيدي. ذاك من عمل إيسلي، أما أنا فلم أقترب من تلك الغرفة أبداً.

- عليّ أن أخبرك -يا فتاتي- بأن مبلغاً كبيراً من المال قد فُقد من غرفة السيد أكرويد.

أخيراً رأيتها تنفعل. احمرّ وجهها وقالت: لا أعرف شيئاً عن أية نقود، وإن كنت تعتقد أنني سرقتها وأن ذلك هو السبب الذي طردني السيد أكرويد من أجله فأنت مخطئ.

قال المفتش: أنا لا أتهمك بسرقتها يا فتاتي؛ لا تغضبي هكذا.

نظرت الفتاة إليه بفتور ثم قالت بازدراء: يمكنك تفتيش أغراضي إن شئت ولكنك لن تجد شيئاً.

تدخّل بوارو فجأة وسألها: لقد طردك السيد أكرويد من العمل بعد ظهر الأمس... أم أنك تركت العمل باختيارك؟

أومأت الفتاة برأسها.

- كم استغرقت المقابلة؟

- المقابلة؟

- نعم، المقابلة بينك وبين السيد أكرويد في المكتب؟

- إنني... لا أعرف.

- عشرين دقيقة؟ نصف ساعة؟

- قريباً من هذا.

– ليس أطول من ذلك؟

– ليس أكثر من نصف ساعة بالتأكيد.

– شكراً لك يا آنسة.

نظرت إليه بفضول، وفيما كان يرتب بعض الأغراض على الطاولة ويضعها في خط مستقيم بأنامله الرشيقة كانت عيناه تلمعان.

قال المفتش: هذا يكفي.

ذهبت أورسولا بورن، التفت المفتش إلى الآنسة راسل وقال: منذ متى وهي تعمل هنا؟ هل لديك نسخة عن رسائل التوصية بها؟

ذهبت الآنسة راسل –دون أن تجيب على السؤال الأول– إلى مكتب قريب وفتحت أحد أدراجه وأخرجت منه رزمة من الأوراق في ملف واحد، فأخذت واحدة منها وقدمتها للمفتش.

قال المفتش: تبدو على ما يرام، السيدة فوليوت من منزل ماربي غرينج... مَن هي هذه المرأة؟

قالت الآنسة راسل: أناس محترمون من الريف.

قال المفتش وهو يعيد الورقة: حسناً، نريد أن نرى الفتاة الأخرى، إيليس ديل.

كانت إيليس ديل فتاة بيضاء ضخمة الجسم ذات وجه مريح رغم مسحة بسيطة من الغباء فيه، أجابت على أسئلتنا بصدر رحب وأظهرت كثيراً من الحزن والأسف والاهتمام على فقدان النقود.

قال المفتش بعد أن صرفها: ليس فيها ما يريب. ماذا عن باركر؟

زمّت الآنسة راسل شفتيها ولم تجب، وأكمل المفتش حديثه متأملاً: لديّ إحساس بوجود أمر مريب في ذلك الرجل، المشكلة أنني لا أعرف متى سنحت له فرصة للجريمة فقد كان مشغولاً بعمله بعد العشاء مباشرة ولديه دليل واضح على مكان وجوده طوال ليلة الأمس. أعرف ذلك لأنني أوليت ذلك الأمر اهتماماً خاصاً. حسناً، سنترك الأمور على حالها في الوقت الراهن، الأرجح أن يكون السيد أكرويد هو الذي أنفق ذلك المبلغ بنفسه.

ودّعتنا مديرة المنزل بجفاء وتركتنا، وغادرتُ البيت مع بوارو.

قلت لأكسر حاجز الصمت: ترى ماذا كانت أهمية تلك الأوراق التي أفسدتْ الفتاة ترتيبها حتى جعلت أكرويد يغضب منها إلى ذلك الحد؟ ترى هل يوجد فيها أي مفتاح لحل ذلك اللغز؟

قال بوارو بهدوء: قال السكرتير إن المكتب لم تكن عليه أي أوراق ذات أهمية.

قلت: "نعم، ولكن..."، ثم سكتُّ فقال: هل ترى غرابة في انفعال أكرويد بسبب مسألة تافهة كهذه؟

– نعم، أرى ذلك غريباً بعض الشيء.

– ولكن، هل كانت مسألة تافهة حقاً؟

– نحن لا نعرف ماذا كانت تلك الأوراق بالطبع، ولكن ريموند قال بالتأكيد...

- اترك السيد ريموند خارج هذا الموضوع لبعض الوقت. ما رأيك بتلك الفتاة؟

- أي فتاة؟ خادمة الاستقبال؟

- نعم، خادمة الاستقبال؛ أورسولا بورن.

قلت متردداً: تبدو فتاة لطيفة.

كرّر بوارو كلماتي وبينما شدّدت أنا على تلك الكلمة الأخيرة شدّد هو على الكلمة الأولى.

- تبدو فتاة لطيفة... نعم.

ثم أخرج -بعد دقيقة صمت- شيئاً من جيبه وأعطاه لي وهو يقول: انظر يا صديقي؛ سأريك شيئاً. انظر هنا.

كانت الورقة التي أعطانيها هي التي كتبها المفتش وأعطاها لبوارو ذلك الصباح، وعندما نظرت إلى المكان الذي أشار إليه بإصبعه رأيت علامةX صغيرة مكتوبة بالرصاص مقابل اسم أورسولا بورن.

- لا أظنك ترى...؟

- يا دكتور شبارد، إنني مستعد لرؤية كل احتمال. ربما كانت أورسولا بورن قد قتلت السيد أكرويد، ولكن اعترفُ لك بأنني لا أرى وجود دافع لفعلها ذاك. هل ترى دافعاً لها؟

نظر بإمعان... بإمعان شديد أحسست معه بعدم الارتياح، ثم كرّر سؤاله: هل ترى دافعاً لها؟

قلت بصلابة: لا يوجد أي دافع على الإطلاق.

خفف من حدة نظراته، ثم قطّب جبينه وقال يحدّث نفسه: بما أن المبتز كان رجلاً، فمعنى ذلك أنها لا يمكن أن تكون هي المبتزة، ولذلك...

تنحنحت إيذاناً بالحديث ثم قلت متردّداً: فيما يتعلق بهذا الأمر...

التفت بوارو إليّ فجأة وقال: نعم، ماذا؟ ماذا تريد أن تقول؟

- لا شيء، لا شيء. فقط أريد أن أوضح -للدقة- أن السيدة فيرارز في رسالتها ذكرت شخصاً... ولم تذكر أنه رجل على وجه التحديد. لكننا سلّمنا (أنا وأكرويد) بأنه كان رجلاً بالفعل.

لم يكن بوارو يبدو مصغياً إلي، بل كان يتحدث مع نفسه مرة أخرى: وكان مع ذلك، من الممكن... نعم، هذا محتمل بالتأكيد، ولكن في هذه الحالة... آه! يجب أن أعيد ترتيب أفكاري. النظام، والمنهجية! إنني الآن بحاجة إليهما أكثر من أي وقت مضى. ينبغي أن تتناسب كل الأمور في مكانها المحدد، وإلاّ فإنني أسير في المسلك الخاطئ.

سكت والتفت إليّ مرة أخرى وقال: أين ماربي؟

- إنها في الجانب الآخر لمدينة كرانشستر.

- كم تبعد عن هنا؟

- ربما أربعة عشر ميلاً.

- هل يمكنك الذهاب إلى هناك؟ غداً على سبيل المثال؟

- غداً؟ نعم، أستطيع ذلك. ماذا تريد مني أن أفعل؟

- حاول أن تعرف كل ما يمكن عن أورسولا بورن.

- جيد. ولكني... لست متحمساً كثيراً لهذا العمل.

- ليس الوقت وقت وضع العراقيل. ربما كانت حياة رجل معلقة على هذا الأمر.

قلت متنهداً: مسكين رالف. إذن فأنت تعتقد أنه بريء؟

نظر بوارو إلي بهدوء: هل تريد معرفة الحقيقة؟

- بالطبع.

- إذن هاك إياها: كل شيء -يا صديقي- يشير إلى الافتراض بأنه هو المجرم.

صحت: ماذا؟

أومأ بوارو وقال: نعم. ذلك المفتش الغبي (وهو غبي فعلاً) كل ما لديه يشير إلى هذا. إنني أبحث عن الحقيقة، والحقيقة تقودني إلى رالف باتون كل مرة... الدافع والفرصة والوسيلة. ولكن لن أترك طريقاً دون أن أسلكه. لقد وعدت الآنسة فلورا، وهي كانت واثقة جداً، واثقة جداً بالفعل.

* * *

الفصل الحادي عشر

بوارو يقوم بزيارة

كنت في مزاج عصبي سيء بعض الشيء عندما قرعت الجرس في ماربي غرينج بعد ظهر اليوم التالي. تساءلت كثيراً عمّا كان بوارو يتوقّعه. لقد عهد إلي بهذا الأمر، لماذا؟ ألأنه كان يرغب في البقاء بعيداً في الظل كما كان الحال عندما كلّفني باستجواب الميجر بلانت؟ كانت رغبته في المرة الأولى مفهومة ومقبولة لكنها تبدو هذه المرة لا معنى لها.

جاءت خادمة تلبس ثوباً جميلاً وقطعت علي أفكاري. قالت إن السيدة فوبلوت موجودة في البيت وأدخلتني إلى غرفة استقبال كبيرة، ونظرت حولي بفضول بينما كنت أنتظر صاحبة البيت. غرفة كبيرة قليلة الأثاث، فيها بعض قطع الفخار الصيني القديم وبعض اللوحات الجميلة والأغطية البالية والستائر. كانت غرفة سيدة بمعنى الكلمة.

كنت أتفحّص إحدى اللوحات على الحائط عندما دخلت السيدة فوبلوت. كانت امرأة طويلة القامة ذات شعر بني غير مرتّب وابتسامة فاتنة جداً. قالت مترددة: دكتور شبارد؟

أجبتها: نعم، هذا هو اسمي. أعتذر عن زيارتي لك بهذه الطريقة، لكني أريد بعض المعلومات عن خادمة استقبال كانت تعمل عندك من قبل، أورسولا بورن.

تلاشت البسمة عن شفتيها عندما ذكرت اسم الخادمة وفترت حرارة الاستقبال التي كانت تبدو عليها، بل بدا عليها التململ وعدم الارتياح وقالت مترددة: أورسولا بورن؟

- نعم، ربما لا تتذكرين الاسم؟

- آه، أتذكره بالطبع. أتذكره تماماً.

- فهمت أنها تركت العمل عندك قبل أكثر من سنة؟

- نعم، نعم هذا صحيح. صحيح تماماً.

- هل كنت راضية عنها عندما كانت عندك؟ بالمناسبة، كم قضت عندك من الوقت؟

- آه، سنة أو سنتين... لا أتذكر المدة بالضبط. إنها... إنها فتاة قديرة جداً. أنا واثقة أنك ستجدها جيدة تماماً. لم أعرف أنها ستغادر فيرنلي، لم أعرف شيئاً عن ذلك أبداً.

- هل يمكنك أن تخبريني شيئاً عنها؟

- شيئاً عنها؟

- نعم، من أين هي؟ من هم أهلها؟ معلومات من هذا القبيل.

تجمدت التعابير على وجه السيدة فوليوت أكثر فأكثر وقالت: لا أعرف شيئاً.

- أين عملت قبل مجيئها إليك؟

- لا أظن أنني أتذكّر.

في تلك اللحظة لمحتُ شرارة من الغضب خلف عصبيتها وارتباكها. رفعتْ رأسها -في حركة بدت مألوفة على نحو غامض- وقالت: أمن الضروري توجيه كل هذه الأسئلة حقاً؟

قلت محاولاً إبداء الدهشة لسؤالها مع شيء من الاعتذار في لهجتي: أبداً، لم أعرف أنك قد تمانعين في الإجابة عليها. أنا في غاية الأسف بالفعل.

هدأ غضبها وعادت لارتباكها ثانية وقالت: آه! ليس عندي مانع في الإجابة عنها... أؤكد لك ذلك. ولماذا أمانع؟ إنما يبدو الأمر غريباً بعض الشيء، هذا كل ما في الأمر، غريباً قليلاً.

إن إحدى حسنات العمل طبيباً هي أنك تستطيع معرفة متى يكذب الناس عليك. كان واضحاً من سلوك السيدة فوليوت، ناهيك عن الأمور الأخرى، أنها تمانع فعلاً في الإجابة عن أسئلتي... بل وتمانع بعناد. كانت منزعجة تماماً وقلقة، وكان واضحاً وجود لغز في الأمر. رأيت فيها امرأة غير معتادة أبداً على الخداع من أي نوع كان، وبالتالي يظهر عليها القلق الشديد عندما تضطر إلى ممارسة هذا الخداع. كان يمكن لأي طفل أن يرى ذلك فيها، ولكن كان واضحاً -أيضاً- أنها لا تعتزم قول أي شيء آخر لي، فأياً كان ذلك اللغز المتعلق

بأورسولا بورن فإنني لن أعرفه من السيدة فوليوت. وعندما أسقط في يدي اعتذرت لها مرة أخرى عن إزعاجي لها وأخذت قبعتي وغادرت.

ذهبت لزيارة اثنين من المرضى، وبعدها وصلت البيت الساعة السادسة تقريباً. كانت كارولين تجلس وبجانبها بقايا عدة الشاي، وقد بدت عليها نظرة الابتهاج المكبوتة تلك التي أعرفها جيداً؛ تلك النظرة التي كانت علامة أكيدة إما على حصولها على معلومات أو على استعدادها لإعطاء معلومات. وتساءلت في أية حالة من الحالتين هي الآن.

قالت عندما ألقيت نفسي على الكرسي المريح ومددت قدمي باتجاه المدفأة المشتعلة: لقد قضيتُ أمسية ممتعة للغاية.

سألتها: حقاً؟ هل زارتك الآنسة جانيت لتناول الشاي؟

كانت الآنسة جانيت واحدة من مروجات الأخبار الأساسيات عندنا. قالت كارولين برضا بالغ عن الذات: احزر ثانية.

حزرت عدة مرات معدداً -بالترتيب- جميع أفراد الجهاز الاستخباري الخاص بكارولين، وكلما حزرت اسماً كانت أختي تهز رأسها مبتهجة ابتهاج المنتصر، وفي نهاية الأمر تطوعتْ بذكر اسم الزائر. قالت: السيد بوارو! ماذا ترى في ذلك؟

كنت أرى في ذلك أشياء كثيرة، ولكني حرصت على ألا أقولها لكارولين. سألتها: لماذا جاء؟

– ليراني بالطبع. وقد قال إنه يعرف أخي جيداً ولذا فإنه يود

التعرف على أخته الفاتنة. لا أختك الفاتنة؟! لقد اختلطت عليّ الأمور، لكنك تفهم ما أعنيه.

– وفيمَ تحدث بوارو؟

– حدثني كثيراً عن نفسه وعن قضاياه. هل تعرف ذلك الأمير بول، الأمير الروسي الذي تزوج راقصة؟

– نعم؟

– قرأت خبراً مثيراً عنها بالأمس في إحدى المجلات، حيث ألمح الخبر إلى أنها كانت دوقة روسية كبرى، وأنها إحدى بنات القيصر وقد استطاعت الهروب من البلاشفة. يبدو أن السيد بوارو قد حلّ لغزاً محيراً لجريمة قتل كان الاثنان على وشك التورط فيها، وقد كان الأمير بول في غاية الامتنان له.

سألتها ساخراً: وهل أهداه دبوساً لربطة العنق مرصعاً بالماسة بحجم بيضة العصفور؟

– لم يذكر ذلك. لماذا؟

قلت: لا شيء... ظننت أن هذا يحدث دائماً. على أية حال فهي موجودة في الروايات البوليسية حيث يكون منزل رجل التحري مليئاً بالياقوت واللؤلؤ والزمرد من زبائنه من الأمراء والأثرياء.

قالت أختي بابتهاج: مثير حقاً سماع هذه الأمور من المعنيين بها مباشرة.

من شان ذلك أن يكون مثيراً لكارولين. لم أملك إلاّ الإعجاب بعبقرية السيد بوارو الذي اختار بذكاء، ومن بين كل القضايا، قضية من شأنها أن تجذب امرأة في أواسط عمرها تعيش في قرية صغيرة.

سألتها: هل أخبرك إن كانت الراقصة دوقة كبرى حقاً؟

أجابت بحدية: لم يكن يملك البوح بذلك.

تساءلتُ عن المدى الذي ذهب إليه بوارو في تكييف الحقائق ومطّها في حديثه مع كارولين. ربما لم يكن بحاجة لذلك أبداً، إذ يكفيه أن يوحي بما لا يريد التصريح به بإشارات من عينيه وكتفيه.

قلت: وأظنك أصبحت في جيبه بعد كل ذلك، أليس كذلك؟

– لا تكن سوقياً يا جيمس. لا أدري من أين تأتي بهذه التعابير العامية.

– ربما من صلتي الوحيدة بالعالم الخارجي... أعني مرضاي. لسوء الحظ فإن عملي ليس بين الأمراء واللاجئين الروس المثيرين.

رفعت كارولين نظارتها ونظرت إليّ من تحتها ثم قالت: تبدو نكداً جداً يا جيمس. لا بد أن ذلك بسبب كبدك، أظن أن عليك أن تأخذ حبة زرقاء هذه الليلة.

لو أتيح لأحد أن يراني في بيتي لما تخيل أنني طبيب؛ إذ كانت كارولين هي التي تتولى التشخيص في البيت لي ولها على حد سواء.

قلت غاضباً: تباً لكبدي! هل تحدثتما عن جريمة القتل؟

– بالطبع يا جيمس. وهل يوجد شيء آخر تتحدث عنه في القرية؟ استطعت توجيه السيد بوارو بخصوص عدة نقاط، وقد شكرني كثيراً. قال إنني أحمل في نفسي مواهب التحري الناجح، بالإضافة إلى بصيرة سيكولوجية نافذة في شؤون الطبيعة البشرية.

كانت كارولين تشبه تماماً قطة أُطعمت لحدّ الإشباع فأخذت تموء عرفاناً بالجميل. مضت تقول: تحدث كثيراً عن خلايا الدماغ الرمادية الصغيرة ووظائفها، وقال إن خلاياه من النخب الأول.

قلت: إن من شأنه قول ذلك؛ فالتواضع ليس من صفاته بالتأكيد.

– لقد رأى أن من المهم جداً العثور على رالف بأسرع وقت ممكن وحثه على الظهور وشرح موقفه، وقال إن اختفاءه سيعطي هيئة التحقيق انطباعاً سيئاً جداً عنه.

– وماذا قلت له بهذا الخصوص؟

قالت كارولين مزهوة: وافقته القول، وأخبرته عن كلام الناس حول هذا الأمر.

قلت بحدة: كارولين، هل أخبرت السيد بوارو بما سمعته في الغابة ذلك اليوم؟

قالت كارولين راضية عن نفسها: نعم؛ أخبرته.

نهضت عن مقعدي وصرت أمشي في الغرفة ثم صحت قائلاً: أرجو أن تدركي ما تقومين به. إنك تضعين الحبل حول عنق رالف باتون بالتأكيد.

قالت كارولين بهدوء: أبداً. لقد فوجئت لأنك لم تخبره أنت بذلك.

- كنت حريصاً جداً على ألاّ أخبره، فأنا أحب ذلك الفتى.

- وكذلك أنا، وهذا ما يدعوني لأن أقول بأن كلامك هراء. لا أصدق أن رالف هو القاتل، ولذلك فإن الحقيقة لا تؤذيه، وعلينا تقديم المساعدة للسيد بوارو قدر استطاعتنا. فكّر في الأمر، من المحتمل جداً أن يكون رالف قد خرج مع تلك الفتاة نفسها ليلة الجريمة، وفي هذه الحالة فإن لديه دليل غياب ممتازاً عن مكان الجريمة.

أجبتها: إن كان لديه دليل غياب ممتاز فلماذا لا يظهر ويقوله؟

قالت كارولين بتعقل: ربما أدى ذلك إلى إيقاع الفتاة في مشكلة، ولكن لو أمكن للسيد بوارو الوصول إليها وشرح الأمر لها باعتباره واجباً عليها، فإنها ستأتي باختيارها وتبرّئ رالف.

- يبدو أنك قد اخترعت قصة رومانسية مثيرة من نسج خيالك. إنك تقرئين كثيراً من الروايات الرخيصة يا كارولين. لطالما قلت لك ذلك.

ألقيت نفسي على الكرسي مرة أخرى، ثم سألتها: هل سألك بوارو أي أسئلة أخرى؟

- فقط عن المرضى الذين كانوا عندك صباح ذلك اليوم.

سألتها غيرَ مصدق: المرضى؟

- نعم؛ مرضى عيادتك. كم عددهم ومن هم.

- هل تريدين القول إنه كان بوسعك إخباره بذلك أيضاً؟

إن كارولين مدهشة حقاً. قالت أختي فرحة: ولم لا؟ يمكنني أن أرى الممر المؤدي إلى باب العيادة من هذه النافذة بكل وضوح، كما أن ذاكرتي ممتازة يا جيمس، وهي -لعلمك- أفضل من ذاكرتك بكثير.

- وأنا واثق من ذلك.

أكملت أختي وهي تعد الأسماء على أصابعها: كانت عندك السيدة بانيت العجوز، وذلك الولد من المزرعة، وجاءت دولي غرايس لتخرج إبرة من إصبعها، وذلك المضيف الذي جاء من السفينة. دعني أتذكر... هؤلاء أربعة. نعم، والعجوز جورج إيفانز صاحب القرحة. وأخيراً...

سكتتْ سكوتاً ذا مغزى، فسألتها: حسناً؟

نطقت كارولين بما اعتبرته ذروة الحديث بشيء من نشوة الانتصار. نطقته هسيساً كله تأكيد... وساعدها في هذا الهسيس السينات العديدة في عبارتها: الآنسة راسل!

أسندت ظهرها إلى الكرسي الذي كانت تجلس عليه ونظرت إليّ نظرة ذات مغزى، وعندما تنظر كارولين إليك نظرة ذات مغزى فمن المستحيل ألاّ تلحظها.

قلت غيرَ صادق: لا أدري ماذا تقصدين! ولماذا لا تستشيرني الآنسة راسل بخصوص ركبتها التي تؤلمها؟

قالت كارولين: ركبتها تؤلمها؟ هراء! إن ركبتها أفضل من ركبتي وركبتك. كانت تريد شيئاً آخر.

- ماذا؟

اضطرت كارولين للاعتراف بأنها لا تعرف، ثم أضافت: ولكن ثق أن ذلك هو ما كان يرمي الوصول إليه... أعني السيد بوارو. إن في تلك المرأة ما يبعث على الريبة، وهو يعرف ذلك.

قلت: نفس العبارة التي قالتها السيدة أكرويد لي بالأمس... إن الآنسة راسل تثير الريبة.

قالت كارولين بغموض: آه، السيدة أكرويد؟ تلك واحدة أخرى!

- أخرى ماذا؟

رفضت كارولين توضيح كلامها، إنما أومأت برأسها عدة مرات وجمعت الصوف الذي كانت تغزله ثم صعدت لترتدي الثياب التي تسميها ثياب العشاء.

بقيت هناك أحدق في النار وأقلّب التفكير في كلمات كارولين. هل جاء بوارو -حقاً- ليحصل على معلومات عن الآنسة راسل أم أن ذلك لا يعدو أن يكون عقل كارولين الملتوي الذي يفسر كل شيء وفق آرائها الخاصة؟

لم يكن في سلوك الآنسة راسل ذلك الصباح أي شيء يثير الشبهة على الأقل. تذكرت إلحاحها على الحديث عن موضوع تعاطي المخدرات وتذكرت أنها نقلت الحديث من تلك النقطة إلى الحديث

عن السموم والتسميم، ولكن لم يكن في ذلك الكلام شيء، فأكرويد لم يمت مسموماً. ومع ذلك كان الأمر غريباً.

سمعت صوت كارولين وهي تنادي من أعلى الدرج بصوت حاد: جيمس، سوف تتأخر على العشاء.

وضعت بعض الفحم في النار وصعدت طائعاً. من الجيد أن ينعم المرء بالسلام في بيته كائناً ما كان الثمن.

* * *

الفصل الثاني عشر

حول الطاولة

عقد التحقيق يوم الإثنين. ولا أريد وصف مجريات التحقيق بالتفصيل، لأن ذلك يعني العودة إلى نفس القصة مرة تلو أخرى. وقد حرص الشرطة على ألاّ يتسرب الكثير عمّا جرى في التحقيق. أما أنا فقد أدليت بشهادتي عن سبب وفاة أكرويد والوقت المحتمل لها، وقد علّق قاضي التحقيق على غياب رالف باتون لكنه لم يشدّد على ذلك كثيراً.

بعد ذلك تحدثنا أنا وبوارو مع المفتش راغلان بعض الوقت. كان المفتش مهموماً جداً وقال: يبدو الأمر سيئاً. أنا أحاول الحكم على الأمر بأمانة ودون تحامل؛ فأنا من أهل المنطقة وأعرف الكابتن باتون جيداً. لا أريده أن يكون هو المذنب، لكن وضعه سيء كيفما نظرت إليه. إن كان بريئاً فلماذا لا يظهر؟ لدينا دليل ضده، ولكن قد يكون بإمكانه شرح موقفه وتفنيد الدليل. إذن لماذا لا يأتي ويوضح الأمر؟

كان وراء كلمات المفتش الكثير من المعاني التي لم أكن أعرفها

في ذلك الوقت، فقد عُمّمت أوصاف رالف على جميع الموانئ ومحطات القطارات في إنكلترا، وتمت مراقبة المكان الذي يقيم فيه في المدينة ومراقبة الأماكن التي عُرف تردده عليها. وبمثل هذا الحصار المضروب يبدو من المستحيل الإفلات من قبضة الشرطة، كما أنه بلا أمتعة أو مال كما يعلم الجميع.

أكمل المفتش قائلاً: لا أستطيع العثور على أي شخص رآه في المحطة تلك الليلة. ولكن لا بد أن أحداً ما قد رآه؛ فهو معروف جيداً هنا، كما لا توجد أية أخبار من ليفربول.

سأله بوارو: هل تعتقد أنه ذهب إلى ليفربول؟

– محتمل. تلك المكالمة الهاتفية من المحطة تمت قبل مغادرة القطار السريع المتجه إلى ليفربول بثلاث دقائق. لا بد أن في هذا الأمر شيئاً.

– إلاّ إذا تعمد أحدهم تضليلكم. ربما كان هذا هو الهدف من المكالمة الهاتفية.

قال المفتش متحمساً: هذه فكرة. هل ترى أن هذا هو التفسير للمكالمة الهاتفية حقاً؟

قال السيد بوارو متجهماً: يا صديقي، إنني لا أعرف، لكني سأقول لك ما يلي: أعتقد أننا عندما نجد تفسيراً لتلك المكالمة فسوف نجد تفسيراً لجريمة القتل.

قلت وأنا أنظر إليه بفضول: أذكر أنك قلت شيئاً كهذا من قبل.

أومأ بوارو موافقاً، ثم قال جاداً: إنني أعود إلى هذه النقطة دائماً.

قلت: لا أرى لذلك أية صلة بالموضوع.

اعترض المفتش قائلاً: ما كنت لأقول ذلك، ولكني أعترف بأن السيد بوارو يعزف على هذا الوتر كثيراً. لدينا مؤشرات أفضل من هذا؛ بصمات الأصابع على الخنجر على سبيل المثال.

وفجأة عاد بوارو إلى طبيعته الأجنبية (وهو ما يحدث له كثيراً عندما ينفعل من أمر معين). قال بلكنته الفرنسية: أيها المفتش، احذر من حاجبات الرؤية... من المُعميات... كيف أعبر عن ذلك؟ احذر من الأزقة الملتوية التي لا نهاية لها.

حدّق به المفتش راغلان، لكني كنت أسرع. قلت: هل تقصد الأنفاق المظلمة؟

– نعم... الطريق المظلم الذي لا يؤدي إلى أي مكان. وقد ينطبق هذا على البصمات؛ فربما لا تقودك إلى أي مكان.

قال ضابط الشرطة: لا أرى كيف يمكن أن يكون ذلك. أظن أنك تلمّح إلى أنها بصمات مزيفة؟ قرأت عن حدوث شيء كهذا، رغم أنني لم أصادف مثله أثناء عملي. ولكن سواء أكانت حقيقية أم مزورة، فإنها ستؤدي إلى مكان ما.

اكتفى بوارو بأن رفع كتفيه بلامبالاة وشرع ذراعيه في الهواء.

بعد ذلك أرانا المفتش عدة صور مكبرة لبصمات أصابع وبدأ يشرح تفاصيل البصمات بعبارات فنية، وأخيراً قال وقد تضايق من عدم

اكتراث بوارو بالأمر: ما بالك؟ يجب أن تعترف بأن هذه بصمات شخص كان موجوداً في البيت تلك الليلة؟

قال بوارو وهو يومئ برأسه: حسناً.

– لقد أخذت بصمات جميع مَن في المنزل... الجميع، من السيدة العجوز حتى خادمة المطبخ.

لا أظن أن السيدة أكرويد ستفرح لتسميتها السيدة العجوز؛ لا بد أنها تنفق أموالاً طائلة على مستحضرات التجميل!

كرر المفتش كلامه بانفعال شديد: بصمات الجميع!

قلت بجفاء: بما في ذلك بصماتي.

– حسناً، ولم تتطابق أي منها مع البصمات الموجودة على الخنجر. إن هذا يتركنا أمام خيارين: إمّا أنها بصمات رالف باتون أو بصمات الغريب الغامض الذي أخبرنا الطبيب عنه. وعندما نمسك بهذين الاثنين...

قاطعه بوارو: ربما نكون قد أضعنا الكثير من الوقت الثمين.

– لا أفهمك تماماً يا سيد بوارو.

قال بوارو: لقد أخذت بصمات الجميع داخل البيت كما تقول، فهل هذه حقيقة دقيقة أيها المفتش؟

– بالتأكيد.

– دون نسيان أحد؟

- دون نسيان أحد.

- الحي والميت؟

بدا المفتش -للحظة- محتاراً من هذا القول، ثم قال ببطء: هل تقصد؟

- الميت يا حضرة المفتش.

ومع ذلك لم يفهم المفتش المقصود إلاّ بعد لحظات. قال بوارو بوضوح: أريد أن أقول إن البصمات الموجودة على مقبض الخنجر هي بصمات السيد أكرويد نفسه. إنها مسألة يسهل التحقق منها؛ فجثته ما زالت موجودة.

- ولكن لماذا؟ ما الغرض من ذلك؟ لا أظنك ترمي إلى أنه انتحار يا سيد بوارو؟

- آه! لا. نظريتي هي أن القاتل وضع قفازات أو كان يلف حول يده شيئاً، وبعد أن نفذ الجريمة أمسك بيد الضحية وأطبقها على مقبض الخنجر.

- ولكن لماذا؟

رفع بوارو كتفيه مرة أخرى وقال: ليجعل هذه القضية المعقدة أكثر تعقيداً.

- حسناً، سأنظر في هذا الأمر. ما الذي أوحى لك بهذه الفكرة أساساً؟

- عندما تكرمتَ عليّ وأريتني الخنجر ولفتّ انتباهي إلى البصمات. أنا لا أعرف إلاّ القليل عن أشكال البصمات وتفاصيلها؛ أعترف -صراحةً- بجهلي في هذا الأمر. ولكن خطر لي أن مكان وجود البصمات غريب إلى حد ما؛ فعندما تريد أن تضرب شخصاً بخنجر فإنك لا تمسكه بهذه الطريقة. أمر طبيعي أن يصعب وضع يد القتيل في المكان الصحيح تماماً من مقبض الخنجر إذا ما اضطر القاتل لرفعها لما فوق الكتف وللخلف.

حدّق المفتش راغلان ببوارو، أما بوارو فقد نفض -بكثير من هدوء البال- ذرة غبار عن كم معطفه. ثم قال المفتش: حسناً، إنها فكرة. سأتحقق منها، ولكن أرجو ألاّ يخيب ظنك إذا ظهر أنها غير صحيحة.

حاول أن يجعل نبرة صوته لطيفة وكأنه يخاطب طفلاً. ونظر إليه بوارو وهو ذاهب، ثم التفت إليّ وعيناه تطرفان وقال: والآن بعد أن أصبحنا وحدنا، ما رأيك باجتماع مصغّر للعائلة يا صديقي؟

عُقد الاجتماع المصغر (كما سمّاه بوارو) بعد نصف ساعة تقريباً. جلسنا حول الطاولة في غرفة الطعام في بيت السيد أكرويد، وجلس بوارو على رأس الطاولة كرئيس لاجتماع مجلس إدارة. لم يكن الخدم حاضرين، ولذلك كان مجموعنا ستة أشخاص؛ السيدة أكرويد وفلورا والميجر بلانت والشاب ريموند وبوارو وأنا.

وعندما اجتمع الكل حول الطاولة نهض بوارو وحيّانا بانحناءة من جسمه وقال: أيها السيدات والسادة، لقد دعوتكم إلى هذا الاجتماع لغرض معين. في البداية أريد أن أتوجه بنداء خاص للآنسة.

قالت فلورا: لي أنا؟

- أنت مخطوبة -يا آنستي- للكابتن رالف باتون، وهو إن كان يثق بأحد فإنه يثق فيك؛ ولذلك أرجوك رجاء حاراً أن تقنعيه بأن يظهر إن كنت تعرفين مكان وجوده.

وعندما رفعتْ فلورا رأسها تريد الحديث قال: دقيقة واحدة من فضلك... لا تقولي أي شيء إلاّ بعد تفكير عميق. يا آنستي، إن وضعه يزداد خطورة يوماً بعد يوم، ولو ظهر على الفور -مهما تكن الحقائق مُرّة- فيمكن أن تكون لديه فرصة لشرحها وتبريرها. لكن هذا الصمت... هذا الهروب... ماذا يمكن أن يعني؟ إنه يعني شيئاً واحداً بالتأكيد: يقينه من أنه مذنب. يا آنسة، إن كنت تعتقدين أنه بريء حقاً فأقنعيه بالظهور قبل فوات الأوان.

غدا وجه فلورا شاحباً جداً، وكررتْ كلماته بصوت خفيض: فوات الأوان!

مال بوارو إلى الأمام -وهو ينظر إليها- وقال بلطف شديد: اسمعيني يا آنسة، إن بابا بوارو هو الذي يطلب منك ذلك... بوارو العجوز صاحب الخبرة والتجربة الواسعة. إنني لا أسعى لخداعك يا آنسة. ألن تثقي بي وتخبريني عن مكان اختباء رالف باتون؟

نهضت الفتاة عن مقعدها ووقفت في مواجهته وقالت بصوت واضح: سيد بوارو، أقسم لك... أقسم لك -صادقةً- أنني لا أعرف أين رالف، وأنني لم أره ولم أتلقّ منه خبراً لا في يوم الجريمة ولا بعد ذلك.

ثم جلست ثانية، فنظر بوارو إليها صامتاً بعض الوقت، ثم ضرب بيده على الطاولة وقال وقد قست قسمات وجهه: لا بأس! والآن أناشد الآخرين الذين يجلسون حول هذه الطاولة، السيدة أكرويد والميجر بلانت والدكتور شبارد والسيد رايموند. أنتم جميعاً أصدقاء الشاب المفقود وأحباؤه. إن كنتم تعلمون أين يختبئ رالف باتون فتكلموا.

ساد صمت طويل، ونظر بوارو إلى الجميع واحداً بعد الآخر، ثم قال بصوت منخفض: "أرجوكم أن تتكلموا". ولكن الصمت ظل مخيماً، ثم قطعتْه السيدة أكرويد -أخيراً- بصوت حزين: لا بد من القول إن غياب رالف غريب جداً... غريب جداً بالفعل. لمَ لا يظهر في مثل هذا الوقت؟ يبدو أن في الأمر شيئاً ما. لا يسعني إلاّ أن أرى، يا عزيزتي فلورا، أننا محظوظون إذ لم نعلن الخطوبة بينكما رسمياً.

صاحت فلورا غاضبة: أمي!

قالت السيدة أكرويد: "إنها العناية الإلهية". ثم أضافت تقول وقد أخرجت منديلها: لقد وفر هذا على فلورا الكثير من الفضائح والحزن. وهذا لا يعني -أبداً- أنني أرى علاقة لرالف العزيز بمقتل المسكين روجر، فأنا لا أرى ذلك؛ إذ أن لي قلباً يحسن الظن بالناس. هكذا كنت دائماً، منذ كنت طفلة. إنني لا أحب إساءة الظن بأي شخص، ولكن علينا أن نتذكر -بالطبع- أن رالف عاش تحت الغارات الجوية عدة مرات أثناء الحرب وهو صغير، ويقولون إن نتائج مثل هذه التجربة تظهر بعد فترة طويلة. وعندها لا يكون أصحابها مسؤولين عن أفعالهم أبداً؛ إذ أنهم يفقدون السيطرة على أنفسهم ولا يملكون لذلك دفعاً ولا حيلة.

صاحت فلورا: أمي! لا أظنك ترين أن رالف هو الفاعل؟

قال بلانت: ما بالك يا سيدة أكرويد؟

قالت السيدة أكرويد وهي تدمع: لا أدري ماذا أرى؟ الأمر مزعج جداً. ماذا سيحدث للبيت إذا ما وُجد رالف مذنباً؟

دفع ريموند كرسيه بعيداً عن الطاولة بعنف، وبقي الميجر بلانت هادئاً ينظر إليها وهو مستغرق في التفكير.

قالت السيدة أكرويد بعناد: ربما انتابته نوبة من تلك النوبات الناتجة عن التعرض للقصف... كما أن روجر تركه في حاجة ماسة للمال... بحسن نية بالطبع. أرى أنكم جميعاً تعارضونني، ولكني أرى -بالفعل- أن من الغريب جداً أن لا يظهر رالف، ولا بد من القول إنني أحمد الله على عدم إعلان خطبة فلورا رسمياً.

قالت فلورا بصوت هادئ: سنعلنها غداً.

صاحت أمها مذعورة: فلورا!

كانت فلورا قد التفتت إلى السكرتير قائلة: هلاّ أرسلت الإعلان إلى صحيفة مورننغ بوست يا سيد ريموند؟ أرجوك.

ردّ عليها بهدوء: إن كنت واثقة من حكمة هذا العمل يا آنسة أكرويد.

التفتت إلى بلانت بسرعة وقالت: أنت تفهم موقفي، ماذا يسعني أن أفعل غير ذلك؟ في مثل هذه الظروف لا بد أن أقف بجانب رالف.

ألا توافقني الرأي؟

نظرت إليه تتفحصه، وبعد صمت طويل أومأ برأسه موافقاً.

اندفعت السيدة أكرويد في موجة احتجاجات غاضبة، فيما بقيت فلورا ساكنة، ثم تكلم ريموند قائلاً: إنني أقدر دوافعك يا آنسة أكرويد، ولكن ألا ترين أنك تتسرعين؟ انتظري يوماً أو يومين.

قالت فلورا بصوت حازم: غداً. لا فائدة من استمرارك على هذا الحال يا أمي. مهما كانت صفاتي السيئة الأخرى، فإن عدم الوفاء لأصدقائي ليست منها.

قالت السيدة أكرويد تناشد السيد بوارو ودموعها تنسكب: سيد بوارو، ألا تقول شيئاً؟

تدخل بلانت قائلاً: لا يوجد ما يقال... إنها تفعل الصواب. سأقف إلى جانبها في السراء والضراء.

قالت فلورا: شكراً لك يا ميجر بلانت.

قال بوارو: يا آنسة، هل تسمحين لعجوز مثلي أن يهنئك على شجاعتك ووفائك؟ وهل تتفهمين موقفي إذا طلبت منك -من كل قلبي- تأجيل الإعلان الذي تتحدثين عنه ليومين على الأقل؟

ترددت فلورا. أكمل بوارو: إنني أطلب ذلك من أجل مصلحة رالف باتون ومصلحتك يا آنسة. أراك تعبسين. أنت لا تدركين كيف يمكن لذلك أن يكون، لكني أؤكد لك أن الأمر كذلك. ليس في الأمر مزاح. لقد وضعتِ القضية في يدي، فيجب ألاّ تضعي العقبات

أمامي الآن.

سكتت فلورا قليلاً قبل أن تجيب، ثم قالت أخيراً: لست مرتاحة لذلك، ولكني سأفعل ما تقوله.

قال بوارو بسرعة: والآن سادتي وسيداتي، سأواصل ما كنت أريد قوله. فلتفهموا ما يلي: إنني عازم على الوصول إلى الحقيقة. ومع أن الحقيقة مُرّة بذاتها، إلاّ إنها مثيرة وجميلة لمن يبحث عنها. لقد كبرت في السن كثيراً، وربما لم تعد ملكاتي كما كانت عليه من قبل...

كان واضحاً أنه توقع هنا معارضة من أحد، ولكنه سرعان ما أكمل يقول: إن هذه -غالباً- آخر قضية أحقق فيها، لكن هيركيول بوارو لا ينهي حياته بفشل. سيداتي وسادتي، أقول لكم إنني عازم على المعرفة، وسوف أعرف الحقيقة... رغماً عنكم جميعاً.

نطق الكلمات الأخيرة بطريقة استفزازية وألقاها في وجوهنا. أظن أننا جميعاً جفلنا قليلاً ما عدا جيوفري ريموند الذي بقي مرحاً رابط الجأش كعادته، ثم سأله وقد رفع حاجبيه مدهوشاً: ماذا تعني بقولك رغماً عنا جميعاً؟

قال بوارو: أعني ما قلتُه تماماً. كل واحد منكم في هذه الغرفة يخفي عني شيئاً...

وعندما ارتفعت همهمات احتجاج خفيفة رفع يده وقال: نعم، نعم، إنني أدرك ما أقوله. قد يكون ما تخفونه شيئاً غير مهم أو شيئاً تافهاً ويُفترَض ألاّ يكون له صلة بالقضية، ولكن هذه هي الحقيقة. كل

واحدٍ منكم لديه شيء يخفيه. هيا تكلموا، ألست على حق؟

كانت نظراته المتحدية المتهمة تدور حول الجالسين على الطاولة، وقد تنكست -أمام عينيه- كل عينين نظر إليهما. نعم، بما في ذلك عيناي.

قال بوارو بضحكة غريبة: "لقد أجبتموني عن سؤالي". ثم نهض عن كرسيه وقال: أرجوكم جميعاً، قولوا لي الحقيقة، الحقيقة كلها.

سكت الجميع، فقال بوارو: ألا يريد أحد أن يتكلم؟

ضحك ضحكته الغريبة القصيرة مرة أخرى وقال: أمر مؤسف.

ثم خرج.

* * *

الفصل الثالث عشر

ريشة الوزة

ذهبت في ذلك المساء إلى منزل بوارو بعد العشاء بناء على طلبه. راقبتني كارولين بتردد ملحوظ، وأظنها كانت تود لو أتيحت لها مرافقتي.

رحّب بوارو بي ترحيباً حاراً. كان قد أعد لي شراب الليمون، أماً هو فقد شغل نفسه في إعداد كوب من الشكلاتة الساخنة، وقد اكتشفت فيما بعد أنه شرابه المفضل.

سأل عن أختي بأدب حيث قال إنها امرأة تثير الاهتمام تماماً، فقلت بجفاء: أخشى أن تكون قد أوجدت في نفسها الغرور. ماذا عن زيارتك بعد ظهر الأحد؟

ضحك وطرفت عيناه، ثم قال بأسلوب مبهم: "أحب دائماً توظيف الخبير". ولكنه رفض تفسير عبارته هذه.

قلت: لقد حصلتَ -على كل حال- على كل الأقاويل التي تدور في القرية... الصحيح منها وغير الصحيح.

قال بهدوء: وكذلك معلومات كثيرة قيمة.

- مثل...؟

هز رأسه وأجابني بسؤال معاكس: لماذا لم تخبرني بالحقيقة؟ في مكان كهذا لا بد أن تكون جميع أفعال رالف باتون معروفة. لو أن أختك لم تكن هي التي مرت من الغابة ذلك اليوم لكان شخص سواها قد فعل ذلك.

قلت متذمراً: أظن ذلك. وماذا عن اهتمامك هذا بمرضاي؟

طرفت عيناه مرة أخرى وقال: مريض واحد منهم فقط يا دكتور... مريض واحد فقط.

جازفت بالقول: المريض الأخير؟

أجابني بمكر: إنني أجد الآنسة راسل موضوع دراسة مثيراً جداً.

- هل تتفق مع أختي ومع السيدة أكرويد على أنها امرأة تثير الريبة؟

- إيه! ماذا تقول؟ تثير الريبة؟

شرحت له بأفضل ما عندي، فسألني: وهل قالتا ذلك عنها؟

- ألم تخبرك أختي ذلك بعد ظهر الأمس؟

- محتمل.

- ليس عندها أدنى سبب لمثل هذا الاتهام.

- إنهن النساء. رائعات! يخترعن أشياء كيفما اتفق... فيكون ذلك صحيحاً بقدرة قادر. ولكن ليس هذا ما يحدث، فهن يلحظن أموراً صغيرة كثيرة بعقلهن الباطن دون أن يدركن ملاحظتهن لذلك. إن عقلهن الباطن يجمع هذه الأمور الصغيرة إلى بعضها فيسمّين النتيجة حدساً. إنني ماهر جداً في علم النفس وأعرف هذه الأشياء.

نفخ صدره غروراً وبدا -بذلك المنظر- سخيفاً إلى حدٍ لم أتمالك معه نفسي من الضحك. ثم رشف رشفة صغيرة من فنجان الشكلاتة ومسح شاربه بحرص.

قلت له: أتمنى لو تخبرني عن رأيك في هذا كله؟

وضع فنجانه وقال: أتمنى ذلك؟

- نعم.

- لقد رأيتَ ما رأيته أنا. ألا يجب أن تكون أفكارنا متطابقة؟

قلت بقسوة: لا أراك إلاّ تهزأ بي. ليست عندي خبرة في هذه الأمور بالطبع.

ابتسم بوارو في وجهي ابتسامة متسامح وقال: أنت كالطفل الصغير الذي يريد معرفة الطريقة التي يعمل بها المحرك. إنك تريد رؤية المسألة، ولكن ليس بعين الطبيب، بل بعين رجل تحرٍّ يعرف الأمور ولا يعبأ بأحد، رجل تحرٍ يرى الجميع غرباء ويعتبرهم موضع شبهة بالتساوي.

قلت له: لقد عبّرتَ عما أريد جيداً.

- إذن سأعطيك محاضرة صغيرة. الأمر الأول هو الحصول على تسلسل زمني واضح لما حدث في تلك الليلة... مع الحرص على اعتبار أن الشخص الذي يتكلم قابل لأن يكون كاذباً.

رفعت حاجبي دهشة وقلت: ذلك موقف متشكك.

- لكنه ضروري، أؤكد لك أنه كذلك. والآن الدكتور شبارد، أولاً، يغادر البيت الساعة التاسعة إلاّ عشر دقائق. كيف أعرف هذا؟

- لأنني أخبرتك بذلك.

- لكن ربما لم تكن تذكر الحقيقة، أو أن الساعة التي كانت بيدك قد لا تكون صحيحة... ولكن باركر يقول أيضاً إنك غادرت البيت في الساعة التاسعة إلاّ عشر دقائق، لذلك نقبل بهذه المعلومة ونمضي لغيرها. الساعة التاسعة اصطدمتَ برجل... وهنا نأتي إلى ما نسميه «حكاية الغريب الغامض»، وخارج بوابة المنزل تماماً. كيف أعرف أن ذلك صحيح؟

قلت ثانية: أخبرتك بذلك.

لكن بوارو قاطعني بإشارة تدل على نفاد الصبر: آه! أنت غبي بعض الشيء هذه الليلة يا صديقي! أنت تعرف أن هذا ما حدث، لكن كيف لي أن أعرف أنا؟ حسناً، أستطيع أن أقول لك إن الغريب الغامض لم يكن هلوسة من جانبك لأن خادمة المنزل الآنسة جانيت التقت به قبل أن تراه أنت ببضع دقائق، وقد سألها عن الطريق إلى فيرنلي بارك أيضاً. لذلك نقبل بصحة وجوده ويمكننا أن نتأكد تماماً من شيئين بخصوصه؛ أنه غريب عن المنطقة، وأن هدفه من الذهاب

إلى فيرنلي لم يكن سرّياً لأنه سأل عن الطريق إليه مرتين.

قلت: نعم؛ أفهم هذا.

– لقد جعلتُ من مهمتي الكشف عن شخصية هذا الرجل، وقد علمت أنه تناول شراباً في فندق ثري بورز وقالت النادلة إنه كان يتكلم بلكنة أميركية وإنه ذكر أنه قد جاء لتوه من الولايات المتحدة. هل لاحظتَ أنت أنه كان يتكلم بلكنة أميركية؟

قلت بعد أن جهدت في تذكر الحادثة: نعم، أظن ذلك. لكنة خفيفة جداً.

– بالضبط، ولديّ أيضاً هذه. ربما كنت تذكر أنني التقطتها من البيت الصيفي.

مدّ أمامي الريشة الصغيرة. نظرت إليها بفضول، ثم تذكرت شيئاً كنت قد قرأته. وأومأ بوارو الذي كان يراقب قسمات وجهي: نعم، الهيروين والكوكائين الأبيض، يضعها متعاطو المخدرات هكذا في أنوفهم ويستنشقون بها تلك السموم.

همست تلقائياً: هيدروكلوريد الدايامورفين.

– هذه الطريقة في تعاطي المخدرات شائعة جداً في الجانب الآخر من الأطلسي، وهو دليل آخر على أن الرجل قد جاء إما من كندا أو من الولايات المتحدة. هذا إن كنا بحاجة إلى دليل آخر.

سألته بفضول: ما الذي لفت انتباهك أولاً إلى ذلك البيت الصيفي؟

– لقد سلّم صديقنا المفتش جدلاً بأن أي شخص يستخدم ذلك الطريق إنما يفعل ذلك حتى يختصر الطريق إلى البيت، ولكنني حين رأيت البيت الصيفي أدركت أنه طريق يسلكه أيضاً أي شخص يستخدم البيت الصيفي للقاء غرامي. وفوق ذلك يبدو شبه مؤكد أن الغريب لم يأت لا إلى الباب الأمامي للبيت ولا إلى الباب الخلفي، إذن هل خرج أحد من البيت والتقى به؟ إن كان ذلك، فهل يوجد مكان أكثر ملاءمة من البيت الصيفي؟ ولذلك فتّشته على أمل العثور على دليل بداخله، فوجدت دليلين؛ قطعة القماش والريشة.

سألته بفضول: وقطعة القماش هذه؟ ماذا عنها؟

رفع بوارو حاجبيه دهشة وقال بجفاء: إنك لا تستخدم خلايا دماغك الرمادية الصغيرة. ينبغي لقطعة القماش المنشّاة هذه أن تكون واضحة.

غيرّت مجرى الحديث قائلاً: ليست واضحة تماماً لي. على أية حال ذهب هذا الرجل إلى البيت الصيفي لمقابلة واحدة، فمن تكون هذه؟

– هذا هو السؤال بالضبط. إنك تذكر أن السيدة أكرويد وابنتها جاءتا من كندا للعيش هنا، أليس كذلك؟

– هل هذا ما قصدته اليوم عندما اتهمتهم بإخفاء الحقيقة؟

– ربما. ونقطة أخرى: ما رأيك في رواية خادمة الاستقبال؟

– أية رواية؟

– قصة صرفها من الخدمة. هل يحتاج الأمر نصف ساعة حتى تصرف خادماً؟ أيمكن أن تكون قصة هذه الأوراق المهمة صحيحة؟ ثم تذكَّرْ أنها قالت إنها كانت في غرفة نومها من الساعة التاسعة والنصف إلى العاشرة، ولكن لا يوجد من يؤكد روايتها هذه.

قلت: إنك تحيرني.

– الأمر بالنسبة لي يزداد وضوحاً، ولكن أخبرني –الآن– عن أفكارك ونظرياتك.

أخرجت قطعة من الورق من جيبي وقلت بشيء من الاعتذار: لقد سجلت هنا بعض الملاحظات.

– ممتاز، لديك منهجية. دعنا نسمعها.

قرأت بصوت مرتبك قليلاً: أولاً، يجب أن ننظر إلى هذا الأمر بصورة منطقية...

قاطعني بوارو: هذا ما اعتاد صديقي المسكين هيستنغز على قوله دائماً. ولكن للأسف؛ لم يكن يفعل أبداً ذلك!

قلت: النقطة رقم ١: سُمِعَ السيد أكرويد يتحدث مع شخص في التاسعة والنصف. النقطة رقم ٢: لا بد أن رالف باتون قد جاء في وقت ما من تلك الليلة ودخل من النافذة كما تدل آثار حذائه. النقطة رقم ٣: كان السيد أكرويد عصبياً حذراً في تلك الليلة، وما كان لِيُدخِل أحداً إلاّ شخصاً يعرفه. النقطة رقم ٤: الشخص الذي كان عند السيد أكرويد الساعة التاسعة والنصف كان يطلب نقوداً، ونحن نعرف أن

رالف باتون كان في ضائقة مالية. هذه النقاط الأربع تُظهر أن الشخص الذي كان مع السيد أكرويد الساعة التاسعة والنصف هو رالف باتون، لكننا نعلم أن السيد أكرويد كان على قيد الحياة في العاشرة إلاّ ربعاً؛ لذلك لم يكن رالف هو الذي قتله. لعل رالف ترك النافذة مفتوحة، وبعد ذلك جاء القاتل ودخل من النافذة.

سأل بوارو: ومن يكون القاتل؟

– الأميركي الغريب. ربما كان متفقاً مع باركر، وربما كان باركر هو الرجل الذي كان يبتز السيدة فيرارز. إذا كان هذا صحيحاً فربما سمع باركر ما يدل على انتهاء اللعبة وأخبر شريكه بذلك فقام الأخير بجريمته باستخدام الخنجر الذي أعطاه باركر له.

اعترف بوارو قائلاً: تلك نظرية معقولة. لديك خلايا معينة بالتأكيد، لكن أموراً كثيرة فيها تبقى دون تفسير.

– مثل ماذا؟

– المكالمة الهاتفية، والكرسي المدفوع إلى الوراء...

– هل تعتقد –حقاً– أن موضوع الكرسي هذا مهم؟

اعترفَ صديقي قائلاً: ربما لا. ربما دُفع إلى الوراء بالصدفة وجاء ريموند أو بلانت فأعاده دون وعي بسبب الانفعال. ثم هناك الأربعون جنيهاً المفقودة.

قلت: أعطاها أكرويد لرالف. ربما أعاد النظر في رفضه أول مرة.

- وهذا أيضاً يبقي مسألة واحدة دون تفسير.

- وما هي؟

- لماذا كان بلانت متأكداً في عقله بأن ريموند هو الذي كان مع السيد أكرويد في التاسعة والنصف؟

- لقد شرح ذلك.

- أتراه شرح ذلك حقاً؟ لن أركّز على هذه النقطة، ولكن أخبرني: ما هي أسباب رالف باتون للاختفاء؟

- هذه مسألة أصعب قليلاً. سأتحدث من وجهة نظر طبية. لا بد أن رالف قد فقد أعصابه؛ فلو أنه اكتشف -فجأة- أن عمه قد قُتل بعد دقائق معدودة من مغادرته لغرفته، وربما بعد مقابلة عاصفة له مع عمه، فإنه ربما يخاف ويهرب. عرفنا رجالاً يفعلون ذلك... يتصرفون كأنهم مذنبون وهم أبرياء تماماً.

قال بوارو: نعم، هذا صحيح. ولكن يجب ألاّ يفوتنا شيء.

- أعرف ما ستقوله. الدافع... فرالف باتون يرث ثروة عظيمة بعد وفاة عمه.

وافقني بوارو: هذا واحد من الدوافع.

- واحد؟

- نعم. هل تدرك وجود ثلاثة دوافع منفصلة تكاد تفقأ العين. شخص سرق -بالتأكيد- المغلف الأزرق والرسالة التي فيه... هذا

أحد الدوافع. والابتزاز! ربما كان رالف باتون هو الذي ابتز السيدة فيرارز. تذكّر أن رالف باتون -حسب معلومات هاموند- لم يطلب مساعدة من عمه في الفترة الأخيرة، وهذا يعني أنه كان يحصل على المال من مصدر آخر. ثم حقيقة أنه كان في ضائقة مالية، ضائقة كان يخشى أن يعلم عمه بها. وأخيراً يوجد الدافع الذي ذكرته أنت قبل قليل.

قلت ذاهلاً: يا إلهي! إن القضية تبدو ضده تماماً.

قال بوارو: أحقاً؟ هنا نختلف أنا وأنت. ثلاثة دوافع... إنها تكاد تكون أكثر مما ينبغي. إنني أميل إلى الاعتقاد بأن رالف باتون بريء في نهاية الأمر.

* * *

الفصل الرابع عشر

السيدة أكرويد

بعد حديث الليل (الذي سردته قبل قليل) بدت المسألة لي وقد دخلت مرحلة مختلفة. يمكن تقسيم الأمر كله إلى جزئين كل واحد منهما واضح ومميز عن الآخر؛ الجزء الأول يمتد من وفاة أكرويد مساء الخميس إلى مساء الإثنين الذي أعقبه، ويشمل الأحداث الصريحة التي وقعت كما عرضتُها لهيركيول بوارو. لم أفارق بوارو طوال الوقت، وقد رأيت ما رأى، وحاولت -جاهداً- معرفة ما يجول في نفسه، وكما عرفت الآن، فقد فشلت في هذه المهمة الأخيرة. ورغم أن بوارو أراني كل اكتشافاته (كخاتم الزفاف الذهبي على سبيل المثال) إلا أنه احتفظ بانطباعاته المهمة والمنطقية التي شكّلها. وكما عرفت فيما بعد، كانت هذه السرية إحدى صفاته. كان يلقي بالتلميحات والإشارات، ولكنه لم يكن ليذهب أبعد من ذلك.

كما قلت، فإن روايتي للأحداث حتى ليل الإثنين ربما كانت هي رواية بوارو نفسه؛ فقد قمت بدور واطسون مع شيرلوك هولمز. ولكن بعد الإثنين افترقت بنا السبل، كان بوارو مشغولاً في حساباته

الخاصة، وكان يفترض أن أسمع بما يفعله لأن كل شيء يفترض أن ينتشر في قريتنا، ولكنه لم يضعني في موضع ثقته، كما كان لي أنا الآخر مشاغلي الخاصة.

أما أكثر ما استرعى انتباهي (وأنا أنظر إلى الوراء) فهو ما ميز هذه الفترة من تفتّت؛ فكل واحد كانت له يد في شرح جانب من اللغز. كان مثل لغز الصورة المقطعة حيث يشارك كل واحد بتقديم جزء من الصورة أو المعلومة، ولكن مهمتهم تنتهي عند هذا الحد. بوارو -وحده- هو صاحب الشهرة في تركيب هذه القطع الصغيرة ووضعها في المكان الصحيح.

بعض الأحداث بدت -في ذلك الوقت- غيرَ ذات صلة ولا معنى لها. مسألة الحزمة السوداء على سبيل المثال... ولكن تلك أتت لاحقاً. وحتى تذكر الأحداث حسب تسلسلها الزمني لا بد أن أبدأ بمسألة استدعاء السيدة أكرويد لي. فقد أرسلت في طلبي في وقت مبكر من صباح الثلاثاء، وبما أن الاستدعاء بدا مستعجَلاً فقد أسرعت إلى هناك متوقعاً أن أجدها في حالة خطرة.

كانت السيدة على سريرها، وقد أبدت حرصاً مبالغاً به على آداب السلوك والاستقبال ومدت لي يدها النحيلة مصافحة، ثم أشارت إليّ بالجلوس على كرسي بجانبها.

قلت: حسناً يا سيدة أكرويد، ماذا بك؟

تحدثت معها بكل اللطف الذي يبدو أنه أصبح متوقعاً من الطبيب العام. وقالت السيدة أكرويد بصوت خافت: إنني منهكة القوى، منهكة

تماماً. إنها الصدمة بسبب وفاة المسكين روجر! يقولون إن الإنسان لا يشعر بهذه الأشياء في حينها في الغالب، إنما يكون رد الفعل بعد ذلك.

من المؤسف أن مهنة الطبيب تمنعه من قول ما يعتقده حقاً أحياناً. كنت أتمنى لو أنني أستطيع الإجابة بكلمة: "هراء"... لكني اقترحت عليها دواء مقوياً، وقبلت السيدة أكرويد الدواء. وبدا أن الحركة الأولى في اللعبة قد انتهت، إذ لم أتصور -لحظة واحدة- أنها استدعتني بسبب صدمة أحدثتها لها وفاة أكرويد، لكن السيدة عاجزة تماماً عن اتباع طريق مباشر إلى أي موضوع. إنها تتقدم إلى هدفها دائماً بأساليب ملتوية! وتساءلت عن سبب استدعائها لي.

أكملتْ مريضتي تقول: ثم ذلك المشهد... بالأمس.

سكتت وكأنها تتوقع مني أن أكمل عنها الحديث، فقلت: أي مشهد؟

- دكتور! كيف ذلك؟ هل نسيت؟ ذلك الفرنسي الضئيل الفظيع... أو البلجيكي! أن يتهجّم علينا بهذا الشكل! لقد ضايقني هذا كثيراً، وهو يأتي ليتوج معاناتنا بوفاة روجر.

- أنا شديد الأسف يا سيدة أكرويد.

- لا أعرف ماذا كان يقصد... وهو يشير إلينا جميعاً ويصرخ. أظن أنني أعرف واجبي تماماً بحيث لا يمكن أن أحلم بإخفاء شيء، ولقد ساعدتُ الشرطة بكل ما أوتيت من قوة.

سكتت السيدة أكرويد، فقلت لها: صحيح.

بدأت أفهم سبب هذه المشكلة كلها. ومضت السيدة أكرويد تقول: لا أحد يستطيع القول إنني لم أقم بواجبي، أنا واثقة من أن المفتش راغلان راضٍ تماماً. لماذا يثير هذا الأجنبي المغرور ضجة؟ إنه مخلوق سخيف ومضحك أيضاً... كمهرج فرنسي في مسرحية هزلية! لا أفهم لماذا أصرت فلورا على إدخاله في هذه القضية. لم تستشرني في هذا الأمر على الإطلاق، بل ذهبت بنفسها وتولت الأمر على عاتقها. إن فلورا فتاة شديدة الاستقلالية، وأنا امرأة خضت تجارب الحياة، كما أنني أمها، وكان الأولى أن تأتي من البداية لأخذ نصيحتي.

استمعت لكل هذا الحديث صامتاً.

- ماذا يعتقد؟ هذا ما أريد معرفته، أتراه يتصور -فعلاً- أنني أخفي شيئاً؟ لقد... لقد اتهمني بالأمس صراحة.

رفعت كتفيّ حيرة وقلت: لم تترتب على ذلك أية نتائج بالتأكيد، وبما أنك لا تخفين شيئاً فإن أية ملاحظة يلقيها لا تنطبق عليك.

غيرت السيدة أكرويد مجرى الحديث فجأة وقالت: الخدم متعبون جداً؛ يثرثرون ويتحدثون بينهم، ثم ينتقل الحديث ويدور، وفي جميع الحالات لا يوجد في كلامهم هذا ما يفيد.

سألتها: هل كان الخدم يتحدثون؟ عن ماذا؟

نظرت السيدة أكرويد إليّ نظرة ماكرة أفقدتني توازني وقالت: كنت واثقة أنك ستعرف -أيها الدكتور- إن كان لأحدٍ أن يعرف، فقد كنتَ مع السيد بوارو طوال الوقت، أليس كذلك؟

- نعم.

- إذن فأنت تعرف طبعاً. كانت تلك الفتاة أورسولا بورن، أليس كذلك؟ أمر طبيعي؛ فهي راحلة وتريد أن تعمل ما بوسعها فعله من المشكلات. إنهم يحبون الكيد والإزعاج، هكذا هم... كلهم سواء! وبما أنك كنت هناك -يا دكتور- فلا بد أن تعرف تماماً ما قالته. إنني مهتمة بألاّ ينتشر أي انطباع خاطئ في الجو؛ فالمرء -في النهاية- لا يستطيع تكرار كل التفاصيل الصغيرة للشرطة، أليس كذلك؟ توجد أمور عائلية أحياناً لا علاقة لها بجريمة القتل. ولكن إذا كانت الفتاة صاحبة كيد فإنها قد تقول أي شيء.

أدركت أن وراء هذا السيل من الكلمات قلقاً حقيقياً. لقد كان بوارو محقاً في فرضيته تلك؛ فمن بين الأشخاص الستة الجالسين حول الطاولة بالأمس كان يبدو أن السيدة أكرويد على الأقل لديها ما تخفيه، وكان عليّ أنا اكتشاف ماهية هذا الشيء. قلت بسرعة: لو كنت مكانك لقلت كل ما عندي يا سيدة أكرويد.

صرخت صرخة صغيرة: آه! دكتور، كيف تكون فظاً هكذا؟ يبدو وكأن... وكأن... يمكنني شرح كل شيء ببساطة.

- إذن لماذا لا تفعلين؟

أخرجت السيدة أكرويد منديلاً مزخرفاً وهيأت دموعها: كنت أظن -يا دكتور- أن باستطاعتك إبلاغ السيد بوارو... أن تشرح له الأمر؛ لأنه يصعب على أجنبي مثله فهم وجهة نظرنا. وأنت لا تعرف (بل لا أحد يمكنه أن يعرف) ما اضطررت للاكتفاء به. كنت أعيش في عذاب... عذاب طويل، هكذا كانت حياتي. لا أحب أن أغتاب

ميتاً، ولكن هكذا كان الأمر. كان روجر يفحص كل الفواتير الصغيرة والكبيرة... وكأنه رجل فقير، رغم أنه -كما أخبرني السيد هاموند بالأمس- واحد من أكبر الأثرياء في المنطقة.

سكتت السيدة أكرويد لتجفف دموعها بالمنديل المزخرف، فقلت مشجعاً: نعم، كنت تتحدثين عن الفواتير؟

- تلك الفواتير اللعينة! بعضها لم أحب أن يراه روجر على الإطلاق. كانت أشياء لا يفهمها الرجل، وكان من شأنه القول إن هذه الأشياء غير ضرورية، وقد تراكمت بالطبع واستمر ورودها...

نظرتْ إليّ نظرات استجداء وكأنها تطلب مني مواساتها على هذا الموقف الغريب، فوافقتها قائلاً: نعم؛ عادة ما تتراكم الفواتير.

وتغيرت النبرة. أصبحت هجومية تماماً وقالت: أؤكد لك -يا دكتور- بأنني كنت على وشك الانهيار العصبي. لم أستطع النوم في الليل، وبدأت أشعر بخفقان في القلب، ثم وصلتني رسالة... بل رسالتان من الدائنين؛ واحدة من السيد بروس ماكفيرسون والثانية من كولن ماكدونالد.

تمتمت السيدة أكرويد وكأنها تتذكر: كانت مطالبات بمبالغ مختلفة. وكتبت لواحد منهما، ولكن كان الأمر صعباً.

سكتت، وفهمت أننا نقترب الآن من النقطة الحساسة. لم أعرف في حياتي واحدة أكثر منها مراوغة والتفافاً في الدخول إلى الموضوع.

تمتمت السيدة أكرويد: كما ترى؛ فالأمر كله مسألة آمال،

أليس كذلك؟ الآمال التي ينتظرها المرء من الوصية. ورغم أنني توقعت -طبعاً- ان يخصص لي روجر شيئاً إلاّ أنني لم أكن متأكدة. فكرت لو انه أتيح لي فقط أن أرى نسخة من وصيته. ليس من باب التطفل الفج الوقح، ولكن حتى أستطيع القيام بترتيباتي الخاصة فقط.

نظرتْ إلي من طرف عينها. أصبح الوضع الآن حساساً جداً؛ فبشيء من الحظ يمكن للكلمات -إذا ما استخدمت بذكاء- تغطية بشاعة الحقائق المجردة.

قالت السيدة أكرويد بسرعة: أنا أقول هذا الكلام فقط لأنك عزيز عليّ يا دكتور شبارد. إنني أثق في أنك لن تسيء الحكم عليّ، وفي قدرتك على شرح موقفي للسيد بوارو بطريقة صحيحة، كان ذلك بعد ظهر الجمعة...

سكتت وبلعت ريقها بتردد، فقلت مشجعاً: نعم، بعد ظهر الجمعة، ماذا حدث؟

- الكل كان خارج البيت، أو هكذا ظننت. وذهبت إلى مكتب روجر. كان عندي سبب حقيقي للذهاب إلى هناك... أقصد لم يكن الأمر سراً، وعندما رأيت كل الأوراق مكومة على المكتب خطر لي بسرعة: "ماذا لو كان روجر يحتفظ بوصيته في أحد أدراج المكتب؟". إنني امرأة فورية التصرفات، هكذا كنت دائماً منذ أن كنت طفلة؛ أقوم بتصرفاتي من وحي اللحظة الحاضرة. كان قد ترك مفاتيحه في قفل الدرج العلوي، وهو إهمال بالغ من طرفه...

قلت لأساعدها على الحديث: فهمت. وهكذا فتشت الدرج. هل وجدت الوصية؟

صرخت السيدة أكرويد صرخة بسيطة فأدركت أنني لم أكن دبلوماسياً بما فيه الكفاية.

- لكَم يبدو ذلك فظيعاً! الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق.

أسرعت قائلاً: بالطبع لم يكن كذلك. أرجو أن تسامحيني على طريقتي البائسة في التعبير عن نفسي.

- الرجال غريبو الأطوار بالطبع. لو كنت مكان روجر لما مانعت في كشف ما في وصيتي، ولكن الرجال شديدو الكتمان. يضطر المرء للقيام بقليل من المراوغة معهم دفاعاً عن النفس.

سألتها: وماذا كانت نتيجة القليل من المراوغة؟

- هذا ما أنا بصدد قوله لك. عندما وصلت إلى الدرج السفلي دخلت أورسولا بورن. كان موقفاً فظيعاً، وأغلقت الدرج -بالطبع- ووقفت ولفتُّ انتباهها إلى بعض الغبار على المكتب، لكن نظراتها لم تعجبني. كان سلوكها يدل على الاحترام ولكن بريقاً خبيثاً شعّ في عينيها؛ بريقاً يكاد يشي بالاحتقار... إن كنت تفهم ما أعنيه. لم أحب تلك الفتاة أبداً. إنها خادمة جيدة وتناديني بلقب «مدام»، وهي لا تمانع في لبس غطاء الرأس والمريلة شأن الكثير من الخادمات اليوم، ويمكنها أن تقول: "ليست في البيت" دون تردد إذا ما فتحت الباب بدلاً من باركر... أين وصلت في كلامي؟

- كنت تقولين إنك لم تحبيها رغم حسناتها الكثيرة.

- لم أحبّها أبداً! إنها غريبة، وفيها شيء يختلف عن الآخرين؛

فهي مثقفة جداً حسب ظني. لا يمكن للمرء أن يحرز في هذه الأيام من هي السيدة الحقيقية ومن هي المرأة العامية أو العادية.

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– لا شيء مهم. دخل روجر (وأظنه كان يتمشى في الخارج) وقال: "ما كل هذا؟"، فقلت: "لا شيء؛ جئت إلى هنا لأخذ محلة". وأخذت المحلة وخرجت، وبقيت بورن في المكتب، ثم سمعتها وهي تطلب من روجر أن تتحدث معه قليلاً. وقد صعدت إلى غرفتي لأستلقي؛ إذ كنت متضايقة كثيراً.

سكتت قليلاً ثم قالت: هل ستشرح للسيد بوارو؟ يمكنك أن ترى بنفسك كيف كانت تلك مسألة تافهة، ولكنه –حين شدد على مسألة إخفاء أشياء عنه– فكرت في هذا على الفور. ربما عملت الخادمة منها قصة غريبة وخيالية، ولكنك تستطيع شرح الأمر، أليس كذلك؟

– هل هذا كل شيء؟ هل قلت لي كل شيء؟

– نـ... نعم. آه! نعم.

لكني لاحظت ذلك التردد المؤقت؛ فعرفت أنه ما زال لديها شيء تخفيه، وفي ومضة من الذكاء خطر لي أن أسألها قائلاً: سيدة أكرويد، هل أنت التي تركت طاولة الفضيات مفتوحة؟

عرفتُ الإجابة من احمرار وجهها بالذنب، وهو ما لم تستطع الأصباغ إخفاءه. همست قائلة: وكيف عرفت؟

– إذن فهو أنت؟

– نعم؛ أنا. كانت هناك قطعة من الفضة القديمة، وكانت مثيرة. وكنت قد قرأت في إحدى المجلات خبراً عن قطعة صغيرة بيعت في المزاد بمبلغ خيالي، لقد بدت شبيهة تماماً بتلك القطعة في طاولة الفضيات، وفكرت في أخذها إلى لندن لتقويمها، فإذا ما كانت قطعة قيّمة حقاً فستكون مفاجأة عظيمة لروجر.

لجمتُ نفسي عن التعليق وقبلت رواية السيدة أكرويد على علاتها، حتى أنني امتنعت عن سؤالها لماذا تضطر لأخذ ما كانت تريده بهذه الطريقة المريبة. سألتها: لماذا تركت الغطاء مفتوحاً؟ هل نسيت؟

– لقد ذُعرت. سمعت أصوات أقدام تقترب على المصطبة الخارجية، فأسرعت في الخروج من الغرفة وصعدت الدرج تماماً قبل أن يفتح لك باركر باب البيت.

فكرت في نفسي: لا بد أنها كانت الآنسة راسل.

كانت السيدة أكرويد قد كشفت لي حقيقة مثيرة إلى أبعد حد. لم أعرف، بل لم أعبأ بحقيقة نواياها بخصوص التحفة الفضية، لكن ما أثار اهتمامي هو حقيقة أن الآنسة راسل قد دخلت إلى غرفة الاستقبال –دون شك– من الباب الزجاجي، وأنني لم أخطئ عندما حكمت عليها بأنها كانت لاهثة كما لو كانت تركض. أين كانت؟ فكرت في البيت الصيفي وقطعة القماش.

صحت فوراً بشكل عفوي: ترى هل كانت الآنسة راسل تضع

النشا على مناديلها؟

جفلت السيدة أكرويد فانتبهت لنفسي ونهضت. وما لبثتْ أن سألتني بقلق: هل تعتقد أن بإمكانك شرح الموقف للسيد بوارو؟

قلت: "آه، بالتأكيد، دون شك". وأخيراً فررت منها بعد أن أجبرتني على الإصغاء لمزيد من التبريرات لسلوكها.

كانت خادمة الاستقبال في الصالة، وهي التي ساعدتني على ارتداء معطفي. راقبتها عن قرب أكثر مما راقبتها من قبل، وبدا لي واضحاً أنها كانت تبكي. سألتها: كيف قلتِ لنا إن السيد أكرويد أرسل في طلبك إلى مكتبه يوم الجمعة؟ سمعت الآن أنك أنت التي طلبت الحديث معه.

نظرت الفتاة إلى الأرض خجلاً ثم تكلمت مترددة: كنت أنوي الرحيل في كل الأحوال.

لم أضف على ذلك شيئاً. فتحت لي الباب، وعندما كنت أهم بالخروج قالت فجأة وبصوت منخفض: أرجو المعذرة يا سيدي، هل توجد أية أخبار عن الكابتن باتون؟

هززت رأسي نافياً وأنا أنظر إليها متسائلاً.

قالت: يجب أن يعود. نعم، يجب أن يعود.

كانت تنظر إلي كالمستغيثة، وسألتني: ألا يعلم أحد مكانه؟

سألتها بحدة: هل تعرفين أنت؟

هزت رأسها نافية وقالت: لا؛ لا أعرف شيئاً. ولكن من شأن أي صديق له أن يخبره بما يلي: يجب أن يعود.

تريثت في الخروج ظاناً أن الفتاة ربما تريد قول المزيد، وقد فاجأني سؤالها التالي: متى يرون الجريمة قد وقعت؟ قبل العاشرة بقليل؟

قلت: نعم، بين العاشرة إلاّ ربعاً والعاشرة؟

– ليس قبل ذلك؟ ليس قبل العاشرة إلاّ ربعاً؟

نظرتُ إليها بتمعن. كان واضحاً أنها متلهفة تماماً لسماع ما يؤكد كلامها. قلت: "إنها مسألة مفروغ منها؛ فالآنسة أكرويد رأت عمها في الساعة العاشرة إلاّ ربعاً". ثم ابتعدت فرأيت كم كانت واهنة.

* * *

كانت كارولين في البيت، وقد زارها بوارو، وكانت مسرورة جداً ومزهوة من زيارته. أوضحتْ تقول: إنني أساعده في القضية.

شعرت بشيء من الضيق، إذ كانت كارولين سيئة بما فيه الكفاية بما هي عليه، فكيف ستكون إذا ما تحركت فيها غرائز الاستقصاء والتحري؟

سألتها: هل تدورين في المنطقة بحثاً عن فتاة رالف باتون الغامضة؟

– قد أقوم بذلك لحسابي الخاص، ولكني لا أقوم بذلك الآن.

إنه أمر خاص أرادني بوارو أن أكشفه له.

– وما هو؟

قالت كارولين بجدية مدهشة: يريد أن يعرف إن كانت حزمة رالف باتون سوداء أم بنية.

حدقت فيها ذاهلاً وقلت: كان حذاء بنياً؛ لقد رأيته.

(إنني أدرك الآن، وأنا أكتب هذه الكلمات، كم كنت غبياً إلى حد لا يصدق فيما يخص تلك الحزمة! لقد فشلت في إدراك المغزى من ذلك تماماً).

– ليس حذاء يا جيمس، وإنما حزمة. السيد بوارو يريد أن يعرف إن كانت الحزمة الموجودة مع رالف في الفندق سوداء أم بنية. أمور كثيرة معلقة على ذلك.

سمّني غبياً إن شئت؛ فأنا لم أفهم! سألتها: وكيف ستعرفين؟

قالت كارولين: لا توجد صعوبة في ذلك؛ فالصديقة الحميمة لخادمتنا آني هي خادمة الآنسة جانيت واسمها كلارا، وقد كانت كلارا تحب النظر إلى حزمات الرجال في فندق ثري بورز.

كان كل شيء بسيطاً للغاية، وبمساعدة من الآنسة جانيت (التي تعاونت بإخلاص وسمحت لكلارا بالخروج) جاء الجواب بسرعة القطار السريع.

قالت كارولين ونحن جالسين لتناول الغداء متظاهرة بعدم

الاهتمام: بخصوص حزمة رالف باتون تلك...

قلت: ماذا عنها؟

– اعتقد السيد بوارو أنها ربما كانت بنية اللون. كان مخطئاً؛ إنها سوداء.

أومأت كارولين برأسها عدة مرات. واضحٌ أنها شعرت بأنها سجلت نقطة على بوارو. ولم أجبها؛ فقد كنت أضرب أخماساً في أسداس لمعرفة العلاقة بين لون حزمة رالف باتون وبين القضية.

* * *

الفصل الخامس عشر

جيوفري ريموند

حصلت على دليل آخر ذلك اليوم يثبت نجاح أساليب بوارو. فذلك التحدي الذي ألقاه في الاجتماع العائلي كان لمسة بارعة نتجت عن معرفته بالطبيعة البشرية؛ فقد كان من شأن مزيج من الخوف والشعور بالذنب أن يخرج الحقيقة من صدر السيدة أكرويد. كانت أول من استجاب لذلك التحدي.

وفي ذلك المساء، عندما عدت من زيارتي للمرضى، أخبرتني كارولين أن جيوفري ريموند قد غادر المنزل لتوه. سألتها وأنا أعلق معطفي في الصالة: هل أراد رؤيتي؟

كانت كارولين تحوم قريباً مني. قالت: بل أراد رؤية السيد بوارو؛ فقد كان عائداً لتوه من منزل السيد بوارو الذي كان خارج المنزل، وظن السيد ريموند أنه ربما كان عندنا أو أنك تعرف مكانه.

- لا أعرف أي شيء عنه.

- حاولت حمله على الانتظار لكنه قال إنه سيعود إلى منزل

بوارو بعد نصف ساعة ثم ذهب إلى القرية. أمر مؤسف جداً لأن السيد بوارو جاء بعد دقيقة من مغادرة ريموند.

- جاء إلى هنا؟

- لا! بل إلى بيته.

- وكيف عرفت؟

قالت كارولين باختصار: النافذة الجانبية.

بدا لي أننا الآن قد انتهينا من الموضوع. لكن كارولين كانت ترى غير ذلك. قالت: ألا تريد الذهاب؟

- إلى أين؟

- إلى بيت السيد بوارو بالطبع.

- يا عزيزتي كارولين، ولماذا أذهب؟

- أراد السيد ريموند رؤيته لأمر مُلحّ، وربما عرفت أنت ما هو الموضوع.

رفعت حاجبي دهشة وقلت ببرود: الفضول ليس من صفاتي. يمكنني العيش بارتياح دون أن أعرف بالضبط ما يفعله جيراني أو ما يفكرون فيه.

- هذا هراء ياجيمس! إنك لا تَقِلُّ عني لهفة للمعرفة؛ ولكنك لست صادقاً، هذا كل ما في الأمر. إنك تضطر دوماً للتظاهر.

قلت: "أفٍ لك يا كارولين!"، ثم انسحبت إلى عيادتي.

بعد عشر دقائق ضربت كارولين الباب ودخلت. كانت تحمل في يدها ما يبدو أنه علبة مربى وقالت: هل بمكنك أخذ هذه العلبة من مربى الفاكهة إلى السيد بوارو؟ لقد وعدته بها، فهو لم يتذوق في حياته طعم المربى المصنوع في المنزل.

سألتها ببرود: ولماذا لا تأخذها أنتِ؟

– إنها مشغولة ببعض الأعمال ولا أستطيع الاستغناء عنها.

تبادلنا النظرات، ثم قلت وأنا أهم بالوقوف: حسناً، ولكن إن أخذت هذه العلبة فسوف أتركها له عند الباب. أفهمتِ ذلك؟

رفعت أختي حاجبيها وقالت: أمر طبيعي. مَن قال لك ان تفعل غير ذلك؟

كانت تلك نقطةً لصالح كارولين، ولكنها ما لبثت أن قالت وأنا أفتح الباب: إن صدف ورأيت السيد بوارو فيمكنك أن تخبره عن موضوع الحزمة.

كانت ضربة وداعية بارعة منها؛ إذ كنت متلهفاً جداً لفهم لغز الحزمة. وعندما فتحت لي السيدة العجوز الباب وجدت نفسي أسألها تلقائياً إن كان السيد بوارو موجوداً في الداخل.

قفز السيد بوارو لاستقبالي وعلامات السرور بادية عليه. قال: اجلس ياصديقي الطيب. أتريد الكرسي الكبير؟ أم هذا الصغير؟ هل الغرفة حارة جداً؟

كانت الغرفة خانقة من شدة الحر لكني امتنعت عن قول ذلك. كانت النوافذ مغلقة والنار مستعرة في المدفأة. وقال بوارو: الإنكليز لديهم هوس بالهواء النقي. الهواء النقي جميل في الخارج، حيث مكانه الطبيعي، فلماذا ندخله إلى بيوتنا؟ ولكن دعنا من هذه الأمور التافهة. لديك أمر تريد قوله لي، أليس كذلك؟

قلت: بل أمران. الأول؛ هذا... من أختي.

أعطيته علبة المربى فقال: يا للطف الآنسة كارولين! لقد تذكرت وعدها. وما هو الشيء الآخر؟

– معلومة... من نوع معين.

أخبرته عن مقابلتي مع السيدة أكرويد، فأصغى باهتمام ولكن دون كبير انفعال، ثم قال متأملاً: هذا يوضح الأمور. كما أن له قيمة معينة لأنه يؤكد شهادة مديرة المنزل. تذكَّرْ أنها قالت إنها وجدت طاولة الفضيات مفتوحة فأغلقتها عندما مرت من جانبها.

– وماذا عن قولها إنها ذهبت إلى غرفة الاستقبال لترى حال الورود؟

– آه! لم تأخذ ذلك على محمل الجد أبداً، أليس كذلك يا صديقي؟ كان واضحاً أنه مجرد عذر اختلقته -على عجل- امرأةٌ احست أنها يجب أن تبرر وجودها، ذلك الوجود الذي قد لا تكون انت فكرت في دوافعه. لقد حسبتَ أن انفعالها ربما كان ناتجاً عن حقيقة أنها كانت تعبث بطاولة الفضيات، ولكنني أرى الآن ان علينا ان نبحث عن سبب آخر.

قلت: نعم. من الذي خرجتْ لمقابلته؟ ولماذا؟

– هل تظن أنها خرجت لملاقاة أحد؟

– نعم.

أومأ بوارو وقال متأملاً: وكذلك أنا.

سكتنا قليلاً ثم قلت: على فكرة، لدي رسالة لك من أختي. كانت حزمة رالف باتون سوداء وليست بنية.

كنت أراقبه عن كثب وأنا أبلغه بالرسالة وتخيلت أنني رأيت لمحة اضطراب سريع ما لبث أن اختفى في الحال. قال: هل هي متأكدة تماماً أنها لم تكن بنية؟

– دون شك.

قال بوارو آسفاً: آه! هذا مؤسف.

بدا محبطاً تماماً، ولم يدخل في تفسيرات، لكنه بدأ موضوعاً جديداً على الفور: مديرة المنزل، الآنسة راسل، جاءتك تستشيرك صباح يوم الجمعة. هل يمكنني سؤالك عما دار في لقائكما (بعيداً عن التفاصيل الطبية)؟

– بالتأكيد. عندما انتهى الحديث عن مشكلتها الطبية تحدثنا بضع دقائق عن السموم وسهولة أو صعوبة كشفها، وعن تعاطي المخدرات ومدمني المخدرات.

سأل بوارو: هل تمت الإشارة إلى الكوكائين بشكل خاص؟

قلت وقد فوجئت: وكيف عرفت؟

وجواباً على ذلك نهض بوارو من مقعده وذهب إلى حيث توجد مجموعة من الصحف. أحضر لي نسخة من صحيفة الديلي بدجيت ليوم الجمعة السادس عشر من أيلول، ثم أراني مقالاً يتعلق بتهريب الكوكائين.

قال: هذا ما جعلها تفكر في الكوكائين يا صديقي.

كنت سأستجوبه أكثر لأني لم أفهم قصده، ولكن في تلك اللحظة فُتح الباب وأخبرتنا الخادمة عن وصول جيوفري ريموند.

دخل متحمساً ومرحاً كعادته وحيّانا نحن الاثنين قائلاً: كيف حالك يا دكتور؟ يا سيد بوارو، هذه ثاني مرة آتي فيها إلى هنا هذا الصباح. إنني متلهف على الإمساك بك.

قلت بارتباك: ربما كان عليّ أن أذهب.

قال ريموند: "إذا كان من أجلي فلا تفعل يا دكتور. كل ما في الأمر..."، ثم أكمل وهو يجلس حيث أشار إليه بوارو: كل ما في الأمر أن لديّ اعترافاً أبوح به.

قال بوارو بشيء من الاهتمام المؤدب: حقاً؟

– الحق أنه ليس أمراً مهماً. الواقع أن ضميري كان يؤنبني منذ عصر الأمس. لقد اتهمتنا كلنا بإخفاء شيء يا سيد بوارو. أنا أعترف

بذنبي؛ فلدي شيء كنت أتستر عليه.

- وما هو ياسيد ريموند؟

- كما قلت، ليس بالأمر المهم. كنت في ضائقة مالية بسبب الديون... ضائقة مالية كبيرة، وجاءت الوصية في الوقت الحرج. خمسمئة جنيه تنقذني من ورطتي إضافة إلى ادخار شيء منها أيضاً.

ابتسم لنا بتلك الصراحة التي تجعله شاباً محبوباً ومضى قائلاً: أنت تعرف كيف يرتاب الشرطة في الناس. لم أرغب بالاعتراف بأنني في ضائقة مالية... حسبت أنهم سيفهمون الأمر بطريقة سيئة، ولكني كنت غبياً حقاً، فأنا كنت مع بلانت في غرفة البلياردو من الساعة العاشرة إلا ربعاً فصاعداً؛ لذلك عندي دليل براءة أكيد ولا يمكن أن أخشى شيئاً. ومع ذلك، عندما توعدتَ وتكلمتَ عن إخفاء أمور عنك، أحسست بوخز ضمير ورأيت ضرورة إزاحة الأمر عن صدري.

نهض عن مقعده ثانية ووقف يبتسم لنا، فقال بوارو وهو يومئ له مستحسناً: أنت شاب حكيم جداً. إنك تعلم أنني عندما أعرف أن شخصاً يخفي عني شيئاً فإنني أشك في كون هذا الشيء سيئاً. حسناً فعلت.

ضحك ريموند وقال: أنا مسرور لخروجي من دائرة الشبهات وسأذهب الآن.

قلت بعد أن أغلق الشاب الباب وراءه: هكذا الأمر إذن.

قال بوارو موافقاً: نعم. شيء تافه، ولكن إن لم يكن في غرفة

البلياردو وقتها... فمَن يدري؟ إن كثيراً من الجرائم وقعت من أجل مبلغ يقل عن خمسمئة جنيه. هذا يعتمد على مقدار المبلغ الذي يكفي لتحطيم مقاومة المجرم... مسألة نسبية، أليس كذلك؟ هل فكرت -يا صديقي- بأن كثيراً من الناس في ذلك البيت يستفيدون من مقتل السيد أكرويد؟ السيدة أكرويد، والآنسة فلورا، والشاب ريموند، ومدبرة المنزل الآنسة راسل. واحد فقط لا يستفيد -في الواقع- وهو الميجر بلانت.

كانت نبرته -عندما نطق بذلك الاسم- غريبة جداً، ولذلك رفعت بصري متحيراً وقلت: أنا لا أفهمك.

- اثنان من الذين اتهمتهم تقدما لقول الحقيقة.

- هل تعتقد أن الميجر بلانت لديه هو الآخر ما يخفيه؟

قال بوارو دون اكتراث: بالنسبة لهذه النقطة أعرف مثلاً يقول إن الإنكليز لا يخفون إلا شيئاً واحداً فقط... وهو حبهم. وأظن أن الميجر بلانت ليس ماهراً في مسألة الإخفاء!

- أحياناً أتمنى لو أننا لم نقفز إلى النتائج متسرعين في نقطة واحدة.

- وما هي؟

- لقد افترضنا أن الذي ابتزّ السيدة فيرارز هو بالضرورة قاتل السيد أكرويد. ألا يمكن أن نكون مخطئين؟

أومأ بوارو بقوة: رائع... رائع حقاً. تساءلت إن كانت تلك

الفكرة ستخطر ببالك. هذا محتمل بالطبع، ولكن يجب أن تتذكر نقطة واحدة: الرسالة التي اختفت. ومع ذلك ليس بالضرورة –كما تقول– أن يكون القاتل هو الذي أخذها. عندما عثرت على الجثة أول مرة ربما كان باركر قد أخذ الرسالة دون أن تلحظه.

- باركر؟

- نعم، باركر. إنني أعود إلى باركر دائماً. ليس بصفته قاتلاً، لا؛ فهو لم يرتكب الجريمة، ولكن مَنْ ذا يكون أكثر منه ملاءمة لدور الوغد الغامض الذي أرعب السيدة فيرارز؟

ربما حصل على معلومات تخص وفاة السيد فيرارز من أحد خدم منزل فيرارز. إن عثوره على هذه المعلومات –على أية حال– مرجح أكثر من عثور ضيف عارض عليها كالسيد بلانت مثلاً.

اعترفت قائلاً: ربما كان باركر قد أخذ الرسالة؛ فأنا لم أنتبه لاختفائها إلاّ بعد ذلك.

- كم مضى من الوقت قبل أن تنتبه لاختفائها؟ بعد أن دخل بلانت وريموند الغرفة أم قبل ذلك؟

قلت ببطء: لا أتذكر. أظن أنه قبل... لا، بل بعد ذلك. نعم، أنا واثق –تقريباً– أن ذلك كان بعد دخولهما.

قال بوارو متأملاً: هذا يوسع مجال الشبهة ليشمل ثلاثة أشخاص، لكن باركر هو الأرجح. إنني أفكر في تجربة صغيرة مع باركر. هل ترافقني إلى فيرنلي يا صديقي؟

وافقته وانطلقنا على الفور. طلب بوارو رؤية الآنسة أكرويد فجاءتنا فلورا سريعاً. قال بوارو: آنسة فلورا، أريد أن أسر لك بسرٍّ صغير: أنا لست مقتنعاً ببراءة باركر بعد، وأريد القيام بتجربة صغيرة بمساعدتك. أريد إعادة تمثيل أعماله التي قام بها تلك الليلة، ولكن ينبغي أن نفكر في ذريعة نقولها له. آه، لقد وجدتها. سنقول له إنني أريد أن أقنع نفسي إن كانت الأصوات في الردهة الصغيرة يمكن سماعها من على المصطبة في الخارج. والآن أرجو أن تضغط على الجرس ليحضر باركر.

فعلت ما طلبه مني فجاء الخادم على الفور هادئاً كعادته وقال: هل ضربت الجرس يا سيدي؟

- نعم يا عزيزي باركر. لقد فكرتُ في تجربة صغيرة: طلبت من الميجر بلانت أن يقف على المصطبة خارج نافذة المكتب، فأنا أريد أن أرى إن كان أحدٌ يمكنه سماع صوتك وصوت الآنسة أكرويد في الردهة في تلك الليلة. أريد إعادة تمثيل ذلك المشهد. هل تذهب وتحضر الصينية أو غير ذلك مما كنت تحمله في ذلك الوقت؟

ذهب باركر على الفور وتجمعنا في الردهة خارج باب المكتب، وسرعان ما سمعنا أصوات كؤوس في الصالة الخارجية، وظهر باركر عند باب الردهة يحمل بيده صينية عليها كأسان.

صاح بوارو وهو يرفع يده وعليه علامات الانفعال: لحظة واحدة من فضلك. يجب أن يكون كل شيء بنظام، تماماً كما حدثت الأمور. تلك هي طريقتي في العمل.

قال باركر: إنه تقليد أجنبي يا سيدي... يسمونه إعادة تمثيل الجريمة، أليس كذلك؟

كان هادئاً جداً وهو يقف هناك بأدب في انتظار أوامر بوارو.

صاح بوارو: آه، إن باركر الطيب يعرف شيئاً... لقد قرأ عن هذه الأمور! والآن، أرجوك، نريد كل شيء كما حدث بالضبط. جئت من الصالة الخارجية... هكذا كما فعلت. أين كانت الآنسة؟

قالت فلورا وهي تقف خارج باب المكتب تماماً: هنا.

قال باركر: صحيح يا سيدي.

أكملت فلورا تقول: كنت قد أغلقت الباب لتوي.

وافقها باركر: نعم يا آنسة. كانت يدك ما تزال على مقبض الباب كما هي الآن.

قال بوارو: هيّا إذن، أتمّوا لي هذه المسرحية.

وقفت فلورا ويدها على مقبض الباب، وجاء باركر من الصالة إلى باب الردهة وهو يحمل الصينية. وقف عند الباب من الداخل. قالت فلورا: آه، باركر؟ السيد أكرويد لا يريد لأحد أن يقطع عليه خلوته مرة أخرى هذه الليلة.

ثم أضافت جانبياً بصوت خفيف: هل هذا صحيح؟

قال باركر: صحيح وفق ما أتذكره يا آنسة فلورا، لكني أظن أنك قلت: "هذا المساء" بدلاً من "هذه الليلة".

ثم رفع صوته بطريقة تمثيلية وقال: "حسناً يا آنسة. هل أقفل الأبواب كالعادة؟"، فقالت: "نعم، أرجوك". عاد باركر وخرج من الباب وتبعته فلورا وبدأت تصعد الدرج. ثم قالت وهي تنظر إلى الوراء: هل يكفي هذا؟

قال بوارو وهو يفرك يديه: رائع! على فكرة يا باركر، هل أنت واثق من وجود كأسين اثنين على الصينية تلك الليلة؟ لمن كان الكأس الثاني؟

قال باركر: إنني أحضر كأسين في العادة. هل من شيء آخر؟

- لا شيء. شكراً لك.

انسحب باركر بكل احترام ووقف بوارو وسط الصالة عابساً، ثم نزلت فلورا وانضمت إلينا وهي تسأل: هل نجحت تجربتك؟ إنني لا أفهم تماماً، أنت تعرف...

ابتسم لها بوارو ملاطفاً وقال: ليس ضرورياً أن تفهمي، ولكن أخبريني: أكان على صينية باركر -في تلك الليلة- كأسان حقاً؟

فكرت فلورا قليلاً ثم قالت: لا أستطيع التذكر حقاً... ولكني أظن ذلك. هل... هل هذا هو الهدف من تجربتك؟

أمسك بوارو يدها وربت عليها وهو يقول: سأقول لك ما يلي: إنني مهتم -دائماً- بالتأكد من ذكر الناس للحقائق.

- وهل قال باركر الحقيقة؟

- أظن ذلك.

بعد دقائق معدودة كنّا عائدين إلى القرية. سألته بفضول: ماذا كان هدفك من السؤال عن الكأسين؟

رفع بوارو كتفيه حيرة وقال: لا بد أن يقول المرء شيئاً. كان مجرد سؤال يؤدي الغرض كغيره من الأسئلة.

حدقت فيه فقال جاداً: على أية حال يا صديقي، فقد عرفت الآن شيئاً كنت أريد معرفته. لنترك الأمر عند هذه النقطة.

• • •

الفصل السادس عشر

سهرة لعبة الماه جونغ*

في تلك الليلة استمتعنا بسهرة ماه جونغ صغيرة. كانت هذه اللعبة ترفيهاً بسيطاً شائعاً جداً في قريتنا، وفي تلك الليلة بالتحديد كان ضيوفنا هم الآنسة جانيت والكولونيل كارتر. وفي العادة يدور في هذه الأوقات الكثير من القيل والقال، وأحياناً يتداخل الكلام مع اللعبة الجارية. وقد اعتدنا لعب البريدج، وكانت الثرثرة تتدخل لتجعل اللعبة أسوأ ما تكون، ثم وجدنا لعبة الماه جونغ الصينية أكثر هدوءاً، وبذلك تخلصنا من ثورة وهيجان اللاعب عندما لا يلعب شريكه كرتاً معيناً. ورغم أننا ما زلنا نوجه لبعضنا انتقادات صريحة إلاّ أن ذلك لا يتم بنفس الطريقة اللاذعة للبريدج.

---

* Mah-Jongg هي لعبة ذات أصل صيني تُلعب بحجارة شبيهة بحجارة الدومينو، وقد انتشرت بشكل كبير في إنكلترا والولايات المتحدة وأستراليا في عشرينيات القرن العشرين. ويتكون طقم الحجارة من ١٣٦ حجراً على الأقل، تمثل عصياً ودوائر ورياحاً شمالية وجنوبية وشرقية وغربية وصوراً للتنين بالألوان الأحمر والأخضر والأبيض. (محرر الترجمة العربية)

كانت كارولين قد أخذت الآنسة جانيت إلى غرفتها، وكانت هناك تساعدها على تخليص نفسها من الملابس الكثيرة التي كانت تلبسها.

قال الكولونيل كارتر وهو يقف وظهره إلى النار: ليلة باردة جداً، أليس كذلك يا شبارد؟ إنها تذكرني بممرات أفغانستان.

قلت بأدب: حقاً؟

أكمل الكولونيل كلامه وهو يأخذ فنجاناً من القهوة: إن قضية المسكين أكرويد هذه غامضة جداً. أظن أن فيها تعقيدات كثيرة. بيني وبينك يا شبارد، لقد سمعت ذكراً لمسألة الابتزاز!

نظر إليّ الكولونيل نظرة يمكن تلخيصها بأنها «نظرة خبير لخبير» ثم قال: لا شك بأن في الأمر امرأة. ثق أن في الأمر امرأة.

دخلت كارولين والآنسة جانيت في تلك اللحظة. شربت الآنسة جانيت قهوتها بينما أخرجت كارولين علبة الماه جونغ وألقت بأحجارها على الطاولة.

قال الكولونيل مازحاً: اعتدنا أن نسميها في نادي شانغهاي بعملية غسيل الأحجار.

كان رأيي الخاص ورأي كارولين أيضاً أن الكولونيل كارتر لم يدخل نادي شانغهاي أبداً طوال حياته، كما أنه لم يذهب شرقاً أبعد من الهند حيث كان يقضي وقته باللعب بمعلبات المواد الغذائية أثناء الحرب العظمى. لكن الكولونيل رجل يقدم نفسه على أنه عسكري

محترف، ونحن -في كنغز أبوت- نسمح للناس بأن يعبروا عمّا في نفوسهم ويمارسوا نزواتهم بحرية.

قالت كارولين: هل نبدأ؟

جلسنا حول الطاولة، وساد الصمت المكان مدة خمس دقائق بسبب وجود منافسة سرية كبيرة بيننا حول من هو الأسرع في بناء حائطه. وأخيراً قالت كارولين: هيا يا جيمس؛ أنت ريح الشرق.

رميت حجراً وبدأت اللعبة. شرعنا في الجولة الأولى ثم الثانية وكانت تتخللها بعض العبارات الرتيبة وكانت الآنسة جانيت تسارع -كعادتها- إلى الادعاء بأن هذه الأحجار لها دون وجه حق.

قالت الآنسة جانيت: رأيت فلورا أكرويد هذا الصباح. عصا... لا، لقد أخطأت.

قالت كارولين: أربع دوائر... أين رأيتها؟

قالت الآنسة جانيت بشيء من المغزى الكبير الذي لا تكاد تجده إلا في القرى الصغيرة: هي لم ترني.

قالت كارولين باهتمام: "آه"، ثم صاحت: تشاو.

قالت الآنسة جانيت وقد نسيت موضوعها مؤقتاً: أظن ان الأصح أن تقولي: «تشي» وليس «تشاو».

قالت كارولين: هراء! إنني أقول دائماً «تشاو».

قال الكولونيل كارتر: في نادي شانغهاي يقولون «تشاو».

تراجعت الآنسة جانيت مهزومة، وسألتها كارولين بعد تركيز على اللعبة لبضع لحظات: ماذا كنت تقولين عن فلورا أكرويد؟ هل كانت برفقة أحد؟

- بالتأكيد.

نظرت السيدتان إلى بعضهما البعض وبدتا وكأنهما تتبادلان المعلومات بعينيهما. قالت كارولين باهتمام: هكذا إذن؟ حسناً، إن ذلك لا يدهشني أبداً.

قال الكولونيل: نحن في انتظارك لترمي حجرك يا آنسة كارولين.

كان الكولونيل يتقمص -أحياناً- مظهر الرجل العملي الذي ينكبّ على اللعب ولا يبالي بما يدور من أقاويل، ولكن أحداً لم يكن ينخدع لذلك.

قالت الآنسة جانيت: لقد كانت فلورا برأيي... (هل الحجر الذي ألقيته عصا؟ آه! لا، فهمت الآن؛ إنه دائرة). كما كنت أقول لقد كانت فلورا -برأيي- محظوظة إلى أبعد حد، محظوظة فعلاً.

سألها الكولونيل: ما رأيك بهذا يا آنسة جانيت؟ لقد ألقيتُ بهذا الحجر. كيف عرفت أن الآنسة فلورا كانت محظوظة؟

قالت الآنسة جانيت بأسلوب من يعرف كل ما ينبغي أن يُعرف: ربما لا أعرف الكثير عن الجرائم، ولكني أستطيع إخباركم بشيء واحد. إن أول سؤال يُوجَّه دائماً هو: "من الذي رأى الفقيد على قيد الحياة آخر مرة؟"، ويكون هذا الشخص تحت الشبهة. فلورا أكرويد

كانت آخر من رأى السيد أكرويد على قيد الحياة. وربما كان موقفها سيئاً، سيئاً جداً. رأيي (وهو رأي قد يكون صحيحاً وقد لا يكون) هو أن رالف باتون قد اختفى عن الأنظار لمصلحتها هي، حتى يبعد الشبهات عنها.

عارضتها بهدوء قائلاً: هيا، هيا... لا أظنك تستطيعين القول إن فتاة شابة مثل فلورا يمكنها طعن عمها بدم بارد؟

قالت الآنسة جانيت: لا أعرف. كنت أقرأ كتاباً أخذته من المكتبة عن العالم السفلي في باريس، ويقول الكتاب إن بعضاً من أسوأ المجرمات كن فتيات صغيرات وجوههن كالملائكة.

قالت كارولين على الفور: هذا في فرنسا.

قال الكولونيل: نعم. سأقول لكم شيئاً غريباً جداً. قصة كانت تدور في أسواق الهند...

كانت قصة الكولونيل طويلة مضجرة، وتفتقر إلى الغرابة إلى حدٍّ غريب! إن شيئاً حدث في الهند قبل عدة سنوات لا يمكن مقارنته مع حادث وقع في قرية كنغز أبوت قبل يومين.

كانت كارولين هي التي حملت الكولونيل على إنهاء قصته إذ أنهت اللعبة لصالحها مشكورة. وبعد قليل من الاستياء الذي يصيب كارولين دائماً عندما أصحح لها بعض أخطائها الحسابية، بدأنا اللعب من جديد.

قالت كارولين: ألقِ حجرك. لديّ رأي خاص بخصوص رالف

باتون، لكني سأحتفظ به لنفسي في الوقت الحالي.

قالت الآنسة جانيت: حقاً يا عزيزتي؟ تشاو... أقصد: باتغ.

قالت كارولين جازمة: نعم.

قالت الآنسة جانيت: هل كان صحيحاً موضوع الحزمة؟ أقصد كونها سوداء؟

قالت كارولين: إنه صحيح تماماً.

سألتها جانيت: ما هو الغرض من معرفة لونها برأيك؟

زمّت كارولين شفتيها وهزت رأسها بأسلوب من يعرف كل شيء عن الأمر، فقالت الآنسة جانيت: أظن أن الدكتور (بوجوده مع السيد بوارو) يعرف كل الأسرار؟

قلت: ما أبعدني عن ذلك!

قالت كارولين: جيمس رجل متواضع جداً. آه! كونغ مخفي.

صفر الكولونيل ونسي اللاعبون حديثهم لبعض الوقت. قال الكولونيل: يجب أن نحذر، فالآنسة كارولين ستخرج منتصرة.

لعبنا بضع دقائق دون تشعب في الحديث، ثم قال الكولونيل كارتر: السيد بوارو هذا، هل هو -حقاً- رجل تحرٍ عظيم؟

قالت كارولين بهدوء: أعظم رجل تحر عرفه العالم، حتى أنه اضطر للمجيء إلى هنا متخفياً لتفادي الشهرة.

قالت الآنسة جانيت: هذا رائع بالنسبة لقريتنا الصغيرة. على فكرة، إن خادمتي كلارا صديقة حميمة للخادمة إيلسي في فيرنلي، وماذا تظنون إيلسي قالت لها؟ قالت إن مبلغاً كبيراً قد سُرق من البيت وإنها تعتقد (أي إيلسي) أن لخادمة الاستقبال علاقة بالأمر؛ فهي راحلة في نهاية الشهر، وهي تبكي كثيراً في الليل. رأيي أن هذه الفتاة ربما كانت على صلة بإحدى العصابات. لقد كانت فتاة غريبة الأطوار ولا تصادق أي واحدة من الفتيات في القرية، وهي تخرج وحدها أيام عطلتها... شيء غريب جداً ويثير الريبة. سألتها -ذات مرة- أن تحضر إحدى أمسيات «جمعية الفتيات» ولكنها رفضت، ثم سألتها بعض الأسئلة عن بيتها وعن أسرتها، ولا بد لي من القول إن سلوكها معي كان وقحاً جداً. لقد أبدت -ظاهرياً- كل احترام لي، ولكنها أسكتتني بأسلوب سافر صريح.

سكتت الآنسة جانيت لتسحب نفساً، فاستغل ذلك الكولونيل (الذي لم يكن مهتماً أبداً بموضوع الخدم) ليقول إن اللعب السريع في نادي شانغهاي كان يعتبر قانوناً ثابتاً.

لعبنا جولة من اللعب السريع. ثم قالت كارولين: الآنسة راسل تلك... جاءتنا صباح الجمعة الماضية متظاهرة بأنها تريد استشارة جيمس. أظن أنها كانت تريد معرفة المكان الذي يحتفظ به جيمس بالسموم.

قالت الآنسة جانيت: يا لها من فكرة غريبة! ترى هل يمكن أن تكوني على حق؟

قال الكولونيل: بمناسبة الحديث عن السموم... آه، ماذا؟ ألم

قالت الآنسة جانيت: ماه جونغ! انتهت اللعبة.

انزعجت كارولين كثيراً وقالت بأسف: لو كان عندي حجر أحمر واحد لفزت بثلاثة أضعاف.

قلتُ: كان معي حجران أحمران منذ البداية.

قالت كارولين بأسى: هكذا أنت دائماً يا جيمس... إنك لا تعرف شيئاً عن روح اللعبة.

كنت أظن أنني لعبت بذكاء. كان عليّ أن أدفع لكارولين مبلغاً كبيراً لو أنها أنهت اللعبة لصالحها، كما أن فوز الآنسة جانيت لم يكن كبيراً، وقد حرصت كارولين على ان توضح لها ذلك.

بدأنا جولة أخرى من اللعب في صمت، ثم قالت كارولين: ما كنت أريد قوله لكم قبل قليل هو ما يلي...

قالت الآنسة جانيت مشجعة: نعم.

- أقصد فكرتي بخصوص رالف باتون.

قالت الآنسة جانيت تشجعها أكثر: نعم يا عزيزتي؟

- لديّ فكرة لا تكاد تخطئ عن مكان وجوده.

توقفنا جميعاً نحدق فيها، ثم قال الكولونيل كارتر: هذا أمر مثير جداً يا آنسة كارولين. أهي فكرتك أنت؟

- ليس تماماً... سأخبركم عنها. هل تعرفون تلك الخريطة الكبيرة للمقاطعة التي نعلقها في الصالة؟

أجبنا جميعاً بالإيجاب فقالت: عندما كان السيد بوارو خارجاً من هناك بالأمس توقف ونظر إليها وقال ملاحظة. لا أتذكر ما قاله بالضبط... شيئاً عن كون كرانشستر المدينة الوحيدة الكبيرة القريبة منّا. وهو كلام صحيح بالطبع، ولكن -بعد أن ذهب- خطرت لي الفكرة فجأة.

- ما الذي خطر لك؟

- قصده؛ فرالف موجود في كرانشستر بالطبع.

في تلك اللحظة ضربت الأحجار التي كنت أحملها على الطاولة، وسرعان ما نظرت إليّ كارولين بشيء من التأنيب الفاتر. كانت مصرة على نظريتها.

قال الكولونيل كارتر: كرانشستر يا آنسة كارولين؟ ليس في كرانشستر بالتأكيد؛ إنها قريبة جداً.

صاحت كارولين فَرِحة: وهنا -بالضبط- تكمن المسألة. يبدو واضحاً تماماً الآن أنه لم يهرب من هنا عن طريق القطار. لا بد أنه ذهب إلى كرانشستر سيراً على الأقدام، وأظن أنه ما زال هناك. ليس من شأن أحد أن يتخيل أنه موجود في هذا المكان القريب.

أثيرت عدة اعتراضات على هذه النظرية، ولكن عندما تصمم كارولين على شيء في رأسها فلا يوجد شيء يقنعها بعكس ذلك.

قالت الآنسة جانيت متأملة: وأنت تظنين أن السيد بوارو يرى نفس هذه الفكرة؟ إنها مصادفة غريبة. كنت خارجة سيراً على الأقدام بعد ظهر اليوم على طريق كرانشستر وقد مرّ بوارو من جانبي في سيارة قادمة من ذلك الاتجاه.

نظرنا جميعاً إلى بعضنا البعض... وفجأة قالت الآنسة جانيت: يا إلهي! عندي حجر الفوز من البداية ولم ألحظه.

أيقظت هذه العبارة كارولين التي كانت تسبح في بحر أفكارها، وألقت الآنسة جانيت أحجارها وفازت باللعبة.

بدأنا نلعب من جديد، وأحضرت آني الشاي. وبعد أن ترددت الآنسة جانيت في رمي حجرها قالت كارولين: أرجو أن تلعبي بسرعة أكبر يا عزيزتي؛ إن الصينيين يضعون الأحجار بسرعة.

لعبنا مثل الصينيين لبعض الوقت، ثم قال الكولونيل كارتر بهدوء: أنت لم تسهم كثيراً في تزويدنا بالمعلومات يا شبارد، أنت كتوم جداً. إنك ترافق رجل التحري العظيم مثل ظله ومع ذلك لم تصدر منك أية إشارة إلى الطريقة التي تسير بها الأمور.

قالت كارولين: جيمس إنسان غريب؛ لا يستطيع حمل نفسه على البوح بشيء من المعلومات.

ثم نظرت إليّ بشيء من التأنيب فقلت: أؤكد لك أنني لا أعرف أي شيء؛ إن بوارو يحتفظ بأسراره لنفسه.

قال الكولونيل ضاحكاً: إنه رجل حكيم؛ لا يبوح بدخيلة نفسه.

رجال التحري الأجانب هؤلاء رائعون. أحسبهم يعرفون كل أنوع الحيل.

قالت الآنسة جانيت بنشوة الانتصار: ماه جونغ... لقد فزت!

أصبح الجو متوتراً أكثر. كان فوز الآنسة جانيت باللعب للمرة الثالثة على التوالي هو الذي دفع كارولين لأن تقول لي عندما قمت ببناء حائط جديد: إنك تبعث على الضجر يا جيمس... تجلس هنا كالخشب المسندة و لا تتكلم شيئاً على الإطلاق!

عارضتها قائلاً: ولكن يا عزيزتي، ليس عندي ما أقوله فعلاً... أعني عمّا تريدين معرفته.

قالت كارولين وهي تلوح بيدها: هراء! لا بد أنك تعرف شيئاً مثيراً.

لم أجبها لبعض الوقت لأنني كنت مرتبكاً ومغموراً بالفرحة. كنت قد قرأت عن وجود شيء يقال له الفوز التام؛ وهو الفوز باللعبة نتيجة تجمع أحجار معينة من الدور الأول، ولكن لم أحلم أبداً بالفوز بهذه الطريقة لأنها نادرة جداً. والآن وضعت يدي على الطاولة باتجاه الأعلى وأنا أكظم فرحة النصر وقلت: كما يقولون في نادي شانغهاي... الفوز التام!

كادت عينا الكولونيل تخرجان من رأسه وقال: يا إلهي! يا له من أمر غريب! لم أرَ هذا يحدث من قبل.

وعندما مضيت في حديثي (مدفوعاً بإلحاح كارولين وبنشوة

النصر التي أنستني تحفظي) قلت: فيما يتعلق بالمعلومات المثيرة، ما رأيكم بخاتم زفاف ذهبي مكتوب بداخله التاريخ وكلمة «من ر»؟

لن أذكر المشهد الذي تبع ذلك، ولكني أجبرت على ذكر المكان الذي تم فيه العثور على هذا الكنز، ثم أجبرت على كشف التاريخ المكتوب في الخاتم.

قالت كارولين: ١٣ آذار... قبل ستة أشهر فقط؟ آه!

وقد خرجت الجلبة والضجة التي حدثت بعدها والاقتراحات والافتراضات بثلاث نظريات هي:

١- نظرية الكولونيل كارتر؛ وتقول إن رالف كان متزوجاً بفلورا سراً، وهو أول الحلول وأكثرها بساطة.

٢- نظرية الآنسة جانيت: وهي أن روجر أكرويد كان متزوجاً بالسيدة فيرارز سراً.

٣- نظرية أختي: وهي أن روجر أكرويد كان متزوجاً بمدبرة المنزل التي تعمل عنده، الآنسة راسل.

* * *

وعندما ذهبنا إلى النوم قدمت كارولين نظرية رابعة خارقة. قالت فجأة: تذكّر كلماتي: لن أدهش أبداً إذا ما تبين أن جيوفري ريموند وفلورا كانا متزوجين.

قلت: إذن في هذه الحالة سيكون مكتوباً على الخاتم «من ج»

وليس «من ر».

- أنت لا تعرف أبداً. بعض الفتيات ينادين الرجال بأسماء عائلاتهم، وقد سمعت ما قالته الآنسة جانيت هذا المساء... حول علاقات فلورا العاطفية.

بصراحة، أنا لم أسمع الآنسة جانيت تقول شيئاً كهذا، لكني كنت أقدّر -عالياً- معرفة كارولين بلغة التلميحات والإشارات.

قلت: ماذا عن هكتور بلانت؟ لو كان في الأمر رجل...

قاطعتني كارولين قائلة: هراء! ربما كان معجباً بها، ولكن ثِقْ بأنه ما من فتاة يمكن أن تقع في حب رجل بمثل عمر والدها عندما يكون في بيتها سكرتير وسيم. ربما شجّعتْ الميجر بلانت على سبيل التمويه لا غير؛ فالفتيات ماكرات جداً! ولكني سأقول لك شيئاً واحداً يا جيمس شبارد: إن فلورا أكرويد غير مهتمة برالف باتون على الإطلاق، ولم تكن كذلك منذ البداية. خذها مني أنا.

أخذتها منها صاغراً.

* * *

الفصل السابع عشر

باركر

خطر لي في صباح اليوم التالي أنني ربما خرجت عن كتماني قليلاً تحت تأثير فرحة الفوز الكبير. والحقيقة أن بوارو لم يطلب مني الاحتفاظ بسرّ اكتشاف الخاتم، ومن ناحية أخرى لم يقل شيئاً عنه عندما كنّا في فيرنلي، وقد كنت –حسب علمي– الشخص الوحيد الذي يعرف عن اكتشاف الخاتم. أحسست بالذنب؛ فهذا الخبر سينتشر الآن في قريتنا انتشار النار في الهشيم، وتوقعت تلقي سيل من التوبيخات من بوارو في أية لحظة.

تحددت الساعة الحادية عشرة موعداً للجنازة المشتركة للسيدة فيرارز وروجر أكرويد. كان حفلاً جنائزياً حزيناً ومؤثراً، وكان جميع أهل البيت والعاملين في فيرنلي موجودين هناك.

وبعد انتهاء الجنازة أخذني بوارو من ذراعي (وكان حاضراً أيضاً) ودعاني لمرافقته إلى بيته. بدا بالغ الجدية وخشيت أن يكون قد علم بما بحتُ به من سرّ الليلة الماضية، ولكن سرعان ما اتضح أنه كان مشغولاً بالتفكير في أمر مختلف تماماً. قال: يجب علينا أن نتصرف.

أريد اختيار أحد الشهود بمساعدتك، وسوف نستجوبه وندخل في روعه من الخوف ما يجبره على البوح بالحقيقة.

قلت وقد فاجأني بقوله كثيراً: أي شاهد هذا الذي تتكلم عنه؟

قال بوارو: باركر! طلبت منه أن يكون في بيتي الساعة الثانية عشرة صباح اليوم. لا بد أنه ينتظرنا هناك في هذه اللحظة.

جازفت قائلاً وأنا أنظر إلى وجهه بطرف عيني: ماذا تعتقد؟

- أعرف ما يلي: إنني... غير مقتنع.

- أتعتقد أنه هو الذي كان يبتز السيدة فيرارز؟

- إمّا هو أو...

قلت بعد أن انتظرته بعض الوقت: أو ماذا؟

- ياصديقي، سأقول لك ما يلي: إنني آمل أن يكون هو.

عدت إلى الصمت مدفوعاً بجدية وتجهم أسلوبه، وبشيء غامض في طريقته. وعندما وصلنا إلى بيت بوارو علمنا أن باركر موجود في انتظارنا، ولدى دخولنا الغرفة نهض الخادم باحترام.

قال بوارو مسروراً: مرحباً يا باركر، أرجو أن تنتظرني لحظة واحدة.

خلع معطفه وقفازاته، فقال باركر وهو يسرع لمساعدته: اسمح لي يا سيدي.

وضع باركر المعطف والقفازات على كرسي قرب الباب. وراقبه بوارو مستحسناً صنيعه ثم قال: شكراً لك يا باركر، هلاّ جلست من فضلك؟ إن ما أريد قوله قد يستغرق بعض الوقت.

جلس باركر على الكرسي وهو يحني رأسه احتراماً، فقال بوارو: والآن، ما هو السبب الذي ترى أنني طلبتك من أجله هذا الصباح؟

تنحنح باركر وقال: فهمت -يا سيدي- أنك أردت سؤالي بعض الأسئلة عن سيدي الفقيد... أسئلة خاصة.

قال بوارو مبتسماً: تماماً. هل لك تجارب كثيرة في الابتزاز؟

- سيدي!

وقف الخادم فجأة، فقال بوارو بهدوء: لا تنفعل. لا تمثل أمامنا دور الرجل النزيه الذي جرحه الاتهام. أنت تعرف كل شيء عن الابتزاز، أليس الأمر كذلك؟

- يا سيدي، إنني... إنني لم... لم...

قال بوارو مكملاً عنه: تتعرض لمثل هذه الإهانة من قبل. إذن لماذا -أيها الذكي باركر- كنت مهتماً بالتنصت على الحديث الذي كان يدور في مكتب السيد أكرويد في ذلك المساء عندما سمعت كلمة ابتزاز؟

- لم أكن... لم...

قال بوارو فجأة: عند مَنْ كنت تعمل آخر مرة؟

- آخر مرة؟

- نعم، من هو سيدك الذي كنت تعمل عنده قبل أن تأتي للعمل عند السيد أكرويد؟

- عند الميجر أليربي يا سيدي.

التقط بوارو منه الاسم وقال: بالضبط، الميجر أليربي. كان الميجر أليربي مدمناً على المخدرات، أليس كذلك؟ كنت تسافر معه، وعندما كان في برمودا وقعت مشكلة صغيرة قُتل فيها رجل، وكان الميجر مسؤولاً جزئياً عن الحادث. وقد طُوي الموضوع، ولكنك كنت تعرف بالأمر. كم دفع لك الميجر أليربي مقابل سكوتك؟

حدق باركر فيه مشدوهاً، ثم انهار وبدأ خداه يرتجفان. أما بوارو فقد قال فَرِحاً: أرأيت؟ لقد قمتُ ببعض التحريات. الأمر كما قلتُ، حصلتَ على مبلغ كبير وقتها كابتزاز، واستمر الميجر أليربي يدفع لك إلى أن مات. والآن أريد أن أسمع عن تجربتك الأخيرة.

استمر باركر بالتحديق فيه، فقال بوارو: الإنكار لا ينفع؛ إن هيركيول بوارو يعرف. أليس الأمر كما قلت؟

أومأ باركر برأسه، وكان يقوم بذلك دون إرادة منه. غدا وجهه شاحباً كالموتى وقال نائحاً: لكني لم أمسّ شعرة واحدة من رأس السيد أكرويد. أقسم لك يا سيدي أنني لم أفعل. كنت خائفاً من حدوث هذا منذ البداية، وصدقني أنني لم... لم أقتله.

ارتفع صوته حتى كاد يصبح صراخاً، فقال بوارو: إنني أميل إلى

تصديقك يا صديقي؛ فليست عندك الشجاعة لذلك! ولكن يجب أن أعرف الحقيقة.

- سأخبرك بأي شيء يا سيدي... أي شيء تريد معرفته. صحيح أنني حاولت التنصت تلك الليلة. لقد سمعت بعض الكلمات التي أثارت فضولي، إضافة إلى طلب السيد أكرويد عدم إزعاجه وإغلاق الباب على نفسه ومعه الطبيب بتلك الطريقة. يشهد الله أن ما قلته للشرطة كان صحيحاً. سمعت كلمة ابتزاز يا سيدي، ثم...

سكت، فقال بوارو بهدوء: وحسبتَ أنه ربما كان في الأمر شيء تستفيد منه، أليس كذلك؟

- حسناً. نعم؛ اعتقدت ذلك يا سيدي. فكرت إن كان السيد أكرويد يخضع للابتزاز فلماذا لا أحصل على حصة من الغنيمة؟

ظهرت ملامح غريبة جداً على وجه بوارو. مال بجسمه إلى الأمام وقال: هل لديك أي سبب يدعوك إلى الافتراض -قبل تلك الليلة- بأن السيد أكرويد كان يخضع للابتزاز؟

- لا يا سيدي؛ لقد فوجئت كثيراً. كان يبدو رجلاً طبيعياً في جميع تصرفاته.

- كم سمعت من الحديث؟

- ليس كثيراً يا سيدي. لقد بدا أن النكد كان حليفي وقتها. كان عليّ أن أقوم بواجباتي في المطبخ، وعندما تسللت إلى المكتب مرة أو مرتين كان ذلك دون فائدة. في المرة الأولى خرج الدكتور

شبارد وكاد يمسك بي متلبساً، وفي المرة الثانية مرّ السيد ريموند من جانبي في الصالة الكبيرة وذهب في ذلك الاتجاه. لذلك علمت أن الأمر لن يفيد. وعندما ذهبت ومعي الصينية أوقفتني الآنسة فلورا.

حدق بوارو بالرجل طويلاً وكأنه يختبر صدقه. رد عليه باركر بنظرة جدية وقال: أرجو أن تصدّقني يا سيدي. كنت خائفاً -منذ البداية- من أن يكشف الشرطة تلك الحادثة القديمة مع الميجر أليربي فيشتبهوا بي.

أخيراً قال بوارو: حسناً، إنني أميل إلى تصديقك، ولكن لا بد أن أطلب منك شيئاً واحداً؛ أن تريني دفتر حسابك البنكي. أظن أن لديك دفتر حساب بنكي؟

- نعم يا سيدي، بل إنه معي الآن في الحقيقة.

أخرجه من جيبه دون أن تبدو عليه أية علامة ارتباك، وأخذ بوارو الدفتر الأخضر الرفيع وفتحه قائلاً: آه! أرى أنك قد اشتريت شهادات ادخار قيمتها خمسمئة جنيه هذا العام؟

- نعم يا سيدي. وفّرتُ ألف جنيه من قبل؛ نتيجة علاقتي مع سيدي... سيدي الراحل الميجر أليربي. كما نالني بعض الحظ من رهانات الخيل هذا العام.

أعاد بوارو الدفتر إليه وقال: أتمنى لك صباحاً طيباً. أظن أنك أخبرتني بالحقيقة. أما إذا كنت لا تقول الحقيقة، فإنه أمر سيء لك يا صديقي.

بعد أن غادر باركر أخذ بوارو معطفه، فسألته: هل ستخرج مرة أخرى؟

- نعم، سنقوم بزيارة قصيرة للسيد هاموند.

- هل تصدق قصة باركر؟

- يمكن تصديقها من حيث الظاهر. يبدو -واضحاً- أنه يظن أن أكرويد نفسه كان ضحية الابتزاز... إلاّ إذا كان ممثلاً بارعاً، وهذا يعني أنه لا يعرف شيئاً عن أمر السيدة فيرارز.

- إذن، في هذه الحالة، مَن الذي...؟

- بالضبط! مَن الذي؟ إن زيارتنا للسيد هاموند ستنجز هدفاً واحداً. إما أن تبرئ باركر تماماً أو...

- أو ماذا؟

قال بوارو معتذراً: يبدو أنني وقعت هذا الصباح في عادة سيئة هي عدم إكمال عباراتي. يجب أن تتحملني.

قلت بخجل: على فكرة، أريد أن أعترف لك بشيء. أخشى أن أكون كشفت شيئاً حول ذلك الخاتم عن غير قصد مني.

- أي خاتم؟

- الخاتم الذي وجدتَه في بركة الأسماك.

قال بوارو وهو يبتسم ملء شدقيه: آه، نعم.

- أرجو ألاّ تكون قد تضايقت. كان إهمالاً من جانبي.

- أبداً يا صديقي، أبداً. أنا لم آمرك بكتمانه، وأنت كنت حراً في أن تتحدث عنه إن شئت. هل أثار الأمر اهتمام أختك؟

- نعم، وقد أوجد جواً مثيراً وخرجت كل أشكال النظريات.

- آه! ومع ذلك فالحل بسيط للغاية. التفسير الحقيقي يكاد يفقأ العين لوضوحه، أليس كذلك؟

قلت بجفاء: حقاً؟

ضحك بوارو وقال: الرجل الحكيم لا يربط نفسه بأي التزام، أليس هذا صحيحاً؟ ها قد وصلنا إلى مكتب السيد هاموند.

كان المحامي في مكتبه، ودخلنا عليه دون أي تأخير. نهض عن مقعده وحيّانا بطريقته الجافة الدقيقة. وطرق بوراو الموضوع مباشرة: يا سيدي، أريد منك معلومات معينة إن تكرمت بها علي. علمت أنك كنت محامياً للسيدة فيرارز الراحلة.

لاحظت التماعة سريعة من الدهشة في عيني المحامي قبل أن يعود مرة أخرى إلى سَمْته المهني الرصين الذي وضعه كقناع على وجهه. قال: بالتأكيد؛ لقد تولينا جميع شؤونها.

- جيد. أريد -قبل كل شيء- أن تصغي إلى هذه القصة التي سيحكيها لك الدكتور شبارد. هل لديك أي مانع -يا صديقي- في إعادة الحديث الذي دار بينك وبين السيد أكرويد مساء الخميس الماضي على مسامع السيد هاموند؟

قلت: أبداً.

وبدأت -على الفور- بإعادة سرد ما دار في تلك الليلة الغريبة فيما أصغى هاموند باهتمام شديد، وبعد أن انتهيت قلت: "هذا كل شيء"، فقال المحامي متأملاً: ابتزاز؟!

سأله بوارو: هل فوجئت؟

خلع المحامي نظارته ومسحها بمنديله ثم قال: لا؛ لا يمكنني القول إنني فوجئت. لقد اشتبهت بشيء من هذا القبيل منذ فترة.

قال بوارو: هذا يقودنا إلى المعلومات التي أطلبها منك. إن كان أحدٌ يستطيع أن يعطينا فكرة عن المبالغ المدفوعة فهو أنت يا سيدي.

قال هاموند بعد لحظة من التفكير: لا أرى مبرراً لحجب هذه المعلومات. خلال السنة الماضية باعت السيدة فيرارز سندات معينة، وقد دخلت قيمة هذه السندات في حسابها ولم يتم استثمارها مرة أخرى. ولأن دخلها كان كبيراً ولأنها عاشت وحيدة بعد وفاة زوجها، يبدو من المؤكد أن هذه المبالغ قد دُفعت لغرض خاص. لقد استفسرتُ عن هذا الأمر ذات مرة فقالت إنها مضطرة لمساعدة كثير من أقارب زوجها الفقراء. وسكتُّ عن هذا الموضوع بالطبع. وحتى هذه اللحظة كنت أتخيل أن النقود دُفعت لامرأة كان لها دين على آشلي فيرارز. لم أتخيل -أبداً- أن تكون السيدة فيرارز نفسها متورطة.

سأله بوارو: وماهو المبلغ؟

- أظن أن إجمالي المبلغ يصل إلى عشرين ألف جنيه على الأقل.

صحت ذاهلاً: عشرين ألف جنيه؟ في سنة واحدة!

قال بوارو بجفاء: كانت السيدة فيرارز امرأة ثرية جداً، كما أن عقوبة القتل ليست هينة.

سأل السيد هاموند: هل يوجد أي شيء آخر يمكنني إخبارك به؟

قال بوارو وهو ينهض: لا؛ أشكرك كثيراً. أرجو المعذرة على إزعاجك.

- أبداً، أبداً.

وعندما خرجنا قال بوارو: ماذا عن صديقنا باركر الآن؟ لو حصل على عشرين ألف جنيه فهل كان من شأنه أن يبقى خادماً؟ لا أظن ذلك. من الممكن -بالطبع- أن يودع النقود باسم آخر، لكني أميل إلى الاعتقاد بأنه أخبرنا بالحقيقة. لئن كان وغداً فإنه وغد ذو مستوى تافه وضيع وليست لديه إمكانات عقلية كبرى، وهذا لا يترك أمامنا سوى احتمالين: ريموند أو... أو الميجر بلانت.

عارضته: ليس ريموند بالتأكيد؛ لأننا نعرف أنه كان في حاجة ماسة إلى خمسمئة جنيه فقط.

- هذا ما يقوله هو، نعم.

- وبالنسبة لهكتور بلانت...

قاطعني بوارو قائلاً: سأخبرك شيئاً عن الميجر بلانت الطيب. إن عملي هو القيام بالتحريات، وقد قمت بها. وبالنسبة للتركة التي تحدث

عنها، فقد اكتشفت أن مبلغها يصل إلى عشرين ألف جنيه تقريباً. ما رأيك بهذا؟

فوجئت إلى حد لم أستطع معه أن أتكلم، ولكني قلت أخيراً: هذا مستحيل... من رجل معروف جيداً مثل هكتور بلانت!

رفع بوارو كتفيه حيرةً وقال: من يدري؟ إنه -على الأقل- ذو إمكانات عقلية، ولكني أعترف بأنني لا أكاد أستطيع تخيله مبتزاً. ويبقى احتمال آخر لم تفكر فيه.

- وما هو؟

- النار يا صديقي. ربما كان أكرويد نفسه قد أحرق تلك الرسالة والمغلف الأزرق بعد أن خرجت من عنده.

قلت ببطء: لا أكاد أرى احتمالاً لذلك. ومع هذا... بالطبع، قد يكون الأمر كذلك؛ ربما غيّر رأيه.

كنّا قد وصلنا إلى بيتي فدعوته للدخول وتناول ما تيسر من الطعام. اعتقدت أن كارولين ستسر مني، ولكن يصعب على المرء إرضاء نساء بيته؛ فقد تبين أن غداءنا مجرد شرائح من اللحم، وممّا يسبّب الحرج وضع شريحتين من اللحم أمام ثلاثة أشخاص.

لكن الحرج نادراً ما يطول بقاؤه مع كارولين؛ فبكذبة رائعة شرحت لبوارو أنها ملتزمة بالحمية ولا تأكل إلاّ الخضار (رغم أن جيمس يهزأ بها لفعلها هذا)، وقد أسهبت في التعبير عن استمتاعها بفطائر الجبن الويلزي اللذيذة، بالإضافة إلى بعض الملاحظات حول

أخطار أكل اللحوم.

وعندما جلسنا أمام النار بعد ذلك قامت كارولين بمهاجمة بوارو مباشرة: ألم تعثر على رالف باتون بعد؟

- وأين يمكنني أن أجده يا آنسة؟

قالت كارولين بصوت حافل بالمغزى: حسبت أنك ربما استطعت العثور عليه في كرانشستر.

بدا بوارو متحيراً: في كرانشستر؟ ولماذا في كرانشستر؟

لفتُّ انتباهه بشيء من الخبث قائلاً: لقد رآك واحد من فريق التحري الكبير العامل لحسابنا في السيارة على طريق كرانشستر بالأمس.

تلاشت ملامح الحيرة عن وجه بوارو وضحك من كل قلبه وهو يقول: آه، هكذا إذن! كانت تلك مجرد زيارة بسيطة لطبيب الأسنان. آلمني ضرسي فذهبت إلى هناك، وعندما وصلت تحسن ضرسي ففكرت في العودة بسرعة، لكن الطبيب قال: "لا؛ الأفضل أن تخلعه". وقد جادلته، لكنه قام بما يريد! ذلك السن لن يؤلمني مرة أخرى أبداً.

ذوت آمال كارولين كما لو فقعتُ بالوناً بدبوس، ثم شرعنا في مناقشة موضوع رالف باتون. وقد أصررت قائلاً: إنه مخلوق ضعيف، لكنه ليس شريراً.

قال بوارو: نعم، ولكن إلى أين يفضي الضعف؟

قالت كارولين: بالضبط. خذ جيمس على سبيل المثال... إنه

ضعيف جداً لولا أنني بالقرب منه أعتني به.

قلت غاضباً: كارولين، يا عزيزتي، ألا يمكنك الحديث دون الخوض في أمثلة شخصية؟

قالت معاندة: أنت فعلاً ضعيف يا جيمس. إنني أكبرك بتسع سنوات... آه، لا يهمني أن يعلم السيد بوارو بذلك.

قال بوارو مجاملاً: ما كنت لأخمن ذلك أبداً يا آنسة.

- أنا أكبر منك بتسع سنوات، واعتبرت أن من واجبي العناية بك على الدوام، ولو كانت تنشئتك سيئة لكان الله وحده يعلم حالك الآن.

تمتمت قائلاً وأنا أنظر إلى السقف: ربما كنت تزوجت فتاة مغامرة جميلة.

قالت كارولين باستهزاء: مغامرة! ولكن إذا كنّا نتحدث عن المغامرات...

لم تكمل الجملة، فسألت بشيء من الفضول: نعم؟

قالت: "لا شيء، ولكن يمكنني التفكير بواحدة لا تبعد عنّا مئة ميل". ثم التفتت إلى بوارو فجأة وقالت: ما زال جيمس يؤكد أنك ترى القاتل شخصاً من أهل البيت. كل ما يمكنني قوله هو أنك مخطئ.

قال بوارو: لا أحب أن أكون مخطئاً؛ فهذا ليس... هذا ليس من عاداتي.

أكملت كارولين غيرَ مكترثة بملاحظة بوارو: إن الحقائق واضحة تماماً عندي... من جيمس ومن غيره. وحسبما يمكنني رؤيته، فإن اثنين فقط من أهل البيت كانت لديهما فرصة لقتله: رالف باتون وفلورا أكرويد.

- يا عزيزتي كارولين...

- لا تقاطعني يا جيمس؛ إنني أعرف ما أتحدث عنه. لقد قابلها باركر خارج الباب، أليس كذلك؟ لم يسمع عمَّها وهو يرد عليها التحية. إذن ربما كانت قد قتلته في ذلك الحين.

- كارولين!

- أنا لا أقول إنها قد فعلت ذلك يا جيمس، إنما أقول إنها كانت تستطيع ذلك. الحقيقة أن فلورا تشبه كل فتيات هذه الأيام اللاتي لا يحترمن من هم أكبر منهن مقاماً ويعتقدن أنهن يعرفن أفضل منهم في كل المواضيع، إلاّ أنني لا أظن أبداً أنها يمكن أن تقتل دجاجة... ولكن هذا هو الواقع. لدى كلٍّ من السيد ريموند والميجر بلانت دليل غياب عن مسرح الجريمة، والسيدة أكرويد لديها دليلها هي الأخرى. حتى تلك المرأة راسل يبدو أن لديها دليلاً أيضاً... وهو من حسن حظها بالتأكيد. مَن بقي؟ فقط رالف وفلورا! لك أن تقول ما تشاء، ولكنني لا أرى أن رالف باتون قاتل؛ فهو غلام عرفناه طوال حياتنا.

كان بوارو صامتاً، وعندما تكلم -أخيراً- كان ذلك بصوت هادئ ولطيف أحدث تأثيراً غريباً... كان ذلك مختلفاً تماماً عن أسلوبه.

قال: دعونا نأخذ رجلاً، رجلاً عادياً جداً، رجلاً ليست في ذهنه أية فكرة عن القتل. في مكان ما داخل هذا الرجل عرق من الضعف... في أعماقه. ولم يسبق لهذا العرق أن ظهر أبداً من قبل، وربما لن يظهر أبداً، وفي هذه الحالة سيموت وهو موضع احترام وتقدير الجميع. ولكن لنفترض أن شيئاً ما قد حدث. ربما يكون قد وقع في مصاعب أو مشكلات... أو حتى ليس هذا. ربما وقع -عن طريق الصدفة- على سر ما، سر يتعلق بحياة أو موت شخص ما. سيكون رد فعله الأول أن يتكلم وأن يقوم بواجبه كمواطن شريف، ولكن عندها يظهر أثر الضعف فيه؛ فها هي ذي فرصة للحصول على مال... على مبلغ كبير من المال. إنه يريد المال ويرغب فيه، والأمر سهل جداً. ليس عليه أن يفعل أي شيء للحصول عليه... باستثناء البقاء صامتاً. هذه هي البداية. ولكن الرغبة في المال تزداد، لا بد أن يحصل على مال أكثر، وأكثر! لقد أذهب عقلَه منجمُ الذهب الذي انفتح عند قدميه. أصبح جشعاً، ثم تمادى في جشعه. يستطيع المرء أن يضغط على الرجل بالقدر الذي يريده، أما المرأة فإن على المرء ألاّ يذهب بعيداً في الضغط عليها؛ لأن للمرأة -في قلبها- رغبة كبيرة في قول الحقيقة. كم من الرجال خدعوا زوجاتهم وذهبوا إلى قبورهم مرتاحين حاملين معهم أسرارهم؟ وكم من النساء اللاتي خدعن أزواجهن دمّرنَ حياتهن لأنهن ألقين بالحقيقة في وجوه نفس أولئك الأزواج! لقد ضُغِط عليهن كثيراً، وفي لحظة طائشة (سيندمن بعدها بالطبع) يقذفن بالسلامة جانباً ويُعلِنَّ الحقيقة بكثير من الرضا والارتياح المؤقت. أظن أن ذلك ما حدث في هذه القضية. كان التوتر كبيراً جداً، وهكذا جاء موت الوزّة التي تبيض ذهباً (كما تقولون في مثلكم). لكن هذه ليست النهاية؛ فالرجل الذي تتحدث عنه واجه احتمال انكشاف أمره ولم يعد هو نفس الرجل الذي

كان قبل... قبل عام مثلاً. لقد تشوه نسيجه الأخلاقي وأصبح يائساً. إنه يحارب في معركة خاسرة، وهو على استعداد لاستخدام أية وسيلة تطالها يده، لأن انكشافه يعني له الدمار. وهكذا... ضرب الخنجر ضربته!

سكت لحظة، وبدا وكأنه قد ألقى في الغرفة تميمة سحر. لا أستطيع وصف الانطباع الذي أحدثته كلماته. شيء ما في تحليله القاسي وفي قوة رؤيته الحادة جعله يلقي الرعب في قلبينا. ثم أكمل بهدوء: وبعد ذلك، بعد أن أزيل الخنجر، عاد كما كان لطيفاً عادياً. ولكن إذا ما استدعت الضرورة مرة أخرى فسوف يضرب ثانية.

استيقظت كارولين أخيراً من تأملاتها. قالت: أنت تتحدث عن رالف باتون. قد تكون محقاً وقد لا تكون، ولكن ليس من حقك إدانة رجل لم نسمع منه شيئاً.

رنّ جرس الهاتف بحدة، فذهبت إلى الصالة ورفعت السماعة. قلت: "ماذا؟ نعم. الدكتور شيارد يتكلم". أصغيت لبعض الوقت ثم أجبت باختصار ووضعت السماعة وعدت إلى غرفة الاستقبال.

قلت: بوارو، لقد أوقفوا رجلاً في ليفربول. اسمه هو تشارلز كنت، ويُعتقَد أنه الغريب الذي زار منزل السيد أكرويد تلك الليلة. ويريدون مني الذهاب إلى ليفربول على الفور للتعرف عليه.

* * *

الفصل الثامن عشر

تشارلز كنت

بعد نصف ساعة كنت وبوارو والمفتش راغلان في القطار المتجه إلى ليفربول، وكان واضحاً أن المفتش منفعل جداً. قال متهللاً: قد نعثر -على الأقل- على خيط من نور فيما يتعلق بجانب الابتزاز في هذه القضية. إن هذا الرجل من الأشقياء حسبما سمعت على الهاتف، وهو يتعاطى المخدرات أيضاً. لا بد أن نحصل منه على ما نريد بسهولة. لو وجدنا عنده ظلاً من دافع فإن الأرجح أن يكون هو قاتل السيد أكرويد. ولكن في هذه الحالة، لماذا يتوارى باتون عن الأنظار. الأمر كله معقد. على فكرة يا سيد بوارو، كنت محقاً تماماً بخصوص البصمات تلك؛ فقد كانت بصمات السيد أكرويد نفسه. لقد راودتني نفس هذه الفكرة لكني صرفتها باعتبارها غير معقولة.

ابتسمت في سري؛ فقد بدا واضحاً أن المفتش راغلان يريد حفظ ماء وجهه. وقال بوارو: بالنسبة لهذا الرجل، ألم يُعتقل بعد؟

– لا، إنما هو موقوف للاشتباه فيه.

– وماذا قال عن نفسه؟

قال المفتش عابساً: أقلَّ القليل. فهمت أنه رجل حذر.

عند وصولنا إلى ليفربول فوجئت باستقبالهم بوارو بالتهليل والترحاب؛ فقد عمل رئيس المفتشين هيز (الذي كان في استقبالنا) مع بوارو في قضية ما قبل فترة طويلة، وبدا واضحاً أنه يُكنّ لبوارو إعجاباً مبالغاً به وبقدراته. قال مبتهجاً: بما أن السيد بوارو معنا الآن فلن يطول الأمر. كنت أظن أنك تقاعدت يا سيدي؟

– نعم يا صديقي هيز؛ لقد تقاعدت، لكن التقاعد يبعث على الملل! لا يمكنك تخيل ما في تعاقب الأيام من ملل ورتابة.

– هذا أكيد. إذن فقد جئت لتلقي نظرة على اكتشافنا هذا. أهذا هو الدكتور شبارد؟ أتظن أن باستطاعتك التعرف على الرجل؟

قلت متردداً: لست متأكداً كثيراً.

سأله بوارو: كيف أمسكتم به؟

– عُمِّمت الأوصاف في الصحف وفي المراكز. لم يكن لدينا الكثير الذي نعتمد عليه. ولكن هذا الرجل يتكلم باللهجة الأميركية بالتأكيد، وهو لا ينكر وجوده قرب كنغز أبوت تلك الليلة. سأل فقط عما يعنينا في هذا الأمر، وقال إنه لن يجيبنا على أي سؤال ولو شنقنا أنفسنا.

قال بوارو: هل تسمحون لي أيضاً برؤيته؟

غمزه رئيس المفتشين وقال: يسرنا وجودك يا سيدي. لديك إذن بأن تفعل ما تشاء. كان المفتش جاب من سكوتلانديارد يسأل عنك

بالأمس، وقال إنه سمع عن صلتك غير الرسمية بهذه القضية. أين يختبئ الكابتن باتون يا ترى، هل تستطيع إخباري بمكانه؟

قال بوارو عابساً: لا أظن ذلك من الحكمة في هذا الوقت بالذات.

عضضت على شفتي لأمنع ابتسامة كادت تخرج، فقد قام بوارو بدوره جيداً. وبعد شيء من الحديث أخذونا لمقابلة السجين.

كان شاباً لا يزيد عمره عن الثالثة والعشرين. وكان طويلاً نحيفاً مرتجف اليدين قليلاً، أما قوته الجسمية الواضحة فقد بدا أنها تخور بعض الشيء. كان أسود الشعر، لكن عينيه كانتا زرقاوين مراوغتين نادراً ما تقابلان الناظر إليهما مباشرة. لقد توهمت -طوال الوقت- أن في الشخص الذي التقيت به في تلك الليلة شيئاً مألوفاً، ولكن إن كان هذا هو الشخص حقيقة فإنني كنت مخطئاً تماماً؛ فهو لم يذكرني بأي شخص أعرفه أبداً.

قال رئيس المفتشين: والآن يا كنت، قف على قدميك. لقد جاء بعض الزوار لرؤيتك. هل تميز أحداً منهم؟

نظر إلينا متجهم الوجه لكنه لم يجب، ورأيته ينقل نظراته بيننا نحن الثلاثة ويعود ليركزها علي.

قال رئيس المفتشين يخاطبني: حسناً يا سيدي، ماذا تقول؟

قلت: الطول نفسه، ومن حيث المظهر العام قد يكون هو الشخص نفسه، أمّا غير ذلك فليس عندي ما أضيفه.

سأل كنت: ماذا يعني كل هذا بربكم؟ ماذا لديكم ضدي؟ هيا قولوا! ما الذي يُفترَض أنني فعلته؟

أومأت برأسي وقلت: إنه نفس الرجل؛ لقد ميزت صوته.

- تقول ميّزتَ صوتي؟ أين تراك سمعته من قبل؟

- مساء الجمعة الماضية خارج بوابة فيرنلي بارك، وقد سألتني عن الطريق إليه.

- أنا سألتك؟

سأله المفتش: هل تعترف بذلك؟

- لا أعترف بأي شيء. ليس قبل أن أعرف ما لديكم ضدي.

سأله بوارو متدخلاً للمرة الأولى: ألم تقرأ الصحف في الأيام القليلة الماضية؟

ضاقت عينا الرجل وقال: إذن هكذا الأمر. قرأت أن رجلاً قُتل في فيرنلي. هل تحاولون الاستنتاج بأنني أنا الذي فعلت ذلك؟

قال بوارو بهدوء: لقد كنت هناك في تلك الليلة.

- وكيف عرفت يا سيد؟

- من هذه.

أخرج بوارو شيئاً من جيبه ومدّ يده به. كانت تلك قصبة الريش التي وجدناها في البيت الصيفي، وعندما رآها الشاب تغير وجهه وأوشك أن يمدّ يده.

قال بوارو متأملاً: الكوكايين الأبيض. لا يا صديقي، إنها فارغة. كانت على الأرض حيث وقعت منك في البيت الصغير في تلك الليلة.

نظر تشارلز كنت إليه بتردد وقال: يبدو أنك تعرف الكثير عن كل شيء أيها الأجنبي المغرور. ربما تتذكر أن الصحف قالت إن الرجل قد قُتل بين العاشرة إلا ربعاً والعاشرة؟

وافقه بوارو: هذا صحيح.

– نعم، ولكن هل هذا صحيح حقاً؟ هذا ما أريد الوصول إليه.

قال بوارو: "هذا الرجل سوف يخبرك". وأشار إلى المفتش راغلان، فتردد المفتش ونظر إلى رئيس المفتشين هيز ثم إلى بوارو، وأخيراً قال وكأنه أخذ الموافقة: هذا صحيح، بين العاشرة إلا ربعاً والعاشرة.

قال كنت: إذن ليس لديكم ما يبرر حجزي هنا، فقد خرجت من فيرنلي بارك في التاسعة وخمس وعشرين دقيقة. يمكنكم أن تسألوا في حانة دوغ آند ويسل. إنها تبعد مسافة ميل واحد عن فيرنلي على طريق كرانشستر، وأذكر أنني تسببت في وقوع عراك هناك، وكانت الساعة العاشرة إلاّ ربعاً تقريباً. ما رأيكم في ذلك؟

كتب المفتش راغلان بعض الملاحظات في مفكرته، فسأله كنت: حسناً، والآن؟

قال المفتش: سنقوم بالتحقق من هذه الأقوال. إذا كنت تقول الحقيقة فلن يحدث ما يضرك. على أية حال، ماذا كنت تفعل في فيرنلي بارك؟

– ذهبت هناك لمقابلة شخص ما.

– من هو؟

– هذا ليس من شأنك.

حذره رئيس المفتشين قائلاً: من الأفضل أن تبقى مهذباً أيها الرجل.

– تباً للتهذيب! ذهبت إلى هناك لشأن خاص بي وهذا كل ما في الأمر، وإن كنتُ قد خرجت قبل حدوث الجريمة فهذا كل ما يهم الشرطة.

قال بوارو: اسمك هو تشارلز كنت. أين ولدت؟

حدّق الشاب فيه ثم ابتسم وقال: إنني بريطاني من رأسي حتى أخمص قدمي.

قال بوارو متأملاً: نعم، أظن ذلك. وأنا أعتقد أنك ولدت في مقاطعة كِنْت بإنكلترا.

حدّق الشاب وقال: ولماذا؟ أهو بسبب اسمي؟ ما علاقة هذا بالأمر؟ أينبغي لكل من يحمل اسم كنت أن يكون مولوداً في تلك المقاطعة بالذات؟

قال بوارو متأنياً: أظن أنه قد يكون كذلك في ظل ظروف معينة... في ظل ظروف معينة، أتفهمني؟

كان في نبرته الكثير من المغزى مما أدهش ضابطَي الشرطة. أما

تشارلز كنت فقد احمرّ وجهه، وظننت للحظة أنه سيثب على بوارو، ولكنه آثر السلامة واستدار ضاحكاً.

أومأ بوارو برأسه وكأنه قد رضي بالمقابلة وخرج، وسرعان ما التحق به الضابطان.

قال راغلان: سوف نتحقق من أقواله، إلاّ أنني لا أظنه يكذب. لكنه لا بد أن يبعد عن نفسه الشبهات ويخبرنا عمّا كان يفعله في فيرنلي. يبدو لي أننا أمسكنا بالمبتز بلا ريب، ومن ناحية أخرى إذا سلّمنا بصحة روايته فلا يمكن أن تكون له علاقة بجريمة القتل. كان معه عشرة جنيهات عندما اعتُقل، وهو مبلغ كبير نوعاً ما. أظن أن تلك الجنيهات الأربعين قد ذهبت إليه. أرقام الأوراق النقدية التي معه لم تكن متطابقة مع باقي المبلغ الذي تركه أكرويد، ولكن كان من شأنه أن يغيرها فور حصوله عليها بالطبع. لا بد أن أكرويد قد أعطاه النقود وانسلّ هارباً بها بسرعة. ماذا عن مولده في مقاطعة كنت؟ ما علاقة هذا بالأمر؟

قال بوارو: لا شيء. فكرة صغيرة لدي، هذا كل ما في الأمر. إنني مشهور بأفكاري الصغيرة.

قال راغلان وهو يتفحصه متحيراً: أحقاً أنت كذلك؟

انفجر رئيس المفتشين ضاحكاً وقال: لطالما سمعت المفتش جاب يذكر ذلك ويكرره. السيد بوارو وأفكاره الصغيرة! كان يقول إنها أفكار خيالية بالنسبة له ولكن فيها دوماً شيئاً ما.

قال بوارو مبتسماً: "أنت تسخر مني، ولكن هذا لا يهم. العجائز

يضحكون في بعض الأحيان أخيراً عندما لا يضحك الشباب الأذكياء على الإطلاق". ثم أومأ لهما برأسه بتعقل وخرج إلى الشارع.

تناولنا، أنا وهو، طعام الغداء في أحد الفنادق بعد ذلك. إنني أعرف -الآن- أن الأمر كله كان قد تكشّف له بوضوح وقتها؛ إذ كان قد أمسك بالخيط الأخير الذي احتاجه للوصول إلى الحقيقة، ولكني لم أكن أعرف شيئاً عن هذه الحقيقة في ذلك الوقت. كنت قد أسأت تقديري لثقته بنفسه، وسلمت جدلاً بأن الأشياء التي كانت تحيرني لا بد أنها تحيره هو الآخر بنفس المستوى.

كان اللغز الأساسي الذي يحيرني هو معرفة ما كان يفعله تشارلز كنت في فيرنلي. كنت أضع هذا السؤال أمامي مرة تلو الأخرى ولا أحصل على إجابة مرضية، وفي نهاية الأمر غامرت بسؤال بوارو متردداً. وكانت إجابته فورية: يا صديقي، لا أعتقد أنني أعرف.

قلت غير مصدق: أحقاً؟

– نعم في الحقيقة. لا أظن أنك سترى في كلامي معنىً إن قلت لك إنه ذهب إلى فيرنلي في تلك الليلة لأنه وُلد في كنت، أليس كذلك؟

حدقت فيه وقلت بجفاء: لا معنى لهذا عندي بالتأكيد.

قال بوارو مشفقاً: آه، لا يهم، ما زالت عندي فكرتي الصغيرة!

* * *

الفصل التاسع عشر

فلورا أكرويد

بينما كنت عائداً من جولتي في صباح اليوم التالي ناداني المفتش راغلان. توقفت فجاءني وقال: صباح الخير يا دكتور شبارد. لقد تحققنا من دليل الغياب فوجدناه صحيحاً.

- دليل غياب تشارلز كنت؟

- أجل. النادلة التي تعمل في الحانة تتذكره تماماً، وقد عرفت صورته من بين خمس صور أخرى. كانت الساعة العاشرة إلا ربعاً عندما دخل الحانة، وهذه الحانة تبعد ميلاً واحداً عن فيرنلي بارك. وقد ذكرت الفتاة أنه كان يحمل معه مبلغاً كبيراً من النقود؛ إذ رأته وهو يخرج من جيبه رزمة من الأوراق النقدية، وقد أدهشها ذلك كثيراً وهي ترى من أية طبقة هو. لا شك أن تلك الجنيهات الأربعين قد ذهبت إليه.

- ألا يزال الرجل يرفض الكشف عن سبب زيارته لفيرنلي؟

- إنه عنيد كالبغل. تحدثت مع هيز في ليفربول على جهاز

اللاسلكي صباح اليوم.

قلت: يقول هيركيول بوارو إنه يعرف سبب ذهاب الرجل إلى هناك في تلك الليلة.

صاح المفتش متحمساً: حقاً؟

قلت بمكر: نعم. يقول إنه ذهب إلى هناك لأنه ولد في كنت.

أحسست بلذة خاصة في نقل حيرتي إلى شخص سواي. حدّق راغلان بي لبعض الوقت وهو لا يفهم قصدي، ثم ارتسمت ابتسامة على شفتيه وضرب على جبينه بيده في إشارة ذات مغزى وقال: نعم، لقد خطر لي ذلك، فكرت في ذلك منذ فترة. مسكين هذا العجوز! لهذا -إذن- اضطر إلى ترك عمله والمجيء إلى هنا. يحتمل أن يكون ذلك وراثياً في العائلة؛ فلديه ابن أخ مجنون تماماً.

قلت ذاهلاً: أتقصد بوارو؟

- نعم. ألم يذكره لك من قبل؟ أظنه من النوع غير المؤذي والمسالم، ولكنه مجنون تماماً، المسكين.

- من أخبرك بذلك؟

ابتسم المفتش راغلان ثانية وقال: أختك، الآنسة شبارد، أخبرتني عنه كل شيء.

إن كارولين مدهشة حقاً. لا يهدأ لها بال إلاّ بعد أن تعرف كل شيء عن الأسرار العائلية لجميع الناس، ولسوء الحظ لم أستطع أبداً اقناعها بآداب الحفاظ على هذه الأسرار لنفسها.

قلت وأنا أفتح باب السيارة: ادخل أيها المفتش، سنذهب إلى بيت السيد بوارو معاً ونطلع صديقنا البلجيكي على آخر الأخبار.

– نعم، يجدر بنا ذلك. وحتى لو كان مخبولاً قليلاً فإن إشارته تلك لموضوع البصمات كانت مفيدة. لديه هاجس معين بخصوص الشاب كنت، ولكن من يدري؟ ربما كان خلف ذلك شيء مفيد.

استقبلنا بوارو بابتسامته المعهودة اللطيفة. أصغى إلى المعلومة التي أحضرناها له وهو يومئ برأسه من وقت لآخر. ثم قال المفتش عابساً: لا غبار على هذه القصة، أليس كذلك؟ لا يمكن لامرئ أن يقتل شخصاً في مكان وهو يتناول الشراب في حانة تبعد ميلاً عن ذلك المكان.

– هل ستطلق سراحه؟

– لا أرى لدينا خياراً آخر. لا نستطيع حجزه لحصوله على نقود بناء على مزاعم وهمية؛ لا نستطيع إثبات هذا الأمر.

ألقى المفتش عود ثقاب في المدفأة باستياء، فرفعه بوارو ووضعه في وعاء مخصص لهذا الغرض. كانت حركته تلك حركة آلية تماماً، وقد رأيت أنه يفكر في أمر مختلف كل الاختلاف. وأخيراً قال: لو كنت مكانك لما أطلقت سراح تشارلز كنت الآن.

– ماذا تعني؟

حدق به راغلان، فقال بوارو: أعني ما أقوله؛ ما كنت لأطلق سراحه في الوقت الحاضر.

– هل تعتقد أن له علاقة بالجريمة؟

– ربما لا تكون له بالجريمة أي علاقة فيما أرى، لكننا لم نستطع التأكد بعد.

– ولكن ألم أخبرك الآن...؟

رفع بوارو يده محتجاً وقال: نعم، نعم، سمعت. لست أصمّ أو غبياً والحمد لله! ولكنك تقترب إلى الأمر بمقدمات خاطئة... خاطئة.

حدق فيه المفتش بحدة وقال: لست أفهم كيف ترى الأمور. اسمعني، إننا نعرف أن السيد أكرويد كان حياً في العاشرة إلا ربعاً. أنت توافقني على هذا، أليس كذلك؟

نظر بوارو إليه لحظة، ثم هز رأسه بابتسامة سريعة وقال: لا أوافق على شيء لم يتم... إثباته!

– لدينا إثبات كاف على ذلك؛ لدينا شهادة الآنسة فلورا.

– بقولها إنها قالت لعمها طابت ليلتك؟ لكني لا أصدق دائماً ما تقوله لي فتاة شابة. نعم، حتى لو كانت فاتنة وجميلة.

– ولكن تباً يا رجل! لقد رآها باركر تخرج من الباب.

ارتفع صوت بوارو بحدة مفاجئة وقال: لا؛ هذا –بالذات– ما لم يره باركر. لقد جربت ذلك بنفسي عندما قمت بالأمس بتجربة صغيرة. أتذكر ذلك يا دكتور؟ رآها باركر خارج الباب ويدها على المقبض، ولكنه لم يرها وهي تخرج من المكتب.

- ولكن... أين عساها كانت إن لم تكن في المكتب؟

- ربما كانت على الدرج.

- الدرج؟

- نعم، هذه هي فكرتي الصغيرة.

- لكن ذلك الدرج لا يؤدي إلا إلى غرفة نوم السيد أكرويد.

- بالضبط.

مضى المفتش يحدق فيه ثم قال: أترى أنها صعدت إلى غرفة نوم عمها؟ حسناً، ولم لا؟ ولماذا عساها تكذب في هذا الأمر؟

- آه! هذا هو السؤال. هذا يعتمد على ما كانت تفعله هناك، أليس كذلك؟

- تقصد... النقود؟ تباً! لا أظنك تلمّح إلى أن الآنسة فلورا هي التي أخذت الأربعين جنيهاً؟

- أنا لا ألمّح إلى شيء، لكنني سأذكّرك بهذا: لم تكن الحياة سهلة للأم وابنتها. كانت هناك فواتير ومشكلات مستمرة على مبالغ صغيرة من المال، وكان روجر أكرويد غريب الأطوار فيما يتعلق بالمال. ربما كانت الفتاة في حاجة ماسة إلى مبلغ صغير من النقود. تصور بعقلك ماذا سيحدث: أخذت النقود ونزلت الدرج الصغير، وعندما صارت في وسطه سمعت أصوات الكؤوس من الصالة. لم يكن لديها شك في معنى هذه الأصوات؛ فقد عرفت أن باركر قادم إلى المكتب.

كان يجب ألاّ يراها على الدرج بأي ثمن؛ فباركر لن ينسى ذلك لأنه سيرى الأمر غريباً، وعندما يُفتقد المبلغ فإن من المؤكد أن يتذكر؛ سيتذكر -بالتأكيد- أنه رآها وهي تهبط ذاك الدرج. لم يكن لديها من الوقت إلا ما تهرع به إلى باب المكتب وتضع يدها على المقبض لتظهر له أنها خارجة من الغرفة لتوها عندما وصل باركر إليها. وقد قالت أول شيء خطر ببالها، وهو تكرار أوامر روجر أكرويد التي قالها في وقت سابق من تلك الليلة. ثم صعدت إلى غرفتها.

ألحّ المفتش قائلاً: نعم، ولكن لا بد أنها أدركت -لاحقاً- الأهمية الكبيرة لقول الحقيقة؛ فالقضية كلها تعتمد على هذا الأمر!

قال بوارو بجفاء: فيما بعد أصبح الأمر صعباً بالنسبة للآنسة فلورا. قيل لها -ببساطة- إن الشرطة موجودون في البيت وإن سرقة قد وقعت، وكان طبيعياً أن تقفز إلى نتيجة مفادها أنهم قد اكتشفوا أمر سرقتها. لم يكن لها إلاّ أن تصرّ على قصتها، وعندما علمت أن عمها مقتول أصيبت بنوبة من الذعر وأغمي عليها. الفتيات لا يغمى عليهن هذه الأيام -أيها السادة- دون محفز شديد الأهمية. حسناً، هذا ما حدث. كان عليها أن تصرّ على قصتها أو تعترف بكل شيء، ولكن فتاة شابة جميلة لا تحب الاعتراف بأنها سارقة... وخصوصاً أمام مَن تحرص على كسب احترامهم وتقديرهم.

ضرب راغلان بقبضته على الطاولة وقال: لن أصدق هذا. لا يمكن... لا يمكن تصديق هذا. هل كنت تعرف هذا من البداية؟

- كان هذا الاحتمال موجوداً في ذهني من البداية. كنت دائم الاقتناع بأن الآنسة فلورا كانت تكتم عنّا شيئاً، وحتى أقنع نفسي قمت

بالتجربة الصغيرة التي أخبرتك عنها، وقد رافقني الدكتور شبارد وقتها.

قلت بمرارة: ولكنك قلت إنها كانت اختباراً لباركر.

قال بوارو معتذراً: أخبرتك وقتها -يا صديقي- إن المرء لا بد له من أن يقول شيئاً.

نهض المفتش وقال: يوجد شيء واحد لحسم هذا الأمر... لا بد أن نسأل الفتاة على الفورا هل ستأتي معي يا سيد بوارو؟

- بالتأكيد، وسيأخذنا الدكتور شبارد بسيارته.

أجبتهما طائعاً، وعندما سألنا عن الآنسة أكرويد أرشدونا إلى غرفة البلياردو. كانت فلورا تجلس على مقعد طويل تحت النافذة مع الميجر هكتور بلانت.

قال المفتش: صباح الخير آنسة أكرويد. هل يمكننا الحديث معك على انفراد؟

نهض بلانت على الفور وتحرك نحو الباب، فسألت فلورا بعصبية: "ما الأمر؟ لا تذهب يا ميجر بلانت". ثم التفتت إلى المفتش وقالت: ألا يمكنه البقاء؟

قال المفتش بجفاء: كما تشائين. توجد مسألة من واجبي إبلاغك بها يا آنسة، لكني أفضل أن يكون ذلك على انفراد، وأظن أنك ستفضلين ذلك أيضاً.

نظرت فلورا إليه بإمعان ورأيت وجهها يشحب، ثم التفتت

وخاطبت بلانت: أريدك أن تبقى... أرجوك. نعم، أنا أعني ما أقول. مهما كان ما سيقوله المفتش لي فإنني أفضل أن تسمعه.

رفع راغلان كتفيه بعدم اكتراث وقال: إن كنت تريدين ذلك فالأمر لك. والآن يا آنسة أكرويد، لقد أوحى السيد بوارو إليّ بأمر معين. إنه يرى أنك لم تدخلي المكتب ليلة الجمعة الماضية على الإطلاق، وأنك لم تشاهدي السيد أكرويد لتودّعيه تلك الليلة، وأنك بدلاً من أن تكوني في المكتب كنت على الدرج الذي يؤدي إلى غرفة نوم عمك عندما سمعت باركر قادماً من الصالة.

انتقلت نظرات فلورا إلى بوارو فأومأ لها برأسه وقال: يا آنسة، بالأمس، عندما جلسنا حول الطاولة، ناشدتكم أن تكونوا صادقين معي. إن ما لا يقوله المرء لبوارو العجوز يستطيع كشفه بنفسه. هذا صحيح، أليس كذلك؟ سوف أسهّل عليك الأمر. أنت أخذت النقود، أليس كذلك؟

قال بلانت بحدة: النقود؟

ساد الصمت لفترة لا تقل عن دقيقة كاملة، ثم استجمعت فلورا نفسها وقالت: السيد بوارو على حق؛ أنا أخذت تلك النقود، أنا سرقتها. إنني سارقة... نعم، سارقة عادية مبتذلة! إنكم تعرفون الآن، وأنا سعيدة لانكشاف الأمر؛ فقد كانت الأيام القليلة الماضية كابوساً بالنسبة لي!

جلست فجأة وغطت وجهها بيديها، وتكلمت بصوت أجش خرج من بين أصابعها: لا تعرفون كيف كانت حياتي منذ أن جئت إلى

هنا. لا تعرفون حاجتي للأشياء وكذبي وخداعي، وتأخري في دفع الفواتير. آه، إنني أكره نفسي عندما أفكر في هذا كله! هذا ما جمعنا معاً أنا ورالف، كلانا كان ضعيفاً! لقد فهمته وكنت حزينة لأنني ضعيفة مثله في داخلي. لم نكن قويين بما فيه الكفاية ليحتمل كل واحد منا منفرداً. إننا مخلوقان ضعيفان بائسان وضيعان.

نظرتْ إلى بلانت، وفجأة ضربت الأرض بقدمها وقالت: لِمَ تنظر إليّ هكذا وكأنك لا تصدق؟ قد أكون سارقة، لكنني الآن على حقيقتي على أية حال. إنني لم أعد أكذب الآن... لا أتظاهر بأنني الفتاة التي تعجبك، شابة وبريئة وبسيطة. لا أهتم إن كنت لا تريد رؤيتي ثانية. إنني أكره نفسي... أحتقر نفسي... ولكن يجب أن تصدّق شيئاً واحداً، لو كان قول الحقيقة في صالح رالف لكنت قلتها، لكني -منذ البداية- كنت أرى أن قول الحقيقة لن ينفع رالف في شيء، بل على العكس، سيزيد موقفه حرجاً على حرج. لم أكن أسبب له أي أذى بتمسكي بكذبتي.

قال بلانت: رالف؟ نعم، دائماً رالف.

قالت فلورا يائسة: أنت لا تفهم... ولن تفهم أبداً.

التفتت إلى المفتش وقالت: أعترف بكل شيء. لقد أفقدتني الحاجة إلى المال صوابي. لم أرَ عمي أبداً في تلك الليلة بعد أن ترك طاولة العشاء، وبالنسبة للنقود يمكنك اتخاذ الإجراءات التي تريدها؛ فلا شيء يمكن أن يكون أسوأ من حالي الآن.

وفجأة انهارت مرة أخرى وخبأت وجهها بيديها واندفعت خارج الغرفة.

قال المفتش بنبرة هادئة: حسناً، هذا إذن ما حدث.

بدا تائهاً لا يعرف ماذا يفعل بعدها، ثم تقدم بلانت وقال بهدوء: مفتش راغلان، ذلك المال أعطاه لي السيد أكرويد لغرض خاص ولم تلمسه الآنسة أكرويد أبداً. كانت تكذب عندما قالت إنها أخذته، وذلك حتى تتستر على الكابتن باتون. الحقيقة كما قلتها، وأنا على استعداد للوقوف أمام المحكمة والقسم على ذلك.

ثم انحنى للمفتش وخرج من الغرفة مسرعاً، فلحق به بوارو بسرعة وأدركه في الصالة وناداه: يا سيدي، لحظة واحدة أرجوك.

- حسناً يا سيدي؟

بدا واضحاً أن بلانت كان نافد الصبر. وقف ينظر إلى بوارو عابساً فعاجله بوارو قائلاً: أريد أن أقول إن تمثيليتك الصغيرة لم تخدعني. الصحيح أن الآنسة فلورا هي التي أخذت النقود، ومع ذلك فإن ما تقوله يدل على مبادرة رائعة. إنه يسعدني. إن ما فعلته جيد، فأنت رجل سريع التفكير سريع التصرف.

قال بلانت ببرود: لست حريصاً على سماع رأيك أبداً. شكراً لك.

حاول أن يمضي، لكن بوراو أمسك به من ذراعه وقال: آه، ولكن يجب أن تصغي إلي؛ فلدي المزيد من الكلام. أمس تكلمتُ عن إخفاء المعلومات، وكنت أرى منذ البداية ما تخفيه. أنت تحب الآنسة فلورا من كل قلبك من أول لحظة رأيتها فيها، أليس كذلك؟ آه! دعنا لا نتحرج من قول هذه الأشياء. لماذا يرى المرء في إنكلترا في ذكر

الحب أمراً شائناً ينبغي إخفاؤه؟ أنت تحب الآنسة فلورا، ولكنك تسعى لإخفاء هذه الحقيقة عن الجميع. هذا جيد إن كنت تفضل ذلك، ولكن خذ بنصيحة هيركيول بوارو: لا تُخفِ ذلك عن الآنسة نفسها.

كان بلانت قد أظهر كثيراً من علامات الضيق والتململ عندما كان بوارو يتحدث، لكن الكلمات الأخيرة استرعت انتباهه كما يبدو. قال بحدة: ماذا تقصد بهذا؟

- أنت تعتقد أنها تحب الكابتن باتون. ولكني أنا، هيركيول بوارو، أقول لك إن هذا ليس صحيحاً. لقد رضيت الآنسة فلورا بالكابتن باتون إرضاء لعمها ولأنها رأت في الزواج طريقاً للهروب من حياتها هنا التي أصبحت لا تطاق. لقد أعجبها وكان بينهما الكثير من التعاطف والتفاهم، أما الحب؟ فلا! إن الذي تحبه الآنسة فلورا ليس الكابتن باتون.

سأله بلانت: ماذا تقصد بالله عليك؟

رأيت حمرة الخجل تحت سحنته السمراء المسفوعة. قال له بوارو: لقد كنتَ أعمى يا سيدي، أعمى! كل ما في الأمر أن الطفلة وفية، ولأن رالف باتون في ورطة فقد دفعتها دواعي الشرف لأن تقف معه.

أحسست أن الوقت قد حان لقول كلمة تساعد في هذا الجهد الطيب فقلت من باب التشجيع: أخبرتني أختي في الليلة الماضية أن فلورا لم تهتم أبداً برالف باتون، ولن تهتم أبداً به. وأختي دائماً على صواب في هذه الأمور.

تجاهل بلانت مساعيّ الخيرة وقال يخاطب بوارو: هل ترى حقاً...؟

ثم سكت دون أن يكمل.

كان بلانت من الرجال الذين يعجزون عن الإفصاح عن مشاعرهم بالكلمات، أما بوارو فقد كان أبعد ما يكون عن مثل هذا العجز. قال: إن كنتَ تشك فيّ فاسألها بنفسك يا سيدي، لكنك ربما لم تعد مهتماً... بسبب مسألة النقود.

أخرج بلانت صوتاً كالضحكة الغاضبة وقال: أتعتقد أن ذلك يدفعني لبغضها؟ كان روجر دائماً غريباً فيما يتعلق بالمال، فوقعت في ورطة ولم تجرؤ على إخباره. المسكينة، طفلة مسكينة وحيدة.

نظر بوارو إلى الباب الجانبي بإشارة تفهّم وتمتم قائلاً: أعتقد أن الآنسة فلورا قد ذهبت إلى الحديقة.

قال بلانت: كنت مغفلاً في كل شيء. كنا نتحدث في كل الأمور السخيفة طوال الوقت، ولكنك رجل راجح العقل يا سيد بوارو. شكراً لك.

أمسك بيد بوارو وضغط عليها بقوة جعلت الآخر يغمز بجفنيه ألماً، ثم ذهب إلى الباب الجانبي وخرج إلى الحديقة.

تمتم بوارو وهو يفرك يده: لم يكن مغفلاً في كل شيء. إنه مغفل في جانب واحد فقط... مغفل الحب.

* * *

الفصل العشرون

الآنسة راسل

لقد تلقى المفتش راغلان ضربة موجعة، ولم تخدعه هو أيضاً كذبة بلانت وشهامته. وفي طريق عودتنا إلى القرية ظل يشكو ويتذمر طوال الوقت وقال: هذا يغير كل شيء. لا أعرف إن كنتَ قد أدركت ذلك يا سيد بوارو؟

قال بوارو: أظن ذلك. نعم، أظن ذلك؛ فقد كانت الفكرة في رأسي منذ وقت طويل.

أما المفتش راغلان (الذي لم ينتبه إلى هذه الفكرة إلاّ قبل نصف ساعة فقط) فقد نظر إلى بوارو حزيناً وتابع اكتشافاته: تلك الدلائل على غياب أهل البيت عن مسرح الجريمة... كلها أصبحت عديمة الفائدة، لا فائدة منها على الإطلاق! علينا أن نبدأ من جديد. نريد أن نعرف ماذا كان يفعل كل واحد ابتداء من الساعة التاسعة والنصف. التاسعة والنصف، هذا هو الوقت الذي سنركز عليه. كنتَ محقاً بخصوص الشاب كنت؛ لن نطلق سراحه لفترة. دعني أفكر، لقد كان في الحانة في العاشرة إلا ربعاً، وهو يستطيع الوصول إليها ركضاً في

ربع ساعة. يحتمل أن يكون هو صاحب الصوت الذي سمعه ريموند يتحدث مع السيد أكرويد ويطلب منه نقوداً. ولكن يبقى أمر واحد واضح؛ لم يكن هو الذي اتصل بالهاتف؛ فالمحطة تبعد نصف ميل في الاتجاه الآخر، أي أكثر من ميل ونصف عن الحانة التي كان فيها، وهو كان موجوداً في الحانة حتى الساعة العاشرة وعشر دقائق. تباً لتلك المكالمة الهاتفية! إنها تقفز في وجهنا في كل مرة.

وافقه بوارو: نعم، صحيح؛ إنها غريبة.

– من المحتمل أن يكون الكابتن باتون قد تسلق ودخل غرفة عمه فوجده مقتولاً هناك فأجرى تلك المكالمة. أصابه الرعب، وظن أنه سيتّهم ولذلك هرب. هذا محتمل، أليس كذلك؟

– ولماذا يتصل؟

– ربما شك في كون أكرويد ميتاً حقاً، فأراد إحضار الطبيب إلى هناك في أسرع وقت ممكن دون الكشف عن نفسه. نعم، ما رأيك بهذه النظرية؟ أعتقد أن فيها ما يستحق الاهتمام.

نفخ المفتش صدره بغرور. كان واضحاً أنه مسرور من نفسه إلى درجة تجعل أية كلمة نقولها تبدو عديمة الفائدة.

وصلنا إلى بيتي في ذلك الوقت وأسرعت إلى عيادتي التي كانت تغص بالمرضى الذين كانوا في انتظاري منذ وقت طويل، تاركا بوارو يذهب إلى قسم الشرطة مشياً على الأقدام مع المفتش.

بعد أن فرغت من آخر مريض ذهبت إلى الغرفة الصغيرة وراء

البيت التي أسميها ورشتي. أنا فخور بجهاز اللاسلكي الذي صنعته في بيتي، أما كارولين فقد كانت تكره ورشتي هذه، وقد احتفظتُ بعدتي وأدواتي فيها ولم أكن أسمح لأني فإفساد فوضى تلك الغرفة بفرشاتها ومكنستها. كنت أعدّل محرك ساعة المنبه التي اشتكى أهل البيت من دقتها عندما فتحت كارولين الباب وأطلت برأسها، قالت باستياء شديد: آه! أنت هنا يا جيمس؟ السيد بوارو يريد رؤيتك.

قلت وقد غضبت من دخولها المفاجئ الذي أجفلني وجعلني أسقط قطعة بالغة الصغر من أجزاء المحرك: حسناً، إن كان يريد رؤيتي فيمكنه أن يأتي إلى هنا.

– هنا؟

– هذا ما قلته، هنا.

تأففت كارولين وخرجت مستاءة، ثم عادت بعد قليل وهي تشير إلى بوارو بالدخول، ثم خرجت وأغلقت الباب بقوة.

قال بوارو وهو يتقدم نحوي ويفرك يديه: آها، إنك لم تستطع التخلص مني بهذه السهولة!

– هل فرغت من المفتش؟

– في الوقت الحالي، نعم. وأنت، هل انتهيت من جميع المرضى؟

– نعم.

جلس بوارو ونظر إلي وهو يميل برأسه البيضاوي إلى جانب

واحد وكأنه يستمتع بنكتة رائعة، وأخيراً قال: أنت مخطئ؛ ما زال لديك مرض واحد لم تره.

قلت مدهوشاً: أرجو أن لا تكون أنت؟

– آه، ليس أنا بالطبع؛ إن صحتي ممتازة. الحقيقة أنها مؤامرة صغيرة مني. أريد رؤية شخص وفي نفس الوقت ليس من الضروري أن تعرف القرية كلها بالأمر، وهو ما سيحدث لو أن المرأة شوهدت وهي تدخل بيتي... لأنها امرأة. ولكنها جاءت إليك من قبل بصفتها مريضة.

صحت: الآنسة راسل!

– بالضبط. أرغب في الحديث معها، ولذلك أرسلت إليها رسالة صغيرة وحددت الموعد معها في عيادتك. هل أنت متضايق مني لذلك؟

– على العكس. هذا إن كان مسموحاً لي حضور اللقاء؟

– بالطبع، إنه سيتم في عيادتك.

قلت وأنا ألقي الكماشة على الطاولة: إنه أمر يأسر المرء بصورة غريبة. كل تطور جديد يظهر يقلب كل القناعات رأساً على عقب، فالأمور تتغير كلياً كل يوم. والآن، لماذا أنت مهتم كثيراً برؤية الآنسة راسل؟

رفع بوارو حاجبيه وقال: لأمر واضح بالتأكيد؟

قلت متذمراً: ها قد عدت إلى عادتك من جديد. كل شيء

واضح بالنسبة إليك، ولكنك تتركني أضرب أخماساً في أسداس.

هز بوارو رأسه بلطف وقال: لا شك أنك تسخر مني. خذ موضوع الآنسة فلورا مثلاً. لقد فوجئ المفتش بأمرها، أما أنت فلم تُفاجأ.

عارضته بقوة: لم أحلم بأن تكون هي السارقة أبداً.

– في هذه النقطة ربما... لكني كنت أراقب وجهك فوجدت أنك لم تبدُ مشدوهاً أو غيرَ مصدق كما حدث مع المفتش راغلان.

فكرت قليلاً ثم قلت: ربما كنتَ على حق؛ فقد شعرت –منذ البداية– بأن فلورا تخفي شيئاً، ولذلك عندما ظهرت الحقيقة كانت متوقَّعة في عقلي الباطن. لقد أحرجت المفتش راغلان المسكين إحراجاً شديداً.

– آه، بالطبع! يجب أن يعيد هذا المسكين ترتيب أفكاره كلها. وقد استفدت من تشوشه الذهني في إقناعه بتقديم خدمة صغيرة لي.

– وما هي؟

أخرج بوارو ورقة من جيبه عليها بعض الكلمات وقرأها بصوت مرتفع:

كان الشرطة يبحثون منذ أيام عن الكابتن رالف باتون، قريب السيد أكرويد الذي توفي في ظروف مأساوية يوم الجمعة الماضي، وقد عُثر على الكابتن باتون في ليفربول وهو يهم بالمغادرة إلى أميركا عن طريق البحر.

طوى الورقة ثانية وقال: سيظهر هذا الخبر في صحف صباح الغد يا صديقي.

حدقت به مصعوقاً وقلت: ولكن... ولكن هذا غير صحيح! إنه ليس في ليفربول!

ابتسم بوارو في وجهي وقال: أنت سريع الذكاء! نعم، لم يُعثر عليه في ليفربول. عارض المفتش راغلان كثيرا إرسال هذا الخبر إلى الصحافة، وخصوصاً أنني لم أستطع إطلاعه على الهدف من ذلك. لكني أكدت له بكل حزم أن نتائج مثيرة ستعقب نشر هذا الخبر في الصحف، ولذلك وافق بعد أن اشترط عدم تحمله أية مسؤولية مهما كانت.

حدقت في بوارو فابتسم لي، وأخيراً قلت: لا أدري ماذا تتوقع أن تجد من وراء هذا.

– يجب أن تستخدم خلايا دماغك الرمادية الصغيرة.

نهض وجاء إلى الطاولة، وقال بعد أن تفحص أدواتي المبعثرة: يبدو أنك تحب العمل في الآلات حقاً.

لكل إنسان هوايته، وعلى الفور لفتّ انتباه بوارو إلى جهاز اللاسلكي الذي صنعته في البيت. وعندما وجدته متجاوباً معي عرضت عليه بعض مبكراتي الخاصة. لم تكن مبتكرات ذات قيمة تذكر، ولكنها مفيدة في البيت.

قال بوارو: كان يجب أن تكون مخترعاً وليس طبيباً بالتأكيد.

إنني أسمع الجرس... هذه مريضتك. هيّا تذهب إلى العيادة.

لقد أثارت انتباهي -من قبل- الآثار الباقية من الجمال في وجه مدبرة المنزل، وقد أثارت تلك الآثار انتباهي مرة أخرى هذا الصباح. كانت تلبس ثوباً أسود بسيطاً، بقامتها الطويلة الممشوقة، وشخصيتها المستقلة، وعينيها السوداوين الواسعتين، ووجنتيها المتوردتين على غير عادتهما. جعلني ذلك كله أدرك أنها كانت في صباها بالغة الجمال دون شك.

قال بوارو: صباح الخير يا آنسة. هلاّ جلست؟ لقد تكرم عليّ الدكتور شبارد وسمح لي باستخدام عيادته للحديث معك.

جلست الآنسة راسل بهدوئها المعتاد، ولئن كانت تحس بأي انفعال داخلي فإن ذلك لم يظهر أبداً على قسماتها. قالت: اسمح لي أن أقول إن ما قمتَ به يبدو أسلوباً غريباً.

قال بوارو: آنسة راسل، لدي أخبار لك.

- حقاً؟

- لقد تم اعتقال تشارلز كنت في ليفربول.

لم تتحرك عضلة واحدة في وجهها، بل اكتفت بأن فتحت عينيها أوسع قليلاً وسألت وفي نبرتها أثر من التحدي: حسناً، وماذا في هذا الأمر؟

في تلك اللحظة أدركت الحقيقة، الشبه الذي ظل يحيرني منذ البداية. شيء مألوف في ذلك التحدي الذي بدا في سلوك تشارلز

كنت، والصوتان... أحدهما غليظ أجش والآخر أنثوي حزين، لكن جَرْسهما واحد بشكل غريب. إذن فذلك الصوت الذي سمعته خارج بوابة فيرنلي بارك ليلة الجريمة إنما ذكرني بالآنسة راسل لاشعورياً.

نظرتُ إلى بوارو ذاهلاً من اكتشافي هذا فأومأ إلي إيماءة غامضة، وجواباً على سؤال الآنسة راسل رفع يديه في الهواء وقال بهدوء: ظننت أن هذا قد يثير اهتمامك، هذا كل ما في الأمر.

- إنه لا يهمني. مَن يكون تشارلز كنت هذا على كل حال؟

- إنه -يا آنسة- رجل كان موجوداً في فيرنلي ليلة وقوع الجريمة.

- حقاً؟

- ولكنه يملك، لحسن حظه، دليل غياب عن مسرح الجريمة وقت وقوعها؛ ففي العاشرة إلاّ ربعاً كان في حانة تبعد ميلاً عن هذا المكان.

- هذا من حسن حظه.

- لكننا ما زلنا لا نعرف ماذا كان يفعل في فيرنلي... مَن الذي قابله هناك على سبيل المثال؟

قالت المرأة بأدب: أخشى أن لا يكون باستطاعتي مساعدتك في ذلك؛ فلم أسمع شيئاً. إن كان هذا هو كل ما لديك...

أتت بحركة وكأنها تهم بالمغادرة، لكن بوارو أوقفها وقال

بهدوء: هذا ليس كل ما لدي؛ فلقد حدثت هذا الصباح تطورات جديدة، ويبدو الآن أن السيد أكرويد لم يُقتل في الساعة العاشرة إلاّ ربعاً ولكن قبل ذلك... بين التاسعة إلا عشر دقائق (عندما غادر الدكتور شبارد مكتبه) والعاشرة إلاّ ربعاً.

رأيت الحمرة تتلاشى عن وجه المرأة لتتركه شاحباً. مالت إلى الأمام وقالت وهي تتمايل: لكن الآنسة أكرويد قالت... الآنسة أكرويد قالت...

- اعترفت الآنسة أكرويد بأنها كانت تكذب؛ وهي لم تدخل إلى المكتب في تلك الليلة على الإطلاق.

- إذن...

- إذن يبدو أن تشارلز كنت هو الرجل الذي نبحث عنه. جاء إلى فيرنلي ولا يستطيع أن يبرر سبب وجوده هناك.

- يمكنني أن أخبرك بما كان يفعله هناك. إنه لم يلمس شعرة من جسد السيد أكرويد... لم يقترب من المكتب أبداً، ولم يقتله.

كانت تميل بجسدها إلى الأمام. انكسرت أخيراً رباطة الجأش الشديدة تلك، وبدا الرعب واليأس على وجهها وهي تتوسل: سيد بوارو، سيد بوارو! صدقني.

نهض بوارو وجاء إليها فربّت على كتفها لطمأنتها وقال: نعم، نعم، سأصدقك. لقد اضطررت لحملك على الكلام.

ظهر الشك في قسماتها للحظة وقالت: هل ما قلته صحيح؟

- أن تشارلز كنْت مشتبه فيه بارتكاب الجريمة؟ نعم، هذا صحيح، وأنت وحدك تستطيعين إنقاذه بإخبارنا عن سبب وجوده في فيرنلي.

تكلمت بصوت منخفض وسريع: جاء لرؤيتي فخرجت للقائه...

- في البيت الصيفي. نعم، أعرف هذا.

- وكيف عرفت؟

- يا آنسة، إن معرفة الأشياء هي عمل هيركيول بوارو. أعرف أنك خرجت في وقت سابق من تلك الأمسية، وأنك تركت رسالة في البيت الصيفي تحددين فيها في أية ساعة ستكونين هناك.

- نعم، فعلت. كنت قد علمت منه بأنه قادم، ولم أجرؤ على السماح له بالمجيء إلى البيت. كتبت إلى العنوان الذي أعطاني إياه قائلة إنني سأقابله في البيت الصيفي ووصفت له مكانه حتى يجده بسهولة، ثم خشيت ألاّ يصبر بانتظاري، فخرجت وتركت له ورقة هناك أقول له فيها إنني سأكون عنده الساعة التاسعة وعشر دقائق تقريباً. ولم أرغب في أن يراني الخدم ولذلك تسللت من الباب الزجاجي لغرفة الاستقبال، وعندما عدت التقيت بالدكتور شبارد وتخيلت أنه سيرى الأمر غريباً. كنت لاهثة لأنني كنت أجري، ولم أكن أعرف أنه مدعو على العشاء تلك الليلة.

سكتت فقال بوارو: أكملي، خرجتِ للقائه في الساعة التاسعة وعشر دقائق. ماذا قلتما لبعضكما البعض؟

- الأمر صعب، فكما ترى...

قاطعها بوارو قائلاً: لا بد أن أعرف الحقيقة كلها في هذه المسألة يا آنسة. إن ما تقولينه لنا لن يخرج من هذه الغرفة أبداً؛ فالدكتور شبارد سيتكتم على الأمر وكذلك أنا، وسوف أساعدك. إن تشارلز كنت هذا هو ابنك، أليس كذلك؟

أومأتْ بالإيجاب وقد احمرَّ وجهها وقالت: لم يعرف أحد بذلك أبداً. كان ذلك منذ زمن بعيد... بعيد، في كِنْت. لم أكن متزوجة...

– ولذلك فقد أخذتِ اسم المقاطعة وجعلتِه اسماً له. لقد فهمت.

– حصلت على عمل واستطعت دفع تكاليف إقامته ومعيشته، ولم أخبره أبداً أنني أمه. لكنه نشأ نشأة سيئة فأصبح يشرب، ثم بدأ يتعاطى المخدرات. فدبرت له مصاريف سفره إلى كندا، ولم أسمع عن أخباره شيئاً مدة سنة أو اثنتين. ثم عرف –بطريقة أو بأخرى– أنني أمه، فكتب يطلب مني نقوداً، وفي النهاية جاءتني منه رسالة من هنا... من إنكلترا. قال إنه قادم ليراني في فيرنلي، ولم أجرؤ على السماح له بالمجيء إلى البيت؛ فقد كنت أُعتبَر دوماً امرأة محترمة، محترمة جداً، ولو علم أي شخص بالأمر فإنني سأفقد وظيفتي كمديرة منزل. لذلك كتبت له بالطريقة التي قلتها لك.

– وفي الصباح جئتِ لرؤية الدكتور شبارد؟

– نعم. تساءلت في نفسي إن كان من الممكن عمل شيء. لم يكن ولداً سيئاً قبل أن يدمن على المخدرات.

قال بوارو: فهمت، والآن نريد أن نكمل القصة. هل جاء تلك الليلة إلى البيت الصيفي؟

– نعم، كان ينتظرني عندما وصلت إلى هناك، وكان قاسياً سيء الخلق. كنت قد أحضرت كل النقود التي أملكها وأعطيتها له، وتحدثنا قليلاً ثم رحل.

– متى كان ذلك؟

– لا بد أنه كان بين التاسعة والثلث والتاسعة وخمس وعشرين دقيقة؛ فعندما عدت إلى البيت لم تكن الساعة قد بلغت التاسعة والنصف.

– من أي طريق ذهب؟

– خرج مباشرة من نفس الطريق الذي جاء منه، من الممشى الفرعي الذي يتفرع من عند البوابة.

أومأ بوارو وقال: وأنتِ، ماذا فعلتِ؟

– عدت إلى البيت. كان الميجر بلانت يتمشى على الشرفة ولذلك انعطفت إلى طريق آخر لأدخل من الباب الجانبي. كان ذلك في الساعة التاسعة والنصف كما قلت لك.

أومأ بوارو ثانية وكتب بعض الملاحظات في دفتره الصغير، ثم قال متأملاً: أظن أن هذا يكفي.

ترددتْ وهي تقول: أينبغي عليّ... أينبغي عليّ أن أقول هذا كله للمفتش راغلان؟

– قد يصل الأمر إلى هذا الحد، ولكن دعينا لا نتعجل الأمور؛

دعينا نتقدم ببطء بنظام ومنهجية. إن تشارلز كنت لم يُتّهم رسمياً بارتكاب الجريمة بعد، وقد تحدث ظروف تجعل من قصتك هذه غير ضرورية.

نهضت الآنسة راسل وقالت: شكراً لك كثيراً يا سيد بوارو. كنتَ لطيفاً جداً، لطيفاً جداً بالفعل. إنك تصدقني، أليس كذلك؟ تصدق أن تشارلز لا علاقة له بتلك الجريمة الأثيمة؟

– ما من شك في أن الرجل الذي كان يتحدث مع السيد أكرويد في المكتب في الساعة التاسعة والنصف لا يمكن أن يكون ابنك. تشجعي يا سيدتي؛ كل شيء سيسير على ما يرام.

ذهبت الآنسة راسل، وبقيت أنا وبوارو وحدنا. قلت له: هكذا إذن، في كل مرة نعود إلى رالف باتون. كيف استطعت أن تعرف أن الآنسة راسل هي الشخص الذي ذهب لمقابلة تشارلز كنت؟ هل لاحظت الشبه بينهما؟

– لقد ربطتها مع الرجل المجهول قبل وقت طويل من لقائنا به وجهاً لوجه، منذ أن عثرنا على تلك الريشة. كانت تدل على أن صاحبها مدمن، وتذكرت كلامك عن زيارة الآنسة راسل لك، ثم وجدت مقالاً عن الكوكائين في صحيفة ذلك اليوم. بدا كل شيء واضحاً. كانت قد تلقت رسالة من شخص ذلك الصباح، شخص مدمن على المخدرات، ثم قرأتْ المقال في الصحيفة فجاءت لتسألك بعض الأسئلة التجريبية. ذكرت الكوكائين لأن موضوع المقال كان عن الكوكائين، ولما رأتك مهتماً كثيراً أسرعت لتغير الموضوع إلى الحديث عن الروايات البوليسية والسموم التي لا يمكن اكتشافها. لقد

شككتُ في وجود قريب سيء أو شقي لها، إمّا أخ أو ابن. آه، لا بد أن أذهب؛ إنه وقت الغداء.

قلت له: ابقَ وتناول الغداء معنا.

هز بوارو رأسه رافضاً، والتمعت عيناه قليلاً وهو يقول: لن أكرر ذلك اليوم. لا أحب إجبار الآنسة كارولين على اتّباع حمية الخضروات ليومين متتاليين.

ورأيت أن هيركيول بوارو قلما تخفى عليه خافية!

* * *

الفصل الحادي والعشرون

الخبر في الصحف

ظهر الخبر الذي أعده بوارو في صحيفتنا اليومية صباح اليوم التالي. لم أعرف غرضه منه، لكن تأثيره علىكارولين كان كبيراً.

بدأتْ تعليقها بالادعاء -كذباً- أنها قد قالت ذلك منذ البداية. رفعتُ حاجبيّ دهشةً لكني لم أجادلها، ولعل كارولين شعرت بوخز الضمير، فقد أكملت تقول: ربما لم أذكر ليفربول تحديداً، لكني كنت أعرف أنه سيحاول الهروب إلى أميركا. ولد مسكين... إذن فقد أمسكوا به؟ إنني أرى من واجبك العمل على إنقاذه من حبل المشنقة يا جيمس.

- ما الذي تتوقعين مني فعله؟

- أنت طبيب، ألست كذلك؟ وقد عرفته منذ أن كان غلاماً صغيراً. يمكنك القول إنه غير مسؤول عن أفعاله من الناحية العقلية، هذا أفضل حل. قرأت بالأمس أنهم سعداء جداً في مركز إصلاح المختلين عقلياً في برودمور. إنه أشبه بنادٍ من نوادي الطبقة الراقية.

لكنّ كلمات كارولين ذكّرتني بشيء، فقلت بدافع الفضول: لم أعرف أبداً أن لبوارو ابن أخ مختلاً؟

- حقاً؟ آه، لقد أخبرني عنه كل شيء. ولد مسكين! لقد أبقوه في البيت حتى الآن لكن حالته تدهورت إلى حدٍ يُخشى معه أن يضطروا إلى إرساله إلى إحدى الإصلاحيات.

قلت بغيظ: أحسب أنك أصبحت تعرفين الآن كل ما يمكن معرفته عن عائلة بوارو.

أجابت برضا عن الذات: نعم، إلى حد بعيد. إنها لراحة كبرى ان يشعر الناس أن بوسعهم البوح بمتاعبهم لشخص ما.

- ربما، إذا ما سُمح لهم بالقيام بذلك من تلقاء أنفسهم، أما ارتياحهم لانتزاع الأسرار منهم بالقوة فتلك مسألة أخرى.

نظرتْ إليّ كارولين نظرة المظلوم الذي يستمتع بظلم الآخرين له ثم قالت: أنت منغلق جداً يا جيمس، وتكره الكلام أو البوح بأي معلومة، وتعتقد أن الآخرين يجب أن يكونوا مثلك. إني لأرجو أن لا أكون قد انتزعت سراً من أحد، فمثلاً لو جاء السيد بوارو عصر اليوم -كما وعد- فلن أتجرأ على سؤاله عن ذلك الذي وصل إلى بيته في وقت مبكر من صباح اليوم.

سألتها: صباح اليوم؟

- في وقت مبكر جداً... قبل مجيء موزع الحليب. صدف أنني كنت أنظر من النافذة... وكان القادم رجلاً يلف جسده بدثار وقد

جاء في سيارة. لم أستطع رؤية وجهه، لكني سأخبرك عن فكرتي وسترى أنني على حق.

– وما هي فكرتك؟

خفضت كارولين صوتها كمن يبوح بسر وقالت: إنه خبير من وزارة الداخلية.

قلت ذاهلاً: خبير من وزارة الداخلية؟ يا عزيزتي كارولين!

– تذكّرْ كلماتي يا جيمس، وستعرف أنني على حق. الآنسة راسل هذه جاءت هنا ذلك الصباح سعياً وراء السموم الموجودة عندك، وربما سُمّم طعام روجر أكرويد في تلك الليلة.

ضحكتُ ضحكة عالية وصحت: هراء! لقد طُعن في رقبته، تعرفين هذا كما أعرفه.

قالت كارولين: طُعن بعد موته يا جيمس، بهدف التضليل.

– لقد فحصت الجثة يا عزيزتي، وأعرف ما أتكلم عنه. ذلك الجرح لم يحدث بعد الوفاة بل كان سبباً لها. لا حاجة لأن تخطئي في ذلك.

لم تزد كارولين على أن واصلت التظاهر بعلمها بكل شيء، مما ضايقني كثيراً وجعلني أقول: هل لك أن تخبريني –يا عزيزتي– إن كنت أحمل شهادة في الطب أم لا؟

– أرى أنك تحمل شهادة في الطب يا جيمس، ولكن... أعني

أنني أعرف أن معك شهادة، لكنك لا تملك أي خيال مبدع.

– بعد أن وهبتك حصة كبيرة من ذلك الخيال لم يبق لي منه شيء!

استمتعت برؤية مناورات كارولين عصر ذلك اليوم حين وصل بوارو، فمن دون أن تسأل السؤال مباشرة التفّت على موضوع الزائر الغامض من كل الطرق التي يمكن تخيلها. ومن التماعة عيني بوارو عرفت أنه أدرك هدفها، لكنه ظل على كتمانه الهادئ وصدّ كل محاولاتها بنجاح، بحيث ظلت حائرة لا تدري كيف تتصرف.

وبعد أن استمتع بهذه اللعبة الصغيرة كما أظن، نهض وطلب أن نتمشى قليلاً قائلاً: أريد أن أنقص وزني قليلاً. هل تأتي معي يا دكتور؟ بعد ذلك يمكن أن نشرب الشاي من يدي الآنسة كارولين.

قالت كارولين مسرورة: ألن... ألن يأتي ضيفك أيضاً؟

قال بوارو: أنت في غاية اللطف. لا، إن صديقي يستريح في البيت، وستتعرفين عليه قريباً.

قالت كارولين باذلة محاولتها الأخيرة: إنه صديق قديم لك، كما أخبروني.

همس بوارو: أحقاً أخبروك؟ لا بد أن نخرج الآن.

قادتنا خطانا باتجاه فيرنلي. وقد خمّنت –مسبقاً– أن ذلك ما سيحدث. كنت قد بدأت أفهم أساليب بوارو، حيث كل التفاصيل الصغيرة التي لا صلة لها بالأمر تكون لها –في الواقع– صلة بالصورة

الإجمالية للقضية.

أخيراً قال بوارو: عندي لك مهمة يا صديقي، هذه الليلة في بيتي. أرغب في عقد اجتماع صغير. هل ستحضره؟

- بالتأكيد.

- جيد. أريد هؤلاء أيضاً في البيت: السيدة أكرويد، والآنسة فلورا، والميجر بلانت، والسيد ريموند. أريدك أن تكون سفيري. هذا الاجتماع الصغير سيكون في الساعة التاسعة؛ هل لك أن تطلب منهم المجيء؟

- بكل سرور، ولكن لماذا لا تطلب منهم بنفسك؟

- لأنهم سيسألون -عندها- عن غرضي من هذا الاجتماع، وكما تعرف يا صديقي، فإنني أكره أن أضطر لتوضيح أفكاري الصغيرة قبل أن يحين الوقت.

ابتسمت قليلاً فقال: صديقي هيستنغز، الذي أخبرتك عنه، اعتاد أن يصف كتماني بقوله إنني قوقعة بشرية، ولكنه لم يكن منصفاً؛ فأنا لا أحتفظ لنفسي بأية حقائق. الحقائق معروفة ولكن لكل امرئ تفسيره الخاص لها.

- متى تريدني أن أقوم بهذه المهمة؟

- الآن لو سمحت؛ إننا قريبان من البيت.

- ألن تدخل معي؟

- لا، سأتمشى قليلاً في الحديقة، وسألحق بك عند البوابة الخارجية بعد ربع ساعة.

أومأتُ برأسي وانطلقت إلى مهمتي، واتضح لي أن السيدة أكرويد هي الوحيدة من العائلة الموجودة في البيت، حيث كانت جالسة ترتشف فنجاناً من الشاي. استقبلتني بحرارة وقالت: أنا شاكرة لك -يا دكتور- لتوضيحك تلك المسألة الصغيرة للسيد بوارو. ولكن الحياة سلسلة متلاحقة من المشكلات. هل سمعت عن أمر فلورا؟

سألتها بحذر: ما هو الموضوع بالضبط؟

- هذه الخطوبة الجديدة... فلورا وهكتور بلانت. إنه ليس مناسباً لها -بالطبع- كما كان رالف باتون، ولكن السعادة أهم من كل شيء في نهاية الأمر. إن ما تحتاجه فلورا هو رجل يكبرها في السن، شخص موثوق يُعتمد عليه. وهكتور رجل مميز من هذه الناحية. هل رأيت خبر اعتقال رالف في صحيفة الصباح؟

- نعم، رأيته.

قالت السيدة أكرويد وقد أغلقت عينيها وارتعدت: أمر فظيع! كان جيوفري ريموند في حالة مخيفة، وقد اتصل بليفربول، لكنهم لم يخبروه شيئاً في مركز الشرطة هناك، والواقع أنهم قالوا إنهم لم يعتقلوا رالف، ويصرّ السيد ريموند على أن الأمر كله خطأ أو ما يسمونه خبراً مختلَقاً من الصحيفة. لقد منعت الجميع من ذكر الخبر على مسمع من الخدم؛ إنه عار فظيع. تخيّلْ لو أن فلورا كانت زوجته فعلاً.

أغلقت السيدة أكرويد عينيها متألمة، وبدأتُ أتساءل متى

سأستطيع إبلاغها بدعوة بوارو، وقبل أن يتاح لي الكلام شرعت السيدة أكرويد في الحديث من جديد: هل كنت هنا بالأمس مع ذلك المفتش الفظيع راغلان؟ إنه رجل قاس... أرعب فلورا وحملها على القول إنها أخذت النقود من غرفة المسكين روجر، والحق أن المسألة كانت بسيطة للغاية. لقد أرادت الطفلة المسكينة أن تقترض بضعة جنيهات، و لم تشأ إزعاج عمها لأنه أعطى أوامر صارمة بعدم دخول أحد عليه، ولكنها كانت تعلم أين كان يضع النقود فذهبت وأخذت ما كانت تحتاجه.

سألتها: هل هذه هي قصة فلورا حول الموضوع؟

– يا عزيزي الدكتور، أنت تعرف بنات اليوم؛ فهنّ يعملنَ وفق الإيحاء. أنت تعرف التنويم المغنطيسي وغير ذلك من الأمور. لقد صرخ المفتش في وجهها وكرر على مسامعها كلمة «سرقة» مرة تلو أخرى حتى وقعت تحت تأثيره فاعتقدت أنها سرقت النقود بالفعل، وقد عرفتُ أنا حقيقة الأمر على الفور. ولكن إن كان لسوء الفهم هذا أية فوائد فهي أنه جمع قلبي هذين الاثنين، أعني هكتور وفلورا، وأؤكد لك أنني كنت قلقة جداً على فلورا في الماضي، بل إنني حسبت –في وقت من الأوقات– أن تفاهماً من نوع ما سينشأ بينها وبين الشاب ريموند. تصور!

ارتفع صوت السيدة أكرويد مرتعشاً مستاء: سكرتير ليست له أية موارد مالية ذاتية!

قلت: كان من شأن ذلك أن يشكل ضربة شديدة لك. والآن يا سيدة أكرويد، لديّ لك رسالة من السيد هيركيول بوارو.

– لي أنا؟

بدت السيدة أكرويد خائفة تماماً فأسرعت لطمأنتها وشرحت لها ما أراده بوارو.

قالت بارتياب: بالتأكيد، أظن أننا يجب أن نأتي إن كان السيد بوارو يريد ذلك. ولكن ما الأمر؟ أودّ أن أعرف مسبقاً.

أكدتُ للسيدة –صادقاً– أنني لا أعرف أكثر مما تعرفه هي. وفي نهاية الأمر قالت متذمرة: حسناً، سأخبر الآخرين وسنكون هناك في الساعة التاسعة.

وبذلك غادرت المنزل والتقيت بوارو في المكان المتفق عليه. قلت: أخشى أنني تأخرت ربع ساعة، ولكن عندما تبدأ تلك السيدة الطيبة بالكلام يغدو من أصعب الأشياء التدخل بكلمة واحدة.

قال بوارو: لا يهم، كنت أستمتع برؤية هذه الحديقة الرائعة.

عدنا إلى البيت بسرعة، وحين وصلنا فتحت كارولين البابَ لنا فجأة وبدا واضحاً أنها كانت تنتظرنا بفارغ الصبر. وضعت إصبعها على شفتيها وكان وجهها يعج بالانفعال. قالت: أورسولا بورن، خادمة الاستقبال في فيرنلي. إنها هنا، وقد أخذتها إلى غرفة الطعام. إنها في حالة يُرثى لها، وتقول إن عليها أن ترى السيد بوارو لأمر مهم على الفور. فعلت ما بوسعي وأخذت لها كوباً من الشاي الحار. إن رؤية واحدة في مثل حالتها تثير شفقة المرء فعلاً.

سألها بوارو: في غرفة الطعام؟

قلت: "مِن هذا الطريق"، ثم فتحت الباب.

كانت أورسولا بورن جالسة قرب الطاولة وقد مدّت ذراعيها أمامها، وكان واضحاً أنها قد رفعت رأسها -لتوها- بعد أن كانت تدفنه بين يديها، وكانت عيناها محمرتين من البكاء. تمتمتُ قائلاً: أورسولا بورن؟

لكن بوارو تقدمني ومدّ يديه قائلاً: لا؛ لا أظن أنها أورسولا بورن. أليس كذلك يا طفلتي؟ إنها أورسولا باتون... زوجة رالف باتون.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

رواية أورسولا

نظرت الفتاة إلى بوارو صامتة لبعض الوقت، ثم انهارت تماماً وأومأت برأسها مرة واحدة ثم أجهشت بالبكاء.

دفعتني كارولين جانباً وطوقت الفتاة بذراعيها، ثم قالت وهي تربت على كتفها: اهدئي يا عزيزتي، سيكون الأمر على ما يرام... كل شيء سيكون على ما يرام.

كان يوجد الكثير من الرقة المدفونة في أعماق كارولين تحت أكوام الفضول والسعي خلف الفضائح، حتى أن كشف بوارو حقيقة الفتاة قد فقد إثارته لديها عند رؤيتها الفتاة حزينة.

رفعت أورسولا رأسها في الحال وكفكفت دموعها وقالت: إنه موقف ضعيف وسخيف من جانبي.

قال بوارو بلطف: لا، لا يا ابنتي. كلنا ندرك مبلغ التوتر الذي ساد في هذا الأسبوع الأخير.

قلت: لا بد أنها كانت محنة قاسية.

أكملت أورسولا: ثم تأتي أنت -يا سيد بوارو- لتقول إنك كنت تعلم بذلك. كيف عرفت؟ هل رالف هو الذي أخبرك؟

هز بوارو رأسه نافياً، فأكملت الفتاة تقول: أتعرف ما جاء بي إليك هذه الليلة؟ هذا.

أخرجت قطعة مطوية من صحيفة فعرفتُ أنها الخبر الذي أرسله بوارو إلى الصحيفة.

- الخبر يقول إنهم اعتقلوا رالف. لا فائدة من أي شيء إذن، لا حاجة لي بالتظاهر بعد الآن.

تمتم بوارو وهو يتفضل بالظهور بمظهر من يحس بالذنب: أخبار الصحف ليست صحيحة دائماً يا آنسة، ومع ذلك أعتقد أنك ستفعلين خيراً بتفريغ صدرك من همومه. ما نحتاجه الآن هو الحقيقة.

ترددت الفتاة وهي تنظر إليه نظرات ارتياب، فقال بوارو بلطف: أنت لا تثقين بي، ومع هذا فقد جئت إلى هنا بحثاً عني، أليس كذلك؟ لماذا؟

قالت الفتاة بصوت منخفض جداً: لأنني لا أعتقد أن رالف هو القاتل، وأعتقد أنك ذكي وسوف تكشف الحقيقة. كما أنني..

- نعم؟

- أرى أنك طيب.

أومأ بوارو عدة مرات وقال: هذا جيد، نعم، جيد. أصغي إلي؛ إنني أعتقد اعتقاداً جازماً أن زوجك بريء، لكن المسألة تسير سيراً سيئاً. إذا كنت تريدين مني إنقاذه فيجب أن أعرف كل شيء، حتى لو بدا لك أن ذلك سيثير الشبهة حوله أكثر من قبل.

قالت أورسولا: ما أوسع فهمك!

- إذن ستخبرينني بالقصة كلها، أليس كذلك؟ من البداية.

قالت كارولين وهي تزرع نفسها في كرسي مريح: آمل ألا تكونوا بصدد إخراجي. ما أريد أن أعرفه هو لماذا كانت هذه الفتاة تنتحل صفة الخادمة؟

سألتُها: تنتحل؟

- نعم، هذا ما قلته. لماذا فعلتِ هذا يا ابنتي؟ أمن أجل رهان ما؟

قالت أورسولا بجفاء: "بل من أجل العيش"، ثم تشجعت وبدأت تروي قصتها التي أكتبها الآن بكلماتي.

يبدو أن أورسولا كانت من عائلة أيرلندية محترمة مكونة من سبعة أفراد، وقد أصاب العائلة الفقر، وبعد وفاة الأب خرجت معظم بناته ليضربن في الأرض كسباً للعيش. وقد تزوجت كبراهنّ الكابتن فوليوت، وكانت هي التي رأيتها في ذاك الأحد، وقد فهمت الآن سبب ارتباكها وحرجها في ذلك الوقت. وقد عزمت أورسولا على كسب رزقها بنفسها، ولم تجذبها فكرة العمل جليسة أطفال (وهي المهنة الوحيدة المتوفرة لفتاة غير مدربة) وفضلت العمل كخادمة

استقبال، وقد زودتها أختها بوسائل التزكية اللازمة. وفي فيرنلي كانت أورسولا ناجحة في عملها، رغم انطوائها الذي أثار حولها بعض الملاحظات كما رأينا. وقد علقت على عملها هناك بقولها: "لقد استمتعت بالعمل، وكان عندي الكثير من الوقت أتفرغ فيه لنفسي". ثم جاء لقاؤها برالف باتون وعلاقة الحب التي انتهت بزواج سري، وقد أقنعها رالف بالزواج سراً رغم معارضتها لذلك. كان قد قال لها إن زوج أمه لن يرضى أبداً بزواجه بفتاة فقيرة، وقال إنه من الأفضل لهما الزواج سراً ثم إخباره بالأمر فيما بعد عندما تتهيأ ظروف أفضل.

وهكذا تم الزواج وأصبحت أورسولا بورن أورسولا باتون. وأعلن رالف أنه يعتزم تسديد ديونه والعثور على عمل، وبعدها، عندما يصبح في موقف يستطيع معه إعالتها دون الاعتماد على زوج أمه، يمكن لهما أن يبلّغاه بالأمر. ولكن فتح صفحة جديدة بالنسبة لأمثال رالف باتون أسهل نظرياً منه عملياً. كان يأمل أن يقنع زوج أمه (وهو لا يدري بزواجه) بأن يدفع ديونه ويوقفه على قدميه ثانية، لكن الكشف عن مبلغ الديون المترتبة على رالف أثار غضب روجر أكرويد بحيث رفض أن يدفع له أي شيء. ومرت بضعة شهور وعاد رالف إلى فيرنلي مرة أخرى، فأطلعه روجر أكرويد على رغبته دون مواربة. كان يرغب في أن يتزوج رالف بفلورا من كل قلبه، وقد صارح الشاب بهذا الأمر.

هنا ظهرت نقطة الضعف المتأصلة في رالف باتون. فكما هي عادته كان يتمسك بالحل السهل والفوري، وحسبما أمكنني استنتاجه فلم يظهر رالف أو فلورا أي ادعاء بالحب تجاه بعضهما البعض. كان الأمر أشبه بصفقة تجارية بالنسبة لكلا الطرفين؛ أملى روجر أكرويد عليهما أمنياته فوافقا عليها. قبلت فلورا فرصة الحرية والمال والأفق

الفسيح، أما رالف فكان يلعب لعبة مختلفة بالطبع. لكنه كان في ضائقة مالية شديدة، فتشبث بالفرصة التي سنحت له؛ إذ سيتم دفع ديونه ويمكنه أن يبدأ صفحة نظيفة من جديد. لم يكن من طبيعته تخيل المستقبل، ولكني أظن أنه رأى كيف أن خطوبته مع فلورا سيتم فسخها بعد انقضاء فترة قصيرة من الزمن. وقد اشترط هو وفلورا إبقاء خطوبتهما سراً في الوقت الحالي، وكان حريصاً على إخفاء هذا الأمر عن أورسولا؛ فقد أحس في داخله بأن طبيعتها وشخصيتها القوية الحازمة وكراهيتها الموروثة للنفاق لن تقبل بهذا الأسلوب.

ثم جاءت اللحظة الحرجة عندما قرر روجر أكرويد، وهو المهيمن دائماً، إعلان الخطوبة. لم يخبر رالف بأي شيء عن نيته، وإنما أخبر فلورا فقط، ولم تعارض فلورا بحكم لامبالاتها. وقد وقع الخبر على أورسولا كالصاعقة، فاستدعت رالف فجاء مسرعاً من المدينة، والتقيا في الغابة حيث سمعت كارولين طرفاً من الحديث الذي دار بينهما. ناشدها رالف البقاء صامتة لفترة قصيرة، لكن أورسولا عزمت، بالمقابل، على الخروج من تلك السرية وقالت إنها ستخبر السيد أكرويد بالحقيقة دون أي تأخير. وافترق الشاب وزوجته على خلاف.

أصرّتْ أورسولا على هدفها وطلبت مقابلة روجر أكرويد عصر ذلك اليوم وكشفت له الحقيقة. وكان لقاؤهما عاصفاً، وقد كان من شأن اللقاء أن يكون أكثر عصفاً لو لم يكن روجر أكرويد شديد الانشغال بمتاعبه الخاصة. ومع ذلك كان اللقاء سيئاً. لم يكن أكرويد من النوع الذي يغفر ما تعرض له من خداع، وتركز سخطه على رالف، لكن أورسولا نالت هي الأخرى حصتها لأنه اعتبرها فتاة حاولت عامدة «الإيقاع» بابن زوجته انتظاراً لما سيرثه من مال. وقد تبادل

الاثنان كلاماً لا يمكن غفرانه.

في نفس ذلك المساء التقت أورسولا برالف وفق موعد بينهما في البيت الصيفي الصغير، حيث تسللت خارج البيت من الباب الجانبي. وقد كان اللقاء بينهما مجرد تبادلٍ لكلمات التوبيخ واللوم. اتهم رالف أورسولا بتحطيم آماله تحطيماً لا يمكن إصلاحه لأنها كشفت زواجهما في وقت غير مناسب، وقد وبّختْ أورسولا رالف على نفاقه. وفي النهاية افترقا، وبعد ذلك بنصف ساعة -تقريباً- جاء اكتشاف جثة روجر أكرويد. ومنذ تلك الليلة لم ترَ أورسولا رالف ولم تسمع منه شيئاً.

ومع تكشّف القصة أدركتُ أكثر فأكثر سلسلة الحقائق الرهيبة التي انطوت عليها، إذ لو بقي أكرويد حياً لقام بتبديل وصيته دون شك. إنني أعرفه معرفة أستطيع معها أن أجزم بأن ذلك كان أول ما سيخطر بباله، ولكن وفاته جاءت في الوقت المناسب تماماً بالنسبة لرالف وأورسولا؛ فلا عجب -إذن- أن تمسك الفتاة لسانها وتقوم بدورها بكل ثبات وإصرار.

قطع بوارو بصوته حبل أفكاري، وعرفت من حدية ووقار نبرته أنه، هو أيضاً، كان يعي مضامين الموقف تماماً. خاطبها قائلاً: يا آنسة، لا بد لي من سؤالك سؤالاً واحداً، ويجب أن تجيبيني بصدق لأن كل شيء قد يرتبط بهذه الإجابة: متى تركتِ رالف في البيت الصيفي؟ فكّري بعض الوقت حتى تكون إجابتك دقيقة تماماً.

ضحكت الفتاة ضحكة صغيرة غلفتها المرارة وقالت: هل تظن أنني لم أفكر في هذا الأمر مرة بعد أخرى؟ كانت الساعة التاسعة

والنصف تماماً عندما خرجت لمقابلته، وكان الميجر بلانت يمشي على الشرفة فاضطررت للذهاب من طريق ملتوٍ بين الشجيرات حتى لا يراني. ولا شك أنني وصلت البيت الصيفي في حوالي التاسعة وثلاث وثلاثين دقيقة. كان رالف في انتظاري، وبقيت معه عشر دقائق لا أكثر، لأن الساعة كانت العاشرة إلاّ ربعاً عندما عدت إلى المنزل.

عرفت الآن سبب إصرارها على ذلك السؤال الذي طرحتْه عليّ بالأمس؛ كانت تتمنى أن يثبت أن روجر أكرويد قد قُتل قبل العاشرة إلاّ ربعاً وليس بعد ذلك.

رأيت انعكاس تلك الفكرة في سؤال بوارو التالي: مَن الذي غادر البيت الصيفي أولاً؟

- أنا.

- وتركتِ رالف في البيت الصيفي؟

- نعم، ولكني لا أحسبك ترى...

- يا آنستي، إن ما أراه ليس مهماً. ماذا فعلتِ عندما عدتِ إلى البيت؟

- ذهبت إلى غرفتي.

- حتى متى بقيت فيها؟

- حتى الساعة العاشرة تقريباً.

- هل يوجد من يمكنه إثبات ذلك؟

- إثبات؟ تقصد أن يثبت أنني كنت في غرفتي؟ لا، ولكن... ليس معقولاً. آه، فهمت! فقد يظنون... قد يظنون أنني...

رأيت الرعب في عينيها، وأكمل بوارو الجملة نيابة عنها: أنكِ أنت التي دخلت من النافذة وطعنت السيد أكرويد وهو جالس على كرسيه؟ نعم؛ قد يظنون ذلك.

قالت كارولين ساخطة: "لن يرى مثلَ هذا الرأي إلا أحمق مغفل". ثم ربتت على كتف أورسولا. كانت الفتاة تخفي وجهها بين يديها وتدمدم قائلة: مرعب... مرعب!

هزتها كارولين هزة مودة وقالت: لا تقلقي يا عزيزتي؛ فالسيد بوارو لا يرى ذلك حقيقة. أما بالنسبة لزوجك فقد سقط من عيني، أقول لك هذا بكل صراحة. لقد فرّ وتركك تواجهين المحنة وحيدة.

لكن أورسولا هزت رأسها بقوة وصاحت: لا؛ لم يكن الأمر هكذا أبداً. ما كان رالف ليهرب حفاظاً على نفسه... لقد فهمت الآن. حين سمع عن مقتل زوج أمه فلربما ظن، هو الآخر، بأنني أنا التي قتلته.

قالت كارولين: لا يمكن أن يظن شيئاً من هذا.

- كنت قاسية معه كثيراً تلك الليلة... قاسية ولاذعة. لم أصغِ لما كان يحاول قوله... لم أكن أصدق أنه كان مهتماً حقاً. وقفت هناك أقول له رأيي فيه وأجلده بأقسى وألذع كلام يتبادر إلى ذهني، محاولةً جهدي جرح مشاعره.

قالت كارولين: لن يؤذيه ذلك. لا تقلقي على ما تقولينه لرجلٍ أبداً؛ إنهم مغرورون جداً إلى حدٍ لا يصدقون معه أنك تقصدينهم حقاً بأي كلام غير إطرائهم.

أكملت أورسولا كلامها بعصبية وهي تفرك يديها: عندما اكتشفوا الجريمة ولم يأت قلقت قلقاً عظيماً. تساءلت -للحظة فقط- إن كان... لكني عرفت أن ذلك لم يكن بمقدوره؛ لا يمكنه ذلك. لكني تمنيت لو يأتي ويعلن أنه لا علاقة له بالأمر. أعرف أنه كان يحب الدكتور شبارد كثيراً، وظننت أن الدكتور شبارد ربما كان يعرف المكان الذي يختبئ فيه.

التفتت إلي وقالت: هذا هو السبب الذي جعلني أقول ما قلته لك ذلك اليوم. رأيت أنك، إن كنت تعرف مكانه، فربما أوصلت إليه الرسالة.

صحت: أنا؟

سألتها كارولين بحدة: ولماذا يمكن لجيمس يعرف مكانه؟

قالت أورسولا: أعرف أن ذلك لم يكن مرجحاً، ولكن رالف كان يتكلم عن الدكتور شبارد كثيراً وكنت أعرف أنه ربما اعتبره أفضل صديق له في القرية.

قلت: يا عزيزتي، ليست لديّ أدنى فكرة عن مكان رالف في الوقت الحالي.

قال بوارو: هذا صحيح تماماً.

أبرزت أورسولا قصاصة الصحيفة بارتباك وقالت: ولكن...

قال بوارو بشيء من الحرج: آه! هذه مجرد إشاعة يا آنسة. لا أصدق أنهم أعتقلوا رالف باتون أبداً.

- ولكن...

أكمل بوارو بسرعة: أريد أن أسألك عن أمر. هل كان الكابتن باتون يلبس حذاء أم جزمة في تلك الليلة؟

هزت أورسولا رأسها وقالت: لا أستطيع أن أتذكر.

- أمر مؤسف! وكيف لا تتذكرين؟

ابتسم في وجهها، وأمال رأسه جانباً وقال وهو يحرك سبابته: والآن يا سيدتي، لقد انتهيت من الأسئلة. لا تعذبي نفسك. تشجعي وضعي ثقتك في هيركيول بوارو.

* * *

الفصل الثالث والعشرون

اجتماع بوارو الصغير

قالت كارولين وهي تنهض: والآن ستصعد هذه الفتاة معي لترتاح قليلاً. لا تقلقي يا عزيزتي، فالسيد بوارو سيفعل كل شيء من أجلك. تأكدي من هذا.

قالت أورسولا بارتياب: يجب أن أعود إلى فيرنلي.

لكن كارولين أسكتتها وهي تلوح بيدها بقوة: هراء، أنت الآن في عهدتي، وستمكثين هنا في الوقت الحالي، أليس كذلك يا سيد بوارو؟

وافق بوارو قائلاً: إنها أفضل خطة. أريد هذه الآنسة الليلة... عفواً، أقصد هذه السيدة... لتحضر اجتماعي الصغير. الساعة التاسعة في بيتي. ضروري جداً أن تحضر هناك.

أومأت كارولين وخرجت مع أورسولا من الغرفة، وأغلقتا الباب وراءهما فألقى بوارو بنفسه على الكرسي من جديد وقال: حتى الآن الوضع جيد؛ الأمور ترتب نفسها وتتضح.

قلت عابساً: بل هي تزداد سوءاً ضد رالف باتون.

أومأ بوارو وقال: نعم، هي كذلك. ولكنه أمر متوقع، أليس كذلك؟

نظرت إليه متحيراً قليلاً من ملاحظته هذه. كان يستند بظهره إلى الكرسي وعيناه نصف مغمضتين وأطراف أصابعه متقابلة تلامس بعضها، وفجأة تنهد وهز رأسه.

سألته: ما الأمر؟

– تمرّ بي لحظات ينتابني فيها شوق عارم لصديقي هيستنغز. إنه الصديق الذي حدثتك عنه، الذي يعيش في الأرجنتين. كان دائماً يقف بجانبي عندما أواجه قضية كبيرة، وقد ساعدني. نعم، ساعدني كثيراً؛ فقد كان يملك موهبة خاصة في العثور على الحقيقة صدفة من دون أن يدري بها أو يلحظها بنفسه. أتفهمني؟ أحياناً كان يقول أشياء شديدة الحماقة، ولكن هذا كان يكشف لي الحقيقة! ثم إنه كان من عادته، أيضاً، تسجيل وقائع القضايا التي تثير الاهتمام.

سعلت سعلة فيها قليل من الحرج وقلت: فيما يتعلق بذلك... ثم سكت.

انتصب بوارو في جلسته وعيناه تلتمعان وقال: نعم؟ ما الذي كنت تريد قوله؟

– الواقع أنني قرأت بعضاً من القضايا التي كتبها الكابتن هيستنغز وفكرت لماذا لا أحاول الكتابة مثله. لقد بدا لي أن من المؤسف ألاّ

أكتب، فهي فرصة نادرة، وربما المرة الوحيدة التي سأعايش فيها شيئاً كهذا.

وجدت نفسي أتحمس أكثر فأكثر وأرتبك أكثر فأكثر وأنا أتخبط في الكلام السابق. قفز بوارو عن مقعده، فداهمتني لحظة من الرعب من احتمال قيامه بعناقي على الطريقة الفرنسية، لكنه أحجم عن ذلك والحمد لله. قال: هذا رائع. إذن فقد كتبت انطباعاتك عن القضية كما عايشتها؟

أومأت بالإيجاب، فصاح بوارو: مدهش! هل أراها... الآن؟

لم أكن مستعداً كثيراً لهذا الطلب المفاجئ. قلّبت تفكيري لأتذكر تفاصيل معينة ثم قلت متلعثماً: أرجو ألاّ تمانع، فربما كتبت بعض الانطباعات الشخصية هنا أو هناك.

– آه! إنني أتفهم تماماً. ربما وصفتني بالهزلي أو السخيف في بعض المواقف، أليس كذلك؟ هذا لا يهمني أبداً؛ فهيستنغز نفسه لم يكن مهذباً دائماً. إن تفكيري يعلو على مثل هذه الصغائر.

ذهبت إلى أدراج مكتبي (ولم تزل لديّ بعض الشكوك) ونبشت فيها، ثم أخرجت كومة من الأوراق المخطوطة فأعطيتها له. وقد قسمت المادة إلى فصول مختلفة على أمل نشرها في المستقبل. وكنت في الليلة السابقة قد أضفت إليها سرداً لوقائع زيارة الآنسة راسل، ولذلك كان بوارو يحمل في يده عشرين فصلاً.

تركته يقرؤها، واضطررت للخروج لزيارة مريض بعيد بعض الشيء، وعندما عدت بعد الساعة الثامنة استقبلني طبق حار من الطعام

على صينية، وقيل لي إن بوارو وكارولين تناولا العشاء معاً في السابعة والنصف وإن بوارو قد ذهب إلى ورشتي لإنهاء قراءة ما كتبته.

قالت كارولين: أرجو أنك كنت حذراً فيما قلته عني في قصتك.

أسقط في يدي؛ لم أكن حذراً على الإطلاق. قالت كارولين وقد قرأت ملامح وجهي بدقة: هذا لا يهم كثيراً؛ فالسيد بوارو سيدرك الحقيقة. إنه يفهمني أكثر مما تفهمني أنت.

ذهبتُ إلى الورشة، وكان بوارو جالساً قرب النافذة وأوراق القصة مكومة بترتيب على كرسي بجانبه. وضع يده عليها وقال: هذا جيد. أهنئك... على تواضعك!

قلت ببعض الدهشة: آه!

أضاف بوارو: وعلى تحفظك.

قلت مرة أخرى: آه!

- لم يكن هيستنغز يكتب هكذا. كان يكرر كلمة «أنا» عدة مرات في كل صفحة: ماذا اعتقد هو، وماذا فعل... لكنك أبقيت شخصيتك بعيدة في الظل ولم تظهرها إلاّ مرة أو مرتين في مشاهد الحياة المنزلية، أليس كذلك؟

احمرّ وجهي قليلاً وقد طرفت عيناه، وسألته بارتباك: ما رأيك فيما كتبته حقاً؟

- هل تريد رأيي الصريح؟

- نعم.

وضع بوارو أسلوبه الساخر جانباً وقال بلطف: إنه سرد دقيق وتفصيلي. لقد سجلت الوقائع كلها بصدق وأمانة، رغم أنك أظهرت نفسك كشخص متحفظ متكتم على دورك في الأحداث.

- وهل ساعدك هذا السرد؟

- نعم، يمكنني القول إنه ساعدني كثيراً. هيا، يجب أن نذهب إلى بيتي ونهيئ المسرح لمسرحيتي الصغيرة.

كانت كارولين في الصالة، وأظن أنها كانت تأمُل أن تُدعى لمصاحبتنا إلى الاجتماع. وقد تعامل بوارو مع الموقف بلباقة وقال بأسى: كنت أود كثيراً حضورك يا آنسة، ولكن هذا لن يكون عملاً حكيماً في هذه المرحلة؛ فكما ترين: كل الحاضرين في هذه الليلة مشبوهون وسوف أجد من بينهم الشخص الذي قتل السيد أكرويد.

قلت غير مصدق: أتعتقد ذلك حقاً؟

قال بوارو بجفاء: أرى أنك لا تصدق. ما زلت لا تقدر قيمة هيركيول بوارو الحقيقية.

في تلك اللحظة نزلت أورسلا من الطابق العلوي. قال بوارو: هل أنت جاهزة يا طفلتي؟ جيد، سنذهب إلى بيتي معاً. صدقيني -يا آنسة كارولين- إنني على استعداد لأن أفعل أي شيء لخدمتك. طاب مساؤك.

انطلقنا تاركين كارولين وراءنا ككلب رفض صاحبه اصطحابه

بنزهة خارج البيت، إذ وقفت عند الباب وهي تحدق فينا.

كانت غرفة الجلوس في بيت بوارو قد هُيئت؛ فقد وُضعت الفناجين والكؤوس المختلفة على الطاولة، كما تم إحضار عدة كراسي من الغرفة الأخرى.

ظلّ بوارو يروح ويجيء معداً ترتيب بعض الأثاث، يسحب كرسياً هنا ويغير مكان مصباح هناك، وينحني من وقت لآخر لتعديل قطع السجاد الصغيرة على الأرض. وقد كان حريصاً أشد الحرص على مسألة الإضاءة؛ فتم ترتيب المصابيح بطريقة تركز الضوء على ذلك الجانب من الغرفة الذي تصطف فيه الكراسي، وفي نفس الوقت تُرك الجانب الآخر من الغرفة خفيف الإضاءة حيث افترضتُ أن بوارو نفسه سيجلس هناك في الضوء الخافت.

راقبناه أنا وأورسولا، وسرعان ما قرع جرس البيت فقال بوارو: لقد وصلوا. جيد، كل شيء جاهز.

فُتح الباب ودخل القادمون من فيرنلي، وتقدم بوارو فرحّب بالسيدة أكرويد وفلورا قائلاً: جميل منكما أن تأتيا، والميجر بلانت والسيد ريموند أيضاً.

كان السكرتير مرحاً كعادته. قال ضاحكاً: ما الهدف من كل هذا؟ اختراع آلة علمية؟ هل سنضع حول مرافقنا أشرطة تسجل ضربات قلب الشخص الذي يشعر بالذنب؟ يوجد اختراع من هذا القبيل، أليس كذلك؟

قال بوارو: بلى، لقد قرأت عنه. لكني من طراز قديم؛ فأنا

أستخدم الأساليب القديمة وأعمل بالخلايا الرمادية الصغيرة فقط. والآن دعونا نبدأ... ولكنْ عندي إعلان أود إبلاغكم جميعاً به أولاً.

أمسك يد أورسولا وسحبها إلى الأمام وهو يقول: هذه السيدة هي زوجة رالف باتون، فقد تزوجا في آذار الماضي.

شهقت السيدة أكرويد وقالت: رالف! متزوج؟ آذار الماضي! آه، هذا سخيف. كيف يحصل هذا؟

حدقتْ في أورسولا وكأنها لم ترها من قبل وقالت: متزوج بورن. يا لك يا بوارو! إنني لا أصدقك.

احمرّ وجه أورسولا وأرادت أن تتكلم، لكن فلورا سبقتها، حيث ذهبت إلى جانب الفتاة بسرعة وأدخلت يدها تحت ذراعها قائلة: لا تهتمي لدهشتنا؛ فنحن لم نكن نعرف عن هذا الأمر شيئاً. لقد أبقيتما أنت ورالف، سركما جيداً. إنني سعيدة جداً بهذا.

قالت أورسولا بصوت منخفض: أنت طيبة يا آنسة أكرويد، كما أن لك كل الحق في أن تغضبي. لقد تصرف رالف بشكل سيء جداً... وخصوصاً معك.

قالت فلورا وهي تربت على ذراعها مواسية: لا حاجة لأن تقلقي من هذا؛ لقد حُشر رالف في زاوية ولم يكن أمامه إلا طريق واحد للخروج. لو كنت مكانه لقمت بنفس العمل، ولكني أظن أنه كان بوسعه أن يأتمنني على سره، فما كنت لأخذله.

نقر بوارو على الطاولة نقراً خفيفاً وتنحنح في إشارة ذات مغزى

فقالت فلورا: سوف يبدأ الاجتماع، السيد بوارو يلمّح إلى أننا يجب أن نصمت. ولكن أخبريني بشيء واحد فقط، أين رالف؟ إن كان لأحد أن يعرف مكانه فهو أنت.

صاحت أورسولا وهي تكاد تبكي: ولكني لا أعرف. هذه هي المشكلة، لا أعرف.

سأل ريموند: إنه محتجز في ليفربول، أليس كذلك؟ هكذا قيل في الصحيفة.

قال بوارو باقتضاب: إنه ليس في ليفربول.

قلت: الواقع أن أحداً لا يعرف مكانه.

قال ريموند: إلا هيركيول بوارو، أليس كذلك؟

ردّ بوارو على مزاحه بجد: أنا أعرف كل شيء، تذكر هذا.

رفع ريموند حاجبيه دهشة وقال وهو يصفر: كل شيء؟ واوا هذا ادعاء خطير.

سألته غير مصدق: هل تعني أنك تستطيع تخمين مكان احتباء رالف باتون حقاً؟

قال: أنت تسميه تخميناً، أمّا أنا فأسميه معرفة يا صديقي.

غامرت قائلاً: في كرانشستر؟

ردّ بوارو بهدوء: لا، ليس في كرانشستر.

لم يزد على ذلك، لكن المجتمعين أخذوا أماكنهم بإشارة منه. وبينما هم كذلك فُتح الباب مرة أخرى ودخل اثنان وجلسا قرب الباب، كانا باركر ومديرة المنزل.

قال بوارو: العدد مكتمل، الجميع هنا.

كانت علامة الرضا بادية على نبرته، ولذلك رأيت شيئاً أشبه بالتململ والقلق يظهر على جميع الوجوه المجتمعة في الطرف الآخر من الغرفة. كان الأمر كله يوحي بشيء أشبه بالفخ... فخ أغلق على الفريسة.

قرأ بوارو من قائمة كانت معه وهو يفيض غروراً: السيدة أكرويد، والآنسة فلورا، والميجر بلانت، والسيد ريموند، والسيدة أورسولا باتون، والسيد باركر، والآنسة راسل.

ثم وضع الورقة على الطاولة، فبدأ ريموند الكلام قائلاً: ماذا يعني كل هذا؟

قال بوارو: القائمة التي قرأتها الآن هي قائمة بالأشخاص المشتبه فيهم. كل واحد منكم -معشر الحضور- سنحت له الفرصة لقتل السيد أكرويد.

وثبتْ السيدة أكرويد عن مقعدها وهي تصرخ في ذعر: أنا لا أحب هذا... لا أحب هذا، أفضل العودة إلى البيت.

قال بوارو متجهماً: لا يمكنك الذهاب إلى البيت يا سيدتي حتى تسمعي ما أريد قوله.

سكت لحظة، ثم تنحنح وقال:

سأبدأ من البداية، عندما طلبت مني الآنسة أكرويد التحقيق بالقضية. ذهبت إلى فيرنلي مع الدكتور شبارد الطيب، ومشيت معه على المصطبة حيث أروني آثار أقدام على عتبة النافذة، ومن هناك أخذني المفتش راغلان إلى الممر الذي يؤدي إلى الممشى الموصل إلى البوابة. وقد استرعى انتباهي ذلك البيت الصيفي، فذهبت إليه وفتشته تفتيشاً دقيقاً، وفيه وجدت شيئين... قطعة قماش منشّاة وريشة مفرغة من نوع خاص. وقد أوحت لي قطعة القماش فوراً بأنها من مريلة إحدى الخادمات، وعندما أطلعني المفتش راغلان على قائمته التي أعدها عن أهل البيت لاحظت -على الفور- أن إحدى الخادمات (أورسولا بورن، وهي خادمة الاستقبال) لم يكن لها دليل مؤكد يثبت مكان وجودها وقت الجريمة. ووفقاً لروايتها فقد كانت في غرفة نومها من الساعة التاسعة والنصف حتى العاشرة، ولكن لنفترض أنها كانت في البيت الصيفي خلال هذه الفترة وليس في غرفتها. إن صح هذا فلا بد أنها ذهبت إلى هناك لملاقاة شخص ما.

نحن نعرف (من الدكتور شبارد) أن رجلاً قد دخل البيت من الخارج في تلك الليلة؛ الغريب الذي صادفه عند بوابة البيت. ومنذ الوهلة الأولى كان من شأن مشكلتنا أن تبدو محلولة، وأن الغريب هذا قد ذهب إلى البيت الصيفي لمقابلة أورسولا. كان مؤكداً -تقريباً- أنه ذهب بالفعل إلى البيت الصيفي بسبب ريشة الوز هذه، وقد أوحى لي هذا -على الفور- بأنه يتعاطى المخدرات وأنه كان مدمناً اكتسب عادة أميركية (حيث أن استنشاق السموم البيضاء أكثر شيوعاً هناك بهذه الطريقة). والرجل الذي قابله الدكتور شبارد كانت لهجته أميركية

وهو ما يناسب هذه الفرضية.

لكني وقفت عند نقطة واحدة؛ فالأوقات لم تكن مرتبة متناسقة. إذ لا يمكن -بالتأكيد- أن تكون أورسولا بورن قد ذهبت إلى البيت الصيفي قبل التاسعة والنصف، بينما دخل الرجل الغريب إلى هناك بعد التاسعة ببضع دقائق. كنت أستطيع -طبعاً- الافتراض بأنه انتظر هناك مدة نصف ساعة. وكان البديل الوحيد لهذه الفرضية هو افتراض حدوث لقاءين منفصلين في البيت الصيفي تلك الليلة... وحالما فكرت في هذا البديل وجدت عدة حقائق ذات مغزى. اكتشفت أن الآنسة راسل، مديرة المنزل، قد زارت الدكتور شبارد ذلك الصباح وأظهرت اهتماماً كبيراً بأمر علاج ضحايا المخدرات، وبربط ذلك مع الريشة التي عثرت عليها في البيت الصيفي افترضت أن الرجل موضوع الحديث جاء إلى فيرنلي لمقابلة مديرة المنزل وليس أورسولا بورن. مَن يكون ذلك الذي خرجت أورسولا للقائه إذن؟ لم تدم شكوكي طويلاً. ففي بداية الأمر وجدت خاتماً؛ خاتم زفاف، عليه عبارة (من ر) وعليه تاريخ أيضاً. ثم علمت أن رالف باتون شوهد وهو يسير على الممر المؤدي إلى البيت الصيفي في الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة وسمعت أيضاً عن حديث معين دار في الغابة قرب القرية عصر ذلك اليوم، حديث بين رالف باتون وفتاة مجهولة. وهكذا فقد رتبت الوقائع التي أملكها بأسلوب منظم: زواج سري، خطبة تعلن في يوم المأساة، المقابلة العاصفة في الغابة، واللقاء الذي تم ترتيبه في البيت الصيفي تلك الليلة.

وبطريق الصدفة برهن ذلك لي شيئاً واحداً، وهو أن رالف وأورسولا كانا يملكان أقوى الدوافع ليرغبا في موت السيد أكرويد، كما أنه أوضح نقطة أخرى بطريقة غير متوقعة؛ وهي أن رالف باتون لا

يمكن أن يكون هو الشخص الذي كان مع السيد أكرويد في المكتب الساعة التاسعة والنصف.

لذلك نأتي إلى مظهر آخر مثير جداً من مظاهر الجريمة. مَن الذي كان مع السيد أكرويد في الغرفة في الساعة التاسعة والنصف؟ ليس رالف باتون الذي كان في البيت الصيفي مع زوجته، وليس تشارلز كنت الذي كان قد غادر قبل ذلك. إذن مَن يكون؟ وعندها طرحت على نفسي أذكى وأجرأ سؤال لي: **هل كان معه أحد فعلاً؟**

مال بوارو بجسمه إلى الأمام وألقى بكلماته الأخيرة علينا مزهواً، ثم أسند ظهره إلى الوراء بأسلوب أشبه ما يكون بشخص سدد لخصمه ضربة محكمة.

ومع ذلك لم يبد ريموند متأثراً وقال باعتراض هادئ: لا أعرف إن كنت تحاول جعلي كاذباً يا سيد بوارو، ولكن هذه المسألة لا تعتمد على شهادتي وحدها... إلاّ فيما يتعلق بالكلمات المحددة التي سمعتها فقط. تذكّر أن الميجر بلانت سمع هو الآخر السيد أكرويد يتحدث مع شخص. لقد كان على المصطبة في الخارج ولم يستطع تبين الكلمات لكنه سمع الأصوات بوضوح.

أومأ بوارو وقال بهدوء: أنا لم أنسَ ذلك، ولكن الميجر بلانت كان تحت تأثير انطباع بأنك أنت الذي كان السيد أكرويد يتحدث معه.

بدا ريموند وقد فوجئ للحظة، ولكن سرعان ما عاد لهدوئه وقال: بلانت يعرف الآن أنه كان مخطئاً.

وافقه بلانت قائلاً: بالضبط.

قال بوارو: ومع ذلك، لا بد من وجود سبب أوحى له بذلك الانطباع.

وعندما حاول ريموند أن يتكلم عاجله بوارو قائلاً: لا، لا... أعرف السبب الذي ستطرحه، لكنه لا يكفي. لا بد أن نبحث عن سبب آخر. سأشرح الأمر بهذه الطريقة: لقد لفت انتباهي شيء واحد منذ بداية القضية؛ طبيعة تلك الكلمات التي سمعها السيد ريموند. وقد أدهشني كثيراً أن أحداً لم يعلق عليها ولم يرَ فيها شيئاً غريباً.

سكت قليلاً ثم كرر تلك الكلمات:..."لقد تكررت طلبات النقود مني في الفترة الأخيرة بحيث أخشى أن يكون من المستحيل الاستجابة لطلبك". ألا ترون في هذه الكلمات أية سمة غريبة؟

قال ريموند: لا أظن ذلك؛ فلطالما أملى عليّ رسائل كان يستخدم فيها نفس هذه الكلمات تقريباً.

صاح بوارو: بالضبط؛ هذا ما أريد الوصول إليه. هل يستخدم رجل مثل هذه العبارة عندما يتحدث مع رجل آخر؟ من المستحيل أن يكون هذا جزءاً من محادثة حقيقية. والآن، ماذا لو افترضنا أنه كان يملي رسالة...

قال ريموند ببطء: أتعني أنه كان يقرأ رسالة بصوت مرتفع. حتى لو كان هذا صحيحاً، فلا بد أنه كان يقرؤها لشخصٍ ما.

– لماذا؟ ليس لدينا أي دليل على وجود شخص آخر في الغرفة.

تذكّر أنه لم يُسمع صوت آخر غير صوت السيد أكرويد.

– لا يمكن لرجل –بالتأكيد– أن يقرأ رسائل من هذا النوع بصوت مرتفع مع نفسه إلاّ إذا... إلاّ إذا كان مخبولاً.

قال بوارو بهدوء: تنسيتم جميعاً شيئاً واحداً... ذلك الغريب الذي زار البيت يوم الأربعاء السابق للجريمة.

حدّق فيه الجميع. قال بوارو وهو يومئ متحمساً: نعم، يوم الأربعاء. إن ذلك الشاب لم يكن مهماً بحد ذاته، لكن الشركة التي كان يمثلها أثارت اهتمامي كثيراً.

قال ريموند دَهِشاً: شركة الدكتافون؟ فهمت الآن. دكتافون! هل هذا ما تظنه؟

أومأ بوارو برأسه موافقاً وقال: لقد وعد السيد أكرويد بشراء دكتافون كما تذكر. وقد أثار ذلك فضولي وحققت في هذا الأمر مع الشركة المعنية، وكان جوابهم أن السيد أكرويد قد اشترى فعلاً جهاز دكتافون من مندوبهم. لا أعرف لماذا أخفى عنك هذا الأمر.

تمتم ريموند: لا بد أنه أراد مفاجأتي به. كان ذا ولع طفولي بمفاجأة الناس، وربما اعتزم إخفاء الأمر عني يوماً أو يومين. ربما كان يلعب به كطفل يلعب بلعبة جديدة. نعم، هذا تفسير مناسب. أنت على حق تماماً... لا أحد يستخدم هذه الكلمات بالضبط في الحديث العادي.

قال بوارو: وهذا يوضح أيضاً لماذا ظن الميجر بلانت أنك أنت

الذي كنت في المكتب، فالكلمات التي سمعها كانت كلمات إملائية، ولذلك استنتج عقله الباطن أنك كنت معه. كان عقله الواعي مشغولاً بشيء مختلف تماماً... الشبح الأبيض الذي لمحه. ظن أنها الآنسة أكرويد، ولكن الواقع أن ما رآه كان مريلة أورسولا البيضاء وهي تتسلل إلى البيت الصيفي.

قال ريموند وقد صحا من ذهوله: ومع ذلك فإن اكتشافك هذا –على ما فيه من ذكاء ما كنتُ أنا لأفكر في مثله– إلاّ أنه لا يغير من الواقع شيئاً؛ فهو يعني أن السيد أكرويد كان على قيد الحياة في الساعة التاسعة والنصف، طالما أنه يتكلم إلى الدكتافون. يبدو واضحاً أن تشارلز كنت كان قد رحل في تلك الساعة، وبالنسبة لرالف باتون...

تردد وهو ينظر إلى أورسولا، وصعدت الدماء إلى وجهها لكنها أجابت بثبات: لقد افترقنا، أنا ورالف، قبل العاشرة إلاّ ربعاً بقليل، ولم يقترب من البيت أبداً، أنا واثقة من هذا. ولم يكن يعتزم ذلك. كان آخر ما يمكن أن يفكر به مواجهة زوج أمه؛ فقد كان يخشى ذلك كثيراً.

أوضح ريموند يقول: هذا لا يعني أبداً أنني أشك في قصتك. كنت واثقاً دائماً من براءة الكابتن باتون، لكن على المرء أن يفكر في المحكمة والأسئلة التي ستطرح. إنه في وضع سيء لا يحسد عليه، لكنه إذا ظهر...

قاطعه بوارو قائلاً: أهذه نصيحتك؟ أن يظهر نفسه؟

– بالتأكيد، إذا كنت تعلم مكانه.

– أفهم من هذا أنك لا تصدق أنني أعرف مكانه، رغم أنني قلت لك قبل قليل إنني أعرف كل شيء. أعرف حقيقة المكالمة الهاتفية، وآثار الأقدام على عتبة النافذة، وأعرف عن مكان اختباء رالف باتون...

قال بلانت بحدة: أين هو؟

أجابه بوارو مبتسماً: ليس بعيداً كثيراً من هنا.

سألته: في كرانشستر؟

التفت بوارو إليّ وقال: دائماً تسألني هذا. إن فكرة وجوده في كرانشستر قد استحوذت عليك. لا، إنه ليس في كرانشستر. إنه... هناك.

أشار بأصبعه بطريقة مثيرة فالتفت الجميع برؤوسهم إلى حيث أشار.

كان رالف باتون يقف عند مدخل الباب.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

قصة رالف باتون

كانت لحظة غير مريحة لي على الإطلاق. لم أكد أفهم ما حدث بعدها، ولكن تعالت صيحات المفاجأة! وعندما استعدت سيطرتي على نفسي (بحيث أستطيع إدراك ما يجري) كان رالف باتون يقف بجانب زوجته ويدها بيده، وكان يبتسم لي عبر الغرفة.

كان بوارو أيضاً يبتسم ويهز باتجاهي إصبعاً فصيحة معبرة قائلاً: ألم أخبرك -أكثر من مرة- أن لا فائدة من إخفاء الأمور عن هيركيول بوارو؟ لأنه سرعان ما سيكتشفها بنفسه.

ثم التفت إلى الآخرين وقال: تذكرون أننا عقدنا جلسة صغيرة ذات يوم حول الطاولة... نحن الستة. وقد اتهمت الخمسة الآخرين الحاضرين بإخفاء شيء عني. أربعة منهم كشفوا أسرارهم، لكن الدكتور شبارد لم يكشف سره. ولكن كانت لديّ شكوكي منذ البداية. لقد ذهب الدكتور شبارد إلى فندق ثري بورز تلك الليلة على أمل أن يجد رالف، وهو لم يجده هناك، لكني قلت في نفسي: "لأفترض أنه التقاه في الشارع وهو في طريقه إلى البيت". لقد كان الدكتور شبارد

صديقاً للكابتن رالف باتون، وقد جاء من مسرح الجريمة مباشرة. لا بد أنه كان يعرف أن موقف رالف صعب جداً، وربما كان يعرف ذلك أكثر من عامة الناس.

قلت مكتئباً: نعم. أظن أن من الأفضل أن أفضي بما في قلبي الآن. لقد ذهبت لرؤية رالف عصر ذلك اليوم، وفي البداية رفض أن يكشف لي سره، لكنه أخبرني -بعد ذلك- عن زواجه والورطة التي وقع فيها. وحالما تم اكتشاف الجريمة أدركت أنه بمجرد أن تُعرف الحقائق فإن الشبهات لا بد أن تحوم حول رالف، أو إن لم تكن حوله هو فحول الفتاة التي أحبها. في تلك الليلة وضعت الحقائق أمامه. إن فكرة اضطراره للإدلاء بشهادة يمكن لها أن تدين زوجته جعلته يقرر مهما كان الثمن أن... أن...

ترددت فأكمل رالف العبارة عني: أن يهرب. فلقد تركتني أورسولا وقتها وعادت إلى البيت، وفكرت أنها ربما حاولت مقابلة زوج أمي مرة أخرى. لقد سبق أن كان قاسياً معها عصر ذلك اليوم، وخطر لي أنه ربما أهانها بطريقة لا يمكن غفرانها، وأنها قامت من دون أن تدري...

سكت، فأرخت أورسولا يدها من يده وتراجعت إلى الوراء: هل فكرت في ذلك يا رالف؟ هل فكرت بأنني قد أكون قتلته فعلاً؟

قال بوارو بجفاء: لنعد إلى تصرف الدكتور شبارد الذي يستحق عليه اللوم. لقد وافق الدكتور شبارد على أن يفعل ما بوسعه للمساعدة، وقد نجح في إخفاء الكابتن باتون عن أعين الشرطة.

سأله ريموند: أين؟ في بيته؟

قال بوارو: آه، لا. كان عليك أن تسأل نفسك السؤال الذي سألته أنا. إن كان الدكتور سيخفي الشاب فأي مكان من شأنه أن يختار؟ لا بد أن يكون مكاناً قريباً، وهكذا فكرت في كرانشستر. فندق؟ لا. غرفة مستأجرة؟ أيضاً لا. إذن أين؟ آه، لقد عرفتها... في مصحة، مصحة للمعوقين عقلياً. واختبرت نظريتي هذه مخترعاً قصة ابن أخ لي مجنون. سألت الآنسة كارولين عن المصحات المناسبة فأعطتني اسم مصحتين في كرانشستر كان أخوها يرسل مرضاه إليهما، وقمت بالتحقيق فوجدت أن في إحداهما مريضاً أحضره الدكتور شبارد بنفسه في وقت مبكر من صباح يوم السبت. ورغم أن ذلك المريض كان يحمل اسماً آخر إلاّ أنني لم أجد صعوبة في معرفة أنه الكابتن باتون. وبعد إنهاء بعض الإجراءات الرسمية سُمح لي بإخراجه، ووصل إلى بيتي في ساعة مبكرة من صباح الأمس.

نظرت إليه غاضباً ودمدمت: خبير كارولين القادم من وزارة الداخلية! كيف لم أخمن هذا؟

قال بوارو: أترى الآن لماذا لفتُّ الانتباه إلى التحفظ والتكتم الذي غلب على ما كتبتَه من سرد للأحداث. كان السرد صادقاً تماماً فيما ذكره، لكنه لم يذكر كل شيء. أليس كذلك يا صديقي؟

كنت أكثر ارتباكاً من أن أجادله.

قال رالف: كان الدكتور شبارد وفياً جداً. لقد وقف بجانبي في السراء والضراء وفعل ما ظنّه الأفضل. لقد عرفت الآن (ممّا قاله السيد بوارو لي) أنه لم يكن حقاً التصرف الأفضل. كان يجب أن آتي وأواجه المحنة، وكما تعلمون فإننا في تلك المصحة لم تكن نقرأ أي

صحيفة، فلم أكن أعلم شيئاً عمّا يجري.

قال بوارو بجفاء: كان الدكتور شبارد نموذجاً للتكتم، لكنني أستطيع كشف كل الأسرار الصغيرة؛ إنها مهنتي.

قال ريموند وقد نفد صبره: يمكننا الآن سماع قصتك حول ما حدث تلك الليلة.

قال رالف: أنتم تعرفونها. لقد غادرتُ البيت الصيفي الساعة العاشرة إلا ربعاً تقريباً، وسرت في الأزقة محاولاً تقرير ما يمكنني عمله بعد ذلك. عليّ الاعتراف بأنني لا أملك أي دليل يثبت مكان وجودي وقت الجريمة، ولكني أقسم لكم بأنني لم أذهب إلى المكتب أبداً وأنني لم أرَ زوج أمي لا حياً ولا ميتاً. ومهما قال الناس واعتقدوا أريدكم جميعاً أن تصدقوني.

قال ريموند: لا تستطيع إثبات مكان وجودك؟ هذا سيء. إنني أصدقك بالطبع، لكنه... موقف سيء.

قال بوارو مبتهجاً: ومع ذلك فإن هذا يجعل الأمور بسيطة للغاية... بسيطة للغاية.

حدقنا فيه جميعاً فقال: هل تفهمون قصدي؟ لا؟ الأمر بسيط؛ حتى تنقذ الكابتن باتون لا بد للمجرم الحقيقي أن يعترف.

ابتسم وهو ينقل نظراته بيننا جميعاً وقال: نعم، أعني ما أقوله. ألا ترون أنني لم أدعُ المفتش راغلان للحضور، وذلك لسبب؛ فأنا لا أريد أن أخبره بكل ما أعرفه، لا أريد ذلك هذه الليلة على الأقل.

مال بجسده إلى الأمام، وفجأة تغيرت نبرة صوته وتبدلت شخصيته كلها. غدا فجأة خطيراً وهو يقول: أنا الذي أتكلم معكم، أعرف أن قاتل السيد أكرويد موجود في هذه الغرفة الآن، وأنا أوجه كلامي إليه: **غداً سيعرف المفتش راغلان بالحقيقة. أتفهمني؟**

ساد الغرفةَ صمتٌ ثقيل، وخلال هذا الصمت جاءت الخادمة العجوز تحمل برقية على طبق، فأخذها بوارو وفتحها.

ارتفع صوت بلانت عالياً ورنّاناً: أتقول إن المجرم موجود بيننا؟ هل تعرف... من هو؟

كان بوارو قد قرأ البرقية. كورها بيده وقال: "أنا أعرفه الآن"، ثم لوح بالورقة التي كان كورها.

قال ريموند بحدة: ما هذه؟

- برقية... من باخرة في طريقها الآن إلى الولايات المتحدة.

سكت الجميع، ونهض بوارو وهو ينحني للحضور باحترام ويقول: أيها السيدات والسادة، لقد انتهى الاجتماع الآن. تذكّروا، **سيعلم المفتش راغلان بالحقيقة في الصباح.**

* * *

الفصل الخامس والعشرون

الحقيقة كاملة

أوعز لي بوارو –بإشارة خفيفة– أن أبقى بعد رحيل الآخرين. أطعته وذهبت إلى الموقد وأخذت أحرك قطع الخشب فيه بمقدمة حذائي وأنا أتأمل. كنت حائراً، فلأول مرة كنت أجهل تماماً قصد بوارو. في بداية الأمر ملت إلى الاعتقاد بأن المشهد الذي حضرته قبل قليل كان مشهد تبجح ضخماً، وأنه كان، كما قال، يمثل مسرحيته بهدف إظهار نفسه بمظهر المهم والمثير للعجب. ولكني اضطررت –رغماً عني– لتصديق الحقيقة الكامنة خلف المشهد. لقد كان في كلماته خطر حقيقي ماثل... كان فيها نوع من الصدق والإخلاص الذي لا مراء فيه، ولكني كنت ما أزال أرى أنه يسير في مسار خاطئ تماماً.

عندما أغلق الباب وراء آخر المجموعة جاء إلى حيث النار وقال بهدوء: حسناً يا صديقي، ما رأيك في كل ما جرى؟

قلت بصراحة: لا أعرف بماذا أفكر. ماذا كان هدفك؟ لم لا تذهب إلى المفتش راغلان مباشرة وتقول له الحقيقة بدلاً من تحذير

المذنب بهذا الوضوح؟

جلس بوارو بصمت ثم قال: استخدم خلايا دماغك الرمادية. يوجد –دائماً– سبب وراء تصرفاتي.

ترددت لحظة ثم قلت ببطء: أول شيء يخطر لي هو أنك لا تعرف من هو الشخص المذنب، ولكنك واثق من أنه واحد من أفراد المجموعة التي حضرت الليلة، وقد أردت بكلماتك تلك إجبار القاتل المجهول على الاعتراف.

أومأ باستحسان وقال: فكرة ذكية لكنها ليست الحقيقة.

– أظن أنك ربما أردت أن تحمله على كشف نفسه إذا ما صدّق أنك تعرف الحقيقة. ليس بالضرورة عن طريق الاعتراف؛ فقد يحاول إسكاتك كما أسكت السيد أكرويد من قبل، قبل أن تتمكن من التصرف صباح الغد.

– أتنصب فخاً أكون أنا الطعم فيه! شكراً يا صديقي، ولكنني لست على هذه الدرجة من البطولة.

– إذن فأنا لا أستطيع فهمك. لا شك أنك تخاطر بترك القاتل يهرب بإقدامك على تحذيره بهذا الشكل.

هز بوارو رأسه نافياً وقال بجدية: لن يستطيع الهرب. يوجد منفذ واحد له فقط، وهذا المنفذ لا يفضي إلى الحرية.

سألته غيرَ مصدق: أحقاً تعتقد أن واحداً من هؤلاء الناس الذين حضروا الليلة قد ارتكب الجريمة؟

- نعم يا صديقي.

- من هو؟

ساد الصمت لعدة دقائق، ثم بدأ يتكلم بنبرة هادئة متأملة:
سأصحبك في نفس الطريق الذي سلكته بنفسي. سترافقني خطوة خطوة وترى بنفسك أن جميع الحقائق تشير إلى شخص واحد دون نقاش. أولاً، كانت أمامنا حقيقتان وبعض التناقض في التوقيتات، وهو ما لفت انتباهي على وجه الخصوص. الحقيقة الأولى هي المكالمة الهاتفية. لو كان رالف باتون هو القاتل فعلاً فإن المكالمة الهاتفية تصبح سخيفة لا معنى لها، لذلك قلت في نفسي إن رالف باتون ليس هو القاتل. وقد أقنعت نفسي بأن المكالمة لا يمكن أن تكون قد أجريت من قبل شخص من أهل البيت، ومع ذلك كنت مقتنعاً بأن القاتل هو واحد ممن كانوا موجودين في بيت الضحية ليلة الحادث. لذلك توصلت إلى نتيجة مفادها أن مَن أجرى المكالمة الهاتفية لا بد أن يكون شريكاً في الجريمة. ولم أكن مرتاحاً تماماً لهذه النتيجة، لكني أبقيتها قائمة مؤقتاً. ثم درست الدافع من وراء المكالمة، وكان ذلك صعباً لا يمكنني الوصول إليه إلا من خلال الحكم على نتيجته؛ تلك النتيجة التي كانت اكتشاف الجريمة في تلك الليلة بدلاً من بقائها -على الأرجح- حتى صباح اليوم التالي. هل توافقني على ذلك؟

قلت: نـ... نعم، نعم. كما تقول؛ لم يكن من المحتمل أن يدخل على السيد أكرويد أي شخص لأنه طلب ذلك في تلك الليلة.

- جيد؛ المسألة تتقدم، أليس كذلك؟ ولكن الأمور بقيت غامضة بعد ذلك. ما هي الفائدة من اكتشاف الجريمة في تلك الليلة بدلاً من

صباح اليوم التالي؟ الفكرة الوحيدة التي خطرت لي هي أن القاتل سيكون واثقاً عندها (عندما يعرف أن الجريمة ستكتشف في وقت محدد) من أنه سيكون حاضراً عندما يتم كسر الباب، أو بعد كسره مباشرة في كل الأحوال. والآن نأتي إلى الحقيقة الثانية؛ وهي الكرسي الذي أزيح عن الحائط. اعتبر المفتش راغلان هذا الأمر عديم الأهمية، أما أنا فعلى العكس، لقد اعتبرته -على الدوام- عملاً بالغ الأهمية. في قصتك التي كتبتها رسمت مخططاً صغيراً ودقيقاً للمكتب، ولو كان معك الآن لرأيت أن من شأن الكرسي -عندما يُسحَب بالاتجاه الذي أشار باركر إليه- أن يقف حائلاً في الخط المباشر بين باب الغرفة والنافذة.

قلت بسرعة: النافذة!

- أنت أيضاً خطرت لك فكرتي الأولى. تصورتُ أن الكرسي قد تم سحبه بحيث لا يستطيع أي داخل من الباب أن يلحظ شيئاً ما ذا علاقة بالنافذة. لكني سرعان ما تخليت عن هذه الفرضية؛ إذ أن الكرسي، رغم مسنده العالي، لم يكن يغطي من النافذة إلا القليل؛ لم يكن يغطي إلا الجزء الواقع بين حافة النافذة السفلية وبين الأرض. لا يا صديقي، ولكن تذكر أنه كانت أمام النافذة مباشرة طاولة عليها كتب ومجلات. تلك الطاولة -بالذات- كانت مخفية تماماً خلف الكرسي المسحوب. وعلى الفور راودني أول شك غائم بالحقيقة.

افترضْ وجود شيء على الطاولة لا يُراد له أن يُرى... شيء وضعه القاتل هناك. كنت -حتى ذلك الوقت- لا أعرف ما هو ذلك الشيء، لكني عرفت بعض الحقائق المثيرة جداً عنه. إنه شيء لم يكن

القاتل قادراً على أخذه معه عندما ارتكب جريمته، وفي نفس الوقت كان من الحيوي جداً إزالته من مكانه في أسرع وقت ممكن بعد اكتشاف الجريمة. وهكذا... كانت المكالمة الهاتفية لإعطاء القاتل فرصة الوجود في مسرح الجريمة عند اكتشاف الجثة.

والآن، كان في مسرح الجريمة -قبل وصول الشرطة- أربعة أشخاص؛ أنت وباركر والميجر بلانت والسيد ريموند. استبعدت باركر على الفور لأنه الشخص الوحيد الذي يكون موجوداً في مسرح الجريمة كائناً ما كان وقت اكتشافها، كما أنه هو الذي أخبرني عن الكرسي المسحوب. إذن فقد تمت تبرئة باركر (أي من جريمة القتل، إذ كنت ما أزال أرى وقتها أنه ربما كان هو الذي كان يبتز السيدة فيرارز). ومع ذلك ظل ريموند وبلانت تحت الشبهات طالما أن من الممكن، إذا اكتُشفت الجثة في ساعات الصباح الأولى من اليوم التالي، أن لا يستطيعا الوصول إلى مشهد الجريمة إلا في وقت متأخر لا يسمح لهما بمنع اكتشاف ذلك الشيء على الطاولة المستديرة.

والآن، ماذا كان ذلك الشيء؟ لقد سمعتَ كلامي في هذه الليلة بخصوص الحديث الذي سمع من خارج المكتب. بمجرد أن علمتُ أن مندوباً لشركة الدكتافون قد زار المنزل تجذّرت فكرة الدكتافون في دماغي. هل سمعتَ ما قلتُه في هذه الغرفة قبل نصف ساعة فقط؟ لقد وافقوني جميعاً على نظريتي، ولكن فاتتهم -كما يبدو- حقيقة واحدة مهمة: لو سلمنا أن السيد أكرويد قد استخدم دكتافوناً تلك الليلة... فلماذا لم يتم العثور على أي دكتافون؟

قلت: لم أفكر في هذا أبداً.

- نحن نعرف أن السيد أكرويد قد اشترى دكتافوناً، لكننا لم نعثر عليه بين حاجياته؛ لذلك إذا تم أخذ شيء عن الطاولة فلماذا لا يكون هذا الشيء هو الدكتافون؟ ولكن ظهرت صعوبات معينة في الطريق. كان انتباه الجميع مركزاً على الرجل القتيل بالطبع، وأظن أنه كان بوسع أي امرئ الذهاب إلى الطاولة دون أن يلحظه أي من الآخرين في الغرفة. لكن للدكتافون حجماً كبيراً ولا يمكن أن يُدسّ في الجيب بسرعة... لا بد من وجود كيس أو حاوية لإخفائه بها.

هل ترى إلى أين أريد أن أصل؟ إن شخصية القاتل تتضح وتأخذ شكلها. شخص كان في مسرح الجريمة مباشرة ولكنه قد لا يكون موجوداً لو تم اكتشاف الجثة صباح اليوم التالي... شخص يحمل إناء أو حاوية يمكن لها أن تسع الدكتافون...

قاطعته قائلاً: ولكن لماذا يؤخذ الدكتافون؟ ما الهدف من ذلك؟

- أنت مثل السيد ريموند. إنك تسلم -جدلاً- بأن ما سمعه الساعة التاسعة والنصف كان صوت السيد أكرويد وهو يخاطب الدكتافون. ولكن فكّر في هذا الاختراع المفيد قليلاً؛ أنت تملي رسائلك عليه، أليس كذلك؟ وفي وقتٍ ما لاحقاً يأتي السكرتير أو الطابع ويديره فيتكلم الصوت ثانية.

قلت لاهثاً: تقصد...؟

أومأ بوارو وقال: نعم؛ هذا ما قصدته. في الساعة التاسعة والنصف كان السيد أكرويد ميتاً أساساً. الدكتافون هو الذي كان يتحدث... وليس الرجل!

– وقد شغّله القاتل. إذن لا بد أنه كان موجوداً في الغرفة في ذلك الوقت.

– من المحتمل. لكننا يجب ألا نستبعد احتمال استخدام آلة ما... آلة للتوقيت مثلاً، أو حتى ساعة منبه. ولكن، في هذه الحالة، يجب أن نضيف صفتين لصورة القاتل الذي نتخيله. لا بد أن يكون شخصاً كان يعرف بشراء السيد أكرويد للدكتافون، وأيضاً شخصاً يملك الخبرة الضرورية بالآلات. كنت قد وصلت إلى هذا الحد في عقلي عندما وصلنا إلى موضوع آثار القدم على حافة النافذة، وهنا كانت أمامي ثلاثة استنتاجات: (١) ربما كانت -فعلاً- آثار قدمي رالف باتون؛ فقد كان موجوداً في فيرنلي تلك الليلة وربما تسلق ودخل المكتب فوجد عمه مقتولاً هناك، كانت تلك فرضية أولى. (٢) كان هناك احتمال أن تكون آثار الأقدام لشخص آخر يلبس حذاء له نفس نوعية النعل، ولكن لسكان البيت أحذية ذات نعل من مطاط، ولم أكن أرى إمكانية وجود شخص آخر من خارج البيت صدف أن كان يلبس حذاء يشبه حذاء رالف باتون، كما عرفنا من نادلة الحانة أن تشارلز كنت كان يلبس جزمة، أو «جزمة بالية» على حد تعبيرها. (٣) تلك الآثار من فعل شخص حاول إلقاء الشبهة عامداً على رالف باتون، ومن أجل التأكد من هذا الاستنتاج الأخير كان لزاماً عليّ التأكد من حقائق معينة. لقد حصل الشرطة على زوج من الأحذية الخاصة برالف باتون من الفندق الذي يسكن فيه، ولم يلبسهما رالف ولا أي شخص آخر تلك الليلة لأنهما كانا في محل التنظيف لصبغهما، ووفقاً لنظرية الشرطة كان رالف يلبس زوجاً آخر من الأحذية من نفس النوعية، وقد وجدت أن ذلك كان صحيحاً لأنه كان يملك زوجين من تلك الأحذية. وهكذا

كان من الضروري -إذا ما أريد لنظريتي أن تثبت- أن يلبس القاتل حذاء رالف تلك الليلة... وفي هذه الحالة فإن رالف كان يلبس زوجاً ثالثاً من الأحذية كائناً ما كان نوعه. ولم يكن بالإمكان افتراض وجود ثلاثة أزواج متشابهة من الأحذية عنده، بل كان الأرجح أن يكون الزوج الثالث جزمة وليس حذاء. ولذا طلبت من أختك القيام ببعض التحريات عن هذه النقطة... مشدداً على مسألة اللون، لأنني كنت أريد -بصراحة- التغطية على السبب الحقيقي لسؤالي.

وأنت تعرف نتيجة تحقيقاتها؛ فقد كان رالف باتون يلبس جزمة بالفعل. كان أول سؤال سألته إياه عندما جاء إلى بيتي صباح الأمس عن ما كان يلبسه في قدميه ليلة الجريمة، وردّ على الفور بأنه كان يلبس جزمة... وقد كان مستمراً في لبسها في الحقيقة، لعدم وجود ما يلبسه غيرها. وهكذا نتقدم خطوة أخرى في وصفنا للقاتل: شخص كانت لديه فرصة لأخذ ذلك الحذاء الخاص برالف باتون من فندق ثري بورز.

سكت، ثم قال وقد ارتفع صوته قليلاً: هناك نقطة أخرى؛ لا بد أن القاتل شخص سنحت له فرصة ليسرق ذلك الخنجر من طاولة الفضيات. قد تقول إن بوسع أي شخص في البيت أن يسرقه، لكني سأذكّرك بأن فلورا أكرويد كانت متأكدة تماماً من أن الخنجر لم يكن في مكانه عندما ألقت نظرة على طاولة الفضيات.

سكت مرة أخرى ثم قال: دعنا نوجز الأمر بعد أن أصبح كل شيء واضحاً؛ شخص كان في الفندق في وقت مبكر ذلك اليوم، شخص كان يعرف أكرويد معرفة جيدة تكفي لأن يعرف أنه اشترى

جهاز دكتافون، شخص يملك عقلية تقنية، وشخص سنحت له فرصة لأخذ الخنجر من طاولة الفضيات قبل وصول الآنسة فلورا، وشخص كان يحمل معه حاوية يستطيع فيها إخفاء الدكتافون... كحقيبة سوداء مثلاً، وشخص بقي في المكتب وحده بضع دقائق بعد اكتشاف الجريمة بينما كان باركر يطلب الشرطة عبر الهاتف. إنه في الواقع... الدكتور شبارد!

* * *

الفصل السادس والعشرون

... ولا شيء إلا الحقيقة

صمتنا صمتاً مطبقاً لدقيقة ونصف، ثم ضحكتُ وقلت: أنت مجنون!

ردّ بوارو بهدوء: لا؛ لست مجنوناً. إن ما لفت انتباهي إليك منذ البداية هو وجود بعض التعارض في التوقيت.

سألته متحيراً: تعارض في التوقيت؟

نعم؛ تذكّرْ أن الجميع اتفق (بما فيهم أنت) على أن المسافة بين الكوخ الخارجي عند البوابة وبين البيت تستغرق خمس دقائق سيراً على الأقدام، وأقل من ذلك إذا سرت في الطريق المختصر إلى المصطبة. لكنك غادرت البيت في التاسعة إلاّ عشر دقائق بشهادتك أنت وبشهادة باركر أيضاً. ومع ذلك كانت الساعة التاسعة تماماً عندما خرجت من البوابة المجاورة للكوخ. كانت ليلة شديدة البرودة ولا يمكن للمرء أن يرغب بالتسكع فيها، فلماذا -إذن- استغرقتَ عشر دقائق في مسيرة لا تحتاج أكثر من خمس دقائق؟ وقد أدركتُ،

منذ البداية، أننا لا نملك دليلاً على أن نافذة المكتب كانت مغلقة من الداخل سوى أقوالك أنت، فقد سألك أكرويد إن كنت قد أغلقتها لكنه لم ينظر ليرى إن كانت مغلقة فعلاً أم لا. إذن لنفترض أن نافذة المكتب لم تكن مغلقة. إن في تلك الدقائق العشر ما يكفي لأن تدور وراء البيت وتبدّل حذاءك وتدخل المكتب من النافذة وتقتل أكرويد ثم تعود وتخرج من البوابة الخارجية الساعةَ التاسعة. وقد رفضت هذه النظرية لأن كل الاحتمالات تشير إلى أن رجلاً في مثل عصبية أكرويد في تلك الليلة كان سيسمعك وأنت تتسلل، وكان من شأن ذلك أن يولد شجاراً. ولكن لنفترض أنك قتلت أكرويد قبل أن تغادر... بينما كنت تقف بجانب كرسيه، ثم خرجت من باب البيت واستدرت حوله إلى البيت الصيفي، وهناك أخرجت حذاء رالف باتون من الحقيبة (التي أحضرتها معك تلك الليلة) ولبسته ومشيت فيه على الوحل لتترك آثار القدم على حافة النافذة، ثم دخلت وأغلقت باب المكتب من الداخل بالمفتاح، ثم عدت بسرعة إلى البيت الصيفي وبدلت الحذاء بحذائك ثم أسرعت إلى البوابة. (لقد قمت بنفس هذه الأعمال بالأمس عندما كنت أنت مع السيدة أكرويد... فاستغرقت مني عشر دقائق بالضبط) ثم عدتَ إلى البيت بعدما أعددت دليل غيابك عن مكان الجريمة؛ وذلك بضبط الدكتافون ليعمل عند الساعة التاسعة والنصف.

قلت بصوت بدا غريباً متكلّفاً حتى على أذني أنا: يا عزيزي بوارو، يبدو أنك أطلت التفكير السوداوي بهذه القضية. ماذا عساي أكسب من قتل أكرويد؟

- الأمان؛ فقد كنت أنت من يبتز السيدة فيرارز. مَن يمكن أن يعرف سبب وفاة السيد فيرارز أكثر من الطبيب الذي كان يعالجه؟

عندما تكلمت معي أول مرة في الحديقة ذلك اليوم ذكرت لي أنك حصلت على تركة قبل سنة تقريباً. لم أستطع اكتشاف أي أثر لوجود تركة فعلاً! لقد كان عليك أن تخترع طريقة ما في تبرير حصولك على مبلغ العشرين ألف جنيه التي أخذتها من السيدة فيرارز. ولكن ذلك المال لم ينفعك كثيراً؛ فقد خسرتَ معظمه في المضاربات. ثم شددت ضغوطك على السيدة فيرارز ففضّلت الموت بطريقة لم تكن تتوقعها أنت. لو أن أكرويد علم بالحقيقة فإنه لم يكن ليرحمك؛ كنت ستتحطم إلى الأبد.

سألته محاولاً استجماع قواي: والمكالمة الهاتفية؟ أظن أن لديك تفسيراً مقبولاً لها أيضاً؟

- سأعترف لك بأنها كانت أكبر عقبة أمامي عندما اكتشفت أن مكالمة قد أجريت معك فعلاً من محطة كنغز أبوت. في البداية اعتقدت أنك اخترعت هذه القصة. كانت حركة ذكية جداً منك؛ فلا بد لك من عذر للعودة إلى فيرنلي والكشف عن الجثة، ومن ثم الحصول على فرصة لإبعاد الدكتافون الذي كان يعتمد عليه دليل غيابك عن مكان الجريمة. كانت لديّ فكرة مبهمة جداً عن كيفية النجاح في ذلك عندما جئتُ لزيارة أختك لأول مرة لكي أسألها عن المرضى الذين جاؤوا لعيادتك صباح الجمعة. لم أكن أفكر في الآنسة راسل في ذلك الوقت، وكانت زيارتها لعيادتك من قبيل الصدفة الحسنة لأنها أبعدت تفكيرك عن الغرض الحقيقي لأسئلتي. وقد وجدت ما كنت أبحث عنه؛ فمن بين مرضاك ذلك الصباح كان مضيف بحري على باخرة أميركية. مَنْ يُرجَّح أن يكون مغادراً إلى ليفربول في قطار في تلك الليلة أكثر من مضيف بحري يسافر إلى ميناء ترسو فيه البواخر؟

وبعدها سيرحل بحراً إلى الطرف الآخر من المحيط. وقد لاحظت أن الباخرة أورايون قد أبحرت يوم السبت، وعندما حصلت على اسم المضيف بعثت له برقية لاسلكية أسأله بعض الأسئلة. وهذه هي البرقية الجوابية التي رأيتني وقد استلمتها قبل قليل على مرأى من الجميع.

قدّم لي البرقية، وكانت تقول: "صحيح تماماً؛ لقد طلب مني الدكتور شبارد أن أترك رسالة في بيت أحد المرضى، وطلب مني الاتصال به من المحطة لإبلاغه بالجواب، وأجبته قائلاً: لا جواب".

قال بوارو: كانت فكرة ذكية؛ كانت المكالمة حقيقية. أختك رأتك وأنت تجيب عليها، ولكن ما قيل حقاً في تلك المكالمة لا يستند إلا إلى قول شخص واحد هو أنت.

تثاءبتُ وقلت: كل هذا مثير جداً... ولكنه لا يكاد يدخل في باب الواقعية.

- أهكذا ترى؟ تذكر ما قلته... سوف أبلغ المفتش راغلان بالحقيقة صباح الغد. ولكن من أجل أختك الطيبة أريد أن أعطيك فرصة أخرى لمخرج آخر. قد يكون الحل -على سبيل المثال- في جرعة زائدة من الحبوب المنومة. هل تفهمني؟ ولكن يجب تبرئة الكابتن رالف باتون... هذا أمر مفروغ منه. أقترح عليك إنهاء تلك الرواية الممتعة التي تكتبها، مع التخلي عن تحفظك السابق.

قلت: يبدو أنك كثير الاقتراحات. هل أنت واثق تماماً أنك قد انتهيت؟

- أما وقد ذكرتني بالحقيقة، فصحيح أنه بقي شيء واحد آخر.

سيكون من غير الحكمة أن تحاول إسكاتي كما فعلت مع السيد أكرويد؛ فهذا العمل لا ينجح مع هيركيول بوارو، هل تفهم؟

قلت مبتسماً: يا عزيزي بوارو، قد أكون كل شيء إلا مغفلاً.

نهضت وقلت متثائباً: حسناً، لا بد أن أذهب إلى البيت. أشكرك على ليلة بالغة المتعة كثيرة المعلومات.

نهض بوارو أيضاً، وانحنى لي بأدبه المعتاد وأنا أخرج من الغرفة.

* * *

الفصل السابع والعشرون

دفاع

الخامسة صباحاً: أنا متعب جداً، وذراعي تؤلمني من الكتابة، ولكني أنهيت مهمتي.

يا لها من نهاية غريبة لروايتي! كنت أريد لها أن تنشر يوماً ما كشاهد على أحد إخفاقات بوارو! غريب كيف تنقلب الأمور.

كنت أشعر –منذ البداية– بإرهاصات كارثة، من اللحظة التي رأيت فيها رالف باتون والسيدة فيرارز يتهامسان معاً. اعتقدت أنها كانت تسرّ له بشيء وقتها، ولكن تبين أنني كنت مخطئاً تماماً في هذا، لكنّ هذه الفكرة ظلت راسخة حتى بعد أن دخلت المكتب مع أكرويد تلك الليلة، إلى أن أخبرني بالحقيقة.

مسكين العجوز أكرويد. أنا سعيد لأنني أعطيته فرصة؛ فلقد ألححت عليه لكي يقرأ تلك الرسالة قبل فوات الوقت. أو لأكن صادقاً... ألم أدرك في داخلي أن الإصرار مع رجل عنيد مثله كان أفضل فرصة لي كي لا يقرأها؟ كانت عصبيته في تلك الليلة مثيرة من

الناحية السيكولوجية. كان يعلم أن الخطر قريب محدق به، ولكنه مع ذلك لم يشكّ فيّ أنا.

جاءت فكرة الخنجر لاحقاً. كنت قد أحضرت معي سلاحاً صغيراً خاصاً بي لكن عندما رأيت الخنجر في طاولة الفضيات خطر لي –فوراً– كم سيكون من الأفضل استخدام سلاح لا يستطيع المحققون تتبع أثره وصولاً إليّ.

لا شك أنني أردت قتله منذ البداية كما أظن. حالما سمعت عن وفاة السيدة فيرارز أحسست بالقناعة بأنها أخبرته كل شيء قبل وفاتها، وعندما قابلته وبدا منفعلاً جداً ظننت أنه عرف الحقيقة لكنه لا يريد حمل نفسه على تصديقها وأنه سيعطيني فرصة لتنفيذها. لذلك ذهبت إلى البيت وأخذت احتياطاتي، فإذا ظهر أن المشكلة لها علاقة برالف فقط فلن يحدث أي مكروه. كان قد أعطاني جهاز الدكتافون قبل يومين لضبطه؛ كان فيه بعض المشكلات وأقنعته بأن يعطيه لي لأصلحه بدلاً من إعادته إلى الشركة. وفعلت ما كنت أريد وأخذته معي في الحقيبة في تلك الليلة.

إنني راضٍ عن نفسي ككاتب. ماذا يمكن أن يكون أكثر دقة من العبارة الآتية على سبيل المثال؟

> كانت الرسالة قد وصلت في الساعة التاسعة إلاّ ثلثاً، وعندما غادرته كانت الساعة التاسعة إلاّ عشر دقائق، وما زالت الرسالة لم تُقرأ. ترددت ويدي ممسكة بمقبض الباب وأنا أنظر إلى الوراء متسائلاً إن كان ثمة شيء لم أفعله.

كل شيء صحيح كما ترون... ولكن افترضوا أنني رسمت مجموعة من النجوم بعد الجملة الأولى! هل كان أحدٌ سيتساءل عما حدث بالضبط خلال تلك الدقائق العشر؟

عندما نظرت إلى الغرفة –وأنا واقف عند الباب– كنت راضياً تماماً. لم أترك شيئاً إلاّ وعملته. كان الدكتافون على الطاولة قريباً من النافذة وقد ضبطت توقيته لكي يعمل في التاسعة والنصف تماماً (كانت آلية ذلك الجهاز ذكية جداً... تعتمد على مبدأ ساعة التنبيه) وكان الكرسي العالي مسحوباً إلى الوراء حتى يغطيه عن الباب.

لا بد أن أعترف بأنني صُدمت عندما كدت أصطدم باركر خارج الباب تماماً، وقد سجلت تلك الواقعة بصدق. ثم بعد ذلك، عندما تم اكتشاف الجثة وأرسلت باركر ليتصل بالشرطة، انظروا للعبارة العاقلة التي استخدمتها: «قمت بالقليل مما يتعين عليّ فعله». كان ذلك قليلاً بالفعل، فما كان عليّ سوى أن أدس الدكتافون في حقيبتي وأدفع الكرسي إلى الحائط حيث مكانه الصحيح. ما كنت أحلم أبداً في أن باركر سيلحظ ذلك الكرسي؛ فمن الناحية المنطقية كان يجب أن يكون مضطرباً ومشغولاً في أمر الجثة بحيث لا يرى أي شيء آخر، لكني لم أحسب حساباً لعقدة الخادم المدرب.

كنت أتمنى لو عرفتُ مسبقاً أن فلورا ستقول إنها رأت عمها على قيد الحياة الساعة العاشرة إلاّ ربعاً... فذلك حيرني أكثر مما يمكنني وصفه. الواقع أن أموراً كثيرة حيرتني في هذه القضية؛ فقد بدا أن لكل امرئ يداً فيها.

كان خوفي الأكبر طوال الوقت من كارولين. تصورت أنها قد

تخمّن. كانت غريبة تلك الطريقة التي تكلمت فيها ذلك اليوم عن «عرق الضعف» عندي.

حسناً، لن تعلم بالحقيقة أبداً؛ إذ يوجد –كما قال بوارو– مخرج واحد! أستطيع أن أثق فيه، وسوف يحلّ هذه المسألة مع المفتش راغلان. لا أريد لكارولين أن تعرف؛ فهي تحبني كثيراً، كما أنها ذات كبرياء أيضاً. ستسبب لها وفاتي أسى بالغاً، لكن الأسى يمر وينتهي.

عندما أنهي كتابتي سأضع هذه المخطوطة كاملة في مغلف وأرسلها إلى عنوان بوارو. وبعدها... ماذا؟ حبوب الفيرونال؟

سيتحقق نوع من العدالة الخيالية. وهذا لا يعني أنني أعتبر نفسي مسؤولاً عن وفاة السيدة فيرارز؛ فقد كانت وفاتها نتيجة مباشرة لأعمالها.

لا أشعر بالأسف عليها، كما أنني لا أشعر بالأسف على نفسي. إذن لتكن حبوب الفيرونال.

لكني أتمنى لو أن هيركيول بوارو لم يتقاعد أبداً من عمله ولم يأتِ إلى هنا لزراعة الكوسا!

* * *